الإنطلاق من الصفر



لا يوجد حلم
لا يمكن تحقيقه

ترجمة : الدكتور ماهر الشربيني

مراجعة : الدكتور عبد الغفور ابراهيم

تأليف

الدكتور توراو توكودا

رئيس مجموعة توكوشوكاي الطبية

الانطلاق من الصفر

لا يوجد حلم لا يمكن تحقيقه

الانطلاق من الصفر

لا يوجد حلم لا يمكن تحقيقه

تأليف
الدكتور توراو توكودا

رئيس مجلس إدارة مجموعة توكوشوكاي الطبية اليابانية

ترجمة : د. ماهـــــــر الشربيـــــــــني
مراجعة : الدكتور عبد الغفور إبراهيم

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2010/3/731)

926.1
توكودا، توراو
الانطلاق من الصفر: لا يوجد حلم لا يمكن تحقيقه /توراو توكودا؛ ترجمة ماهر الشربيني؛ مراجعة عبدالغفور إبراهيم أحمد.- عمان: دار زهران للنشر،2010.
(   ) ص.
ر.أ : 2010/3/731
الواصفات:/ الأطباء//التراجم//الثقافة الجماهيرية/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي
دار زهران للنشر والتوزيع
تلفاكس : 5331289 - 6 - 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن
E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
www.darzahran.net

الفهرست

الموضوع

الصفحة

المقدمة

يتناول هذا الكتاب قصة رجل ولد فقيراً في جزيرة توكونوشيما أصغر جزر اليابان الجنوبية وأكثرها تحديًا وكفاح، عمل وناضل وتحدى ورهن حياته ليحقق حلمه في بناء اكبر مجموعة طبية في العالم مبتدأ من الصفر، لقد صمم وهو في سنته العاشرة أن يكون طبيبًا عندما واجه حادث وفاة أخيه الصغير ذو الثلاث سنوات بسبب عدم قدرة عائلته على إنقاذ حياته لمرضه في إحدى الليالي ورفض الأطباء علاجه لانتهاء وقت عملهم أو طلب أجور مرتفعة. وهب حياته ورهنها من أجل الحصول على قرض لبناء مشفاه الأول والذي حقق حلمه ونجاحه الباهر ليتوسع إلى 270 مستشفى في عموم اليابان وواحدة في بلغاريا من ألف سرير ضمن مجموعة فاعلة ونشطة أسسها وهي مجموعة توكوشوكاي الطبية اليابانية الخاصة. إن سر نجاحه هو بفلسفته التي مفادها "لقد خلق جميع البشر متساوون" ويحق لهم الحصول على العلاج في كل الأوقات وأينما كانوا وبنفس المستوى من العناية الطبية الفائقة. ووفق ذلك فإن مستشفيات مجموعة توكوشوكاي تعمل أربعة وعشرون ساعة يوميًا وطيلة أيام السنة، وترعى الفقراء والأقل دخلاً وبأحدث التقنيات الطبية الحديثة. في هذا الكتاب يتحدث الدكتور توراو توكودا عن تجربته الغنية بالعبر والتي يستفيد منها كل الشباب المتطلع نحو مستقبل زاهر وخدمة شعوبهم ودولهم والإنسانية جمعاء.

الفصل الأول

جزيرة توكونوشيما نقطة انطلاقي

أخيرًا تحقق الحلم.. مستشفى في مسقط رأسي :

سؤال : يا دكتور «توكودا» ظللت تحلم طويلاً برعاية علاجية مثالية يتم الحصول عليها على أعلى مستوى في أي وقت وفي أي مكان، ولأي شخص مهما كان، وقد استطعت حتى الآن أن تنشئ أحدى عشرة مستشفى، وهنا يأتي السؤال المهم وهو: ما السبب الذي جعلك لا تنشئ مستشفيات مماثلة في مناطق نائية ؟ لماذا لم تنشئ مستشفى في مسقط رأسك وهي جزيرة «توكونوشيما»، على الرغم من أن هذا الخاطر كان يراودك منذ فترة طويلة، فهل حقًا ما سمعناه بأن المراحل الأولى لإنشاء مستشفى في جزيرة «توكونوشيما» قد بدأت بالفعل ؟

الإجابة : نعم أخيراً أصبحت هناك إمكانية لإنشاء مستشفى في مسقط رأسي وهي جزيرة «توكونوشيما». إن ذلك الانتقاد الذي ذاع وانتشر من أن «توراه توكودا» ـ أنا ـ هدفه الوحيد هو التكسب وجمع الأموال لأنه يبني

(*) حاورت دار النشر شسي شا اليابانية الدكتور توراو توكودا رئيس مجموعة توكوشوكاي الطبية عبر أسئلتها لغرض التعرف على تجربته العظيمة في بناء ثاني مؤسسة طبية في العالم مبتدأ من الصفر. وقد أجاب الدكتور توكودا موضحاً أبعاد وأهداف تجربته .

مستشفياته في المدن الكبرى فقط، لم يكن هو الانتقاد الوحيد، بل كانت هناك انتقادات من نوع آخر. لكن مستشفى مجموعة «توكوشوكاي» الذي سيتم إنشاؤه في جزيرتي ومسقط رأسي «توكونوشيما» سيكون الخطوة الأولى الموضوعية الملموسة في سبيل تحقيق الهدف المثالي الذي أسعى إليه، فهذا المستشفى معناه أكبر من أن يكون مجرد مستشفى من المستشفيات.

سؤال : ماذا تقصد بذلك ؟

إجابة : ستكون مستشفى «توكونوشيما» هذه نقطة الانطلاق لكي أجعل من مجموعة جزر «أمامي» بجنوب غرب اليابان أكثر المناطق مثالية في العالم كله على الرغم مما يقال عنها من أنها مجموعة من الجزر المنعزلة من جميع النواحي التاريخية والعلاجية والاقتصادية، إنني أريد أن أصنع نموذجًا لمنظومة الرعاية الطبية المثالية من أجل مستقبل العالم، وسأجعل الناس في العالم كله يحلمون بالذهاب إلى هناك.

على الرغم من أنني ولدت وترعرعت هناك في جزيرة «توكونوشيما» إلا أنني لم أفعل شيئًا كي أردّ ذلك الجميل، في الفترة الأخيرة بقيت طوال الليل والنهار أشاهد حلم إنشاء مستشفى في جزيرتي الصغيرة، إن ما أقوله الآن هو بمثابة إقرار أقدمه لجزيرتي وأبناء جزيرتي، لقد تضخم هذا الحلم كي لا يقتصر فقط على جزيرة «توكونوشيما»، بل شمل مجموعة جزر «أمامي» كي يصبح أملاً كبيرًا في سبيل جعل تلك المنطقة نموذجًا مشرفًا للرعاية الطبية المتكاملة

يحتذي به العالم كله، ذلك لأنني لو نجحت في مسقط رأسي فسوف أستطيع أن أحقق النجاح في اليابان ولكل البشرية في العالم أيضًا، لكن هذا لم يكن يتعدى أن يكون حلمًا، وحتى شهر ديسمبر (كانون الأول) 1984 لم أكن أتصور ولا حتى في الحلم أن أبدأ وضع الأساسات هكذا في شهر مايو (أيار) من هذا العام (1987)، وسوف يصبح هذا الحلم خلال شهر أو شهرين واقعًا حيًّا على الأرض بمعنى الكلمة.

على سبيل المثال إذا قام شخصٌ بتربية كتاكيت إلى أن تصبح دجاجًا كبيرًا، وظل ينتظر أن تضع تلك الدجاجات البيض، فقد يحدث ألاّ تضع تلك الدجاجات بيضًا أبدًا !. ولكن إذا شغل المرء نفسه بأمور كثيرة قريبة منه، ونسي أمر دجاجاته فقد يحدث أن يجد أنها قد وضعت بيضًا دون أن يشعر، وبحساب الفترة الزمنية فسوف يدرك المرء أن وضع البيض في ذلك التوقيت سيكون أمرًا طبيعيًا، بل إنه يشعر كما لو كانت الأفراخ قد وضعت البيض في فترة سريعة قياسية، بعد ثلاث سنوات من الآن سيصبح من الممكن عمل منطقة نموذجية بجزر «أمامي» حيث يقوم بها مستشفى شامل يغطي احتياجات تلك الجزر، إن العجلة إذا دارت بكل طاقتها فسوف يتحقق المراد في غمضة عين.

وحتى الأمس القريب كان الناس يقولون : «إن ذلك الرجل يهذى، إن توكودا يغالي في القول ويتشدق بما لا يستطيع أن يفعله، فتراه لا ينوي أبدًا أن

يبني مستشفى في جزيرة توكونوشيما ولا في غيرها».

إنني أيضًا « بعد أن انتهيت من إنشاء مستشفيات شاملة في كل منطقة جزيرة «كيوشو» بما فيها محافظة «كاجوشيما» كنت أشك في قدرتي علي إنشاء مستشفى بجزيرة «توكونوشيما»، ولكن ها أنا أقوم بوضع الأساسات لذلك المستشفى المنشود في شهر «مايو» (أيار) عام 1985، وفي شهر ديسمبر (كانون الأول) عام 1984 انقشعت السحابة التي كانت تحجب الرؤية عن عينيّ واستطعت أن أنظر إلى العالم كله من جزيرة «توكونوشيما».

سؤال : ما الذي حوّل دفة الأمور فجأةً هكذا في طريق النجاح؟

الإجابة : إن السبب في قدرتي إنجاز هذا العمل فجأة هو أن ظروف منظومة الرعاية الطبية داخل المجتمع الياباني كله منذ نهاية عام 1985 تغيرت لتكون في مصلحة جمعية «توكوشوكاي» بشكل واضح وسريع، على سبيل المثال فمن بين الإحدى عشرة مستشفى لنفس الجمعية والموجودة في أنحاء كثيرة من اليابان، فإنه باستثناء اثنتين من المستشفيات الحديثة الإنشاء والتشغيل فإن التسع مستشفيات الباقية كانت تحقق أرباحًا بالإضافة إلى أن الأطباء في جميع أنحاء اليابان قد بدءوا يظهرون تفهمًا نحو ما تقوم به جمعيتنا على عكس ما كنت أتوقع، وفي الواقع فإنني أعتقد أن هذا كان أكبر تغيير.

والتغيير هو إنشاء منظومة رعاية طبية من خلالها يستطيع أي مواطن في أي وقت وفي أي مكان خلال الأربع والعشرين ساعة لليوم الواحد أن يتلقى

كشفًا طبيًا، أي أن الطبيب يجب أن يأخذ قرارًا بينه وبين نفسه أن يكون مستعدًا في أي وقت للكشف على أي حالة طارئة تعرض عليه حتى ولو كان ذلك المريض لا يملك قيمة الكشف الطبي، لقد أصبح عدد كبير من الأطباء المرموقين والمجتهدين المخلصين، من ذوي بعد البصيرة أن يتفهموا فلسفتي، وعليه أصبح هناك كثيرون منهم ممن دخلوا في جمعيتي الطبية ويعملون معي في مستشفياتي، وكان هذا أكثر شيء أسعدني.

وبالنسبة للجامعات فمنها ما لديها كليات عريقة للطب قامت بالتعاون معي في مشروعي، ومنها جامعة «هوكايدو» وجامعة «توهوكو» في الشرق، وفي منطقة «كانساي» بغرب اليابان جامعات «كيوتو»، وجامعة «مدينة أوساكا»، وجامعة «نارا» للطب، وجامعة «كوبيه». بالإضافة إلى هذا كان فهناك أساتذة من المشاهير يعملون بنشاط في جامعات شرق اليابان وغربها وجزيرة «كيووشوه» بكليات الطب ممن أظهروا تفهمًا لأهداف جمعية «توكوشوكاي» وقدموا مساعداتهم لها، ولقد أصبح كثير من هؤلاء الأساتذة العظماء الذين أكن لهم كل احترام يقولون لي «يا توكودا.. إننا سوف نساعدك»! كما أن عدد الأطباء من أبناء جزر «أمامي» من الذين تفهموا أهداف مجموعتي وشاركوا بالعمل معي يأخذون في التزايد يومًا بعد يوم.

إن الميزة التي تتميز بها مجموعة جزر «أمامي» إنه بالرغم من قلة عدد السكان بها إلا أنها أفرزت عددًا كبيرًا من الأطباء والمحامين، وبفضل هذا

العامل الإيجابي فقد زال قلقي على توفير أطباء يقبلون العمل في مجال الرعاية الطبية في الجزر النائية حيث إن هذا العامل هو مربط الفرس، لقد استطعت أن أحل مشكلة عدد الأطباء بهذا.

حسنًا.. لقد عزمت وتوكلت في شهر ديسمبر (كانون الأول) من العام الماضي فقد كنت قد دبرت مكانًا لبناء المستشفى منذ ثماني سنوات في منطقة «كاميه تسو» بحي توكونوشيما بنفس جزيرة «توكونوشيما» حيث يتجمع أكبر عدد من السكان والمحال التجارية.

المساحة التي حددتها لبناء المستشفى هي حوالي خمسة عشر ألف مترمربع، وقد وضعت تصورًا أن يكون مبنى المستشفى من ستة طوابق وطابق تحت الأرض، وعدد الأسرَّة 450 سريرًا ونفقات الإنشاء وحدها ألفا مليون ين والتكلفة الإجمالية بالتجهيزات حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ين، إن مسألة حسبة النفقات هذه ليست بالأمر السهل، ولكني أعتقد أنه بالأسلوب الذي تتبعه مجموعة «توكوشوكاي» وبالأطباء الذين يعملون فيها فسوف ننجح في النهاية، وبفضل زيادة عدد الأطباء المشاركين فقد أصبح الحلم حقيقةً في نهاية الأمر.

إنني أشعر أننا أقوياء حيث إننا إذا نجحنا في استكمال المستشفى فسوف نطبق هدفنا السامي الذي يتلخص في بذل أقصى ما نستطيع من الرعاية الطبية في أي وقت وفي أي مكان ولأي فرد يطلب نجدتنا.

لقد استطعنا في النهاية تجهيز البنية التحتية من أجل إنشاء مستشفيات شاملة بشكل أو بآخر في أي وقت وأي مكان وتحت أي ظروف، ومعنى هذا أن أفكاري المثالية باتت قيد خطوات قصيرة من التنفيذ الفعلي على الأرض.

الرعاية الطبية السريعة باستخدام الطائرات المروحية الخفيفة:

إنني من منطلق من مشروع مستشفى جزيرة «توكونوشيما» وأخطط لبناء ست مستشفيات شاملة في ستة من جزر «أمامي». وهذه الجزر هي «أمامي أووشيما» و«كيكاي چيما» و« كاكيه روما چيما» و«أوكي نو إيرابو چيما» و«يورون طوه»، وسوف أقوم بشراء طائرتين مروحيتين تربضان دائمًا استعدادًا للانطلاق في جزيرتي «أوكيناوا» و«أمامي أووشيما».

حتى لو أقمت مستشفيات شاملة في الجزر الصغيرة تلك، فمن وقت لآخر سأحتاج ولا شك إلى أطباء متخصصين، ففي حالة الاحتياج إلى خمسة أطباء لعمل خمس جراحات في نفس الوقت فأعتقد أنه من المفروض جمع هؤلاء الأطباء في مكان واحد، إن حمل المرضى والمصابين بالطائرات، ومع صدمة واهتزاز هبوط الطائرة قد يصاب المريض أو الجريح المحمول بنزيف حاد، ولهذا السبب سوف أعمل على حمل الأطباء من جزيرة كبيرة إلى المرضى وليس العكس، إن هذه كلها أحلام كنت أراها لنموذج مثالي للرعاية الطبية في الجزر الصغيرة المنعزلة، عندما كنت طالبًا وكنت أتحدث بمثل هذه الأشياء

كنت مثار السخرية والتهكم ممن حولي، ولأن من حولي كانوا يستخفون بي فقد جعلني هذا أكثر عزمًا على تحيق ما أحلم به.

وكان هناك سبب أساسي جعلني أتجاوز هذه الصعاب وأحقق ما أريد، وهو أنني كنت أريد أن أرد الجميل لوطني الأم «جزيرة توكونوشيما» عن طريق خلق منظومة مثالية من الرعاية على أرضها، وفوق هذا أريد أن أجعل من مسقط رأسي هذا نموذجًا يحتذي به في مجال الرعاية الطبية على مستوى العالم كله لكي يصبح العالم كله يتطلع إلى منطقة جزر «أمامي» بصفتها منطقة مثالية للرعاية الطبية كي يقلدها ويفعل مثلها، أريدها منطقة متقدمة فيها طرق وتقنيات الرعاية الطبية، أريد أن أجعل جزر «أمامي» جزيرة للمعمرين وللأصحاء وأكثر جزيرة تحصل على أعلى مستوى من الرعاية الطبية.

إنني أعتقد أن هذا النموذج المنشود يمكن تحقيقه هنا في اليابان لوجود مميزات متعددة، وأعتقد أنه من الواجب تنفيذ هذا النموذج، والسؤال هو «من الذي يجب عليه أن يقوم بذلك ؟» ولكن لأن أحدًا لا يقوم بفعل هذا فقد تحركت جمعية «توكوشوكاي». ثم هأنذا أقوم بتنفيذ خطة تحسين منظومة الرعاية الطبية على مستوى العالم كله، سوف أنطلق إلى إنشاء المستشفيات في جميع أرجاء الكرة الأرضية.

على وجه الخصوص فإنني أود أن أنطلق قدمًا في إنشاء المستشفيات في مناطق نائية مثل مسقط رأسي جزيرة «توكونوشيما»، وإن الأسماء لا تعنيني.. فلنسمى أحدى المستشفيات «مستشفى ريجان التذكاري» ولنسمى الأخرى

«مستشفى تاناكا كاكوإيه التذكاري». إنني لا أحتاج إلى وضع اسمي أو اسم مجموعة «توكوشوكاي» على هذه المستشفيات. على أي حال المهم هو إنشاء كثير من المستشفيات التي تقدم أعلى خدمة في الرعاية الطبية في جميع أرجاء الدنيا، فلقد أقيمت الكنائس والمعابد البوذية في أرجاء الدنيا من أجل أن ينقذ المسيح أو بوذا البشرية، أما أنا فمن أجل إنقاذ الأجساد والقلوب أيضًا فإنني أطمح إلى بناء عدد من المستشفيات في جميع أرجاء الدنيا يفوق عدد المعابد والكنائس.

إن صلاتي وأمنيتي أن أبني عددًا من المستشفيات يفوق عدد الكنائس والمعابد، وأن تحقيق هذا الحلم هو نوع من ممارسة الشعائر والعبادات، أريد أولاً أن أنقذ الأبدان ثم بعد ذلك أنقذ القلوب والنفوس، لكن الوسيلة إلى إنقاذ القلوب والنفوس هي جد صعبة.

ومن أجل تحقيق ذلك فهناك ضرورة لتعاون وحكمة الكثير من الناس، فإنني في أشد الاحتياج إلى الكثيرين من أصحاب القلوب الرحيمة، إنني أريد منهم أن يمدوا لي يد العون والمساعدة بمعانٍ كثيرة، كما إنني أريد من أصحاب العقول المستنيرة والحكمة النافذة أن يفيدوني من ذكائهم وخبراتهم وحكمتهم بطرق عديدة، إنني أيضًا أؤمن بأهمية الاستعانة حتى بالساسة من أجل تحقيق النموذج المثالي الذي أنشده.

وعلى سبيل المثال فكنوع من المساعدة للدول النامية فإن أهم شيء - في اعتقادي - من أجل هذه الدول أن نقيم لهم مستشفيات، إن أكثر المشاكل التي

يعاني منها الإنسان هي ما يتعلق بالحياة والصحة، إن الحديث عن تنمية اقتصاد تلك الدول مهم، ولكن حتى لو استطاعنا تقديم مساعدات اقتصادية تساهم بشكل فعال في حل مشكلاتهم الاقتصادية، فلن ننال منهم في النهاية سوى التهكم والسخرية، فلن يكون هناك من يشعر بالكراهية والضغينة تجاه من يقدم لهم خدمة طبية جيدة وأطباء جيدون، أضف إلى هذا أننا إذا وضعنا هدف تحقيق الرعاية الطبية فسوف تنشأ من هنا طفرة كبيرة حتى على المستوى الثقافي لتلك الدول، سوف تتولد صلة ارتباط بين اليابانيين وأبناء تلك الدول بسبب أن حياة الإنسان غالية، ومن هنا.. ومن خلال الحوار المتبادل والمجهودات المشتركة فسوف يتولد التعاون الدولي الحقيقي والعولمة بمعناها الصحيح.

إنني أريد من اليابان أن تقدم معونتها إلى دول العالم الثالث من خلال الرعاية الطبية، وفى تلك الحالة قد أستطيع أنا أيضًا المشاركة في مثل هذا النشاط، لكني في نفس الوقت أريد تحقيق هذه الفكرة من خلال كيان الدولة، الحقيقة أن عملي هو أن أضع ميزانية تبلغ أربعين مليار ين إذا كنت أنوي إقامة عشر مستشفيات جديدة عام 1987، وهذا المبلغ يساوي ميزانية عام واحد من الخطة الأخيرة المعروفة باسم «خطة سانشاين»، وإذا تمت الموافقة على هذه الميزانية فلا يعلم أحد إلا اللـه إلى أي مدى سوف يتوسع ذلك المشروع العلاجي المنشود، بالطبع إنني أريد تنمية هذا المشروع إلى أقصى مدى ممكن، ولذلك يجب أن تتضافر كل الجهود و استغلال أية إمكانات متاحة لإنجاح مثل هذا المشروع الخيري.

ألا ترون أن على اليابان القيام بقيادة حملة للرعاية الطبية على مستوى العالم؟ إن اليابانيين قادرون على تنفيذ هذه المهمة، وعليهم أن يقوموا بها، ألا تتكاتفون معي يا أبناء اليابان من أجل الحفاظ على حياة البشرية في العالم كله؟ إنني أريد أن أدفع أبناء العالم إلى الحضور إلى جزر «أمامي» لكي يشاهدوا بعيونهم منظومة الرعاية الطبية التي أخطط لها هناك لكي يقتنعوا بأهمية تطبيق نفس التجربة في مجال الرعاية الطبية في بلادهم.

سؤال : بالنسبة للمستشفى المقترح في «توكونوشيما».. أي تصور لديك لذلك المستشفى؟

الإجابة : بالنسبة لعدد الأسرّة فأود أن أضع المعيار على أساس العجز في عدد الأسرّة حاليًا، وبالنسبة للمنطقة التي يشرف عليها مكتب التأمين الصحي لجزيرة توكونوشيما ـ مضافًا إليها الجزر الصغيرة المحيطة بها أيضًا ـ فهو يغطي عددًا يبلغ حوالي سبعة وخمسون ألف مواطن، إن عدد الأسرّة المتاحة في المنطقة التي ذكرتها لا يتعدى واحد وأربعون سريرًا، ولهذا فهناك عجزًا يبلغ361 سريرًا، ومن هنا فقد وضعت تقريرًا لعدد الأسرّة بمستشفى توكونوشيما ليكون 415 سريرًا.

وبالنسبة لعدد الأسرّة المتاحة أو العجز فهذا ما تحدده وزارة الصحة اليابانية، لكن الواقع يختلف كثيرًا من منطقة إلى أخرى عما تقوله الوزارة، ففي جزر «أمامي» يوجد عدد من الأطفال المصابين بشلل فى المخ، ويصل عدد

هؤلاء في هذه المنطقة إلى مائة وبضعة عشر طفلاً، وإذا سألنا عن السبب في وجود هذا العدد من المصابين بتلك العاهة فسوف نجده في قلة المعرفة والخبرة الطبية للقائمين على عمليات الولادة حيث تحدث متاعب كثيرة أثناء الولادة بالإضافة إلى إصابة بعض الأمهات أثناء الحمل بالحصبة والنتيجة حدوث أضرار لعدد كبير من مواليد هذه المنطقة، ويحدث في معظم حالات هؤلاء أن يقوم الآباء والأمهات باصطحابهم بمعدل مرة تقريبًا كل ثلاثة أشهر لعمل جلسات للعلاج الطبيعي في مستشفيات بمحافظة «كاجموشيما» أو محافظة «أوساكا».

هذه الرحلات تكلف كثيراً من مصاريف السفر إلى المبيت بالفنادق مما تشكل عبئًا اقتصاديًا كبيراً على هذه الأسر، وإنني أريد توفير الإمكانيات لعمل العلاج الطبيعي هذا في مستشفى توكونوشيما الذي وضعنا أساسه، أضف إلى هذا أن جزيرة توكونوشيما بها أكبر معدل للمعمرين من أمثال السيدة «إيزومي شيجيه تشيو» صاحبة أطول عمر على مستوى العالم كله، وهذه الجزيرة أنسب مكان من الناحية البيئية لكبار السن الذين يعانون من مضاعفات جلطات المخ، وإنني أعتقد أن مواطني المناطق الباردة في العالم والمصابون بتلك الأعراض إذا سافروا إلى جزيرة توكونوشيما لعمل العلاج الطبيعي والنقاهة سوف يحظون بنتائج إيجابية.

ولا تنسى أن هذه المنطقة تنعم بدفء قلوب أهلها وطيبتهم.

إن أهـالي جزيـرة توكونوشـيما يعلقـون آمـالاً كبـيرة عـلى مستشـفى مجموعـة توكوشوكاي والتي هي الآن تحت الإنشاء، ولأنه حاليًا ليس هناك سوى مستشـفى صغير به واحد وأربعـون سريـر فقـط فبالنسـبة لأهـالي الجزيـرة فـإن إنشـاء ذلـك المستشـفى الشامل هو بمثابة الحلم الذي طالما حلموا به.

لقد سمعت أن جمعية المرأة بجزيرة توكونوشـيما حـين سـمعت بفكـرة مشروع المستشفى الشامل هذا قامت بجمع تواقيع لثمانين بالمائـة مـن مـواطني الجزيـرة لـدفع هذا المشروع نحو التنفيذ وتم جمع تواقيع لثمانـين بالمائـة مـن مـواطني الجزيـرة حتـى الآن، أعتقد أن العدد قد يصل إلى تسعين بالمائة من أهالي الجزيرة.

حتـى الآن كـان هنـاك مستشـفى شـامل وحيـد فقـط في جـزر «أمـامي» هـو مستشفى «أمامي» التابع للمحافظة، ولكن عن طريق إنشاء مستشـفيين كبـيرين آخـرين فلنا أن نتخيل مدى التحسن الذي سوف يحدث في منظومة الرعاية الطبية هناك.

لك أن تتخيـل مـدى المعانـاة والقلـق لـدى كبـار السـن الـذين يصـابون بنوبـات مفاجئة ومدى معاناة ذويهم حين لا يسـتطيعون العثـور عـلى مستشـفى للجـوء إليـه أو حتى إذا عثروا عليه فإنهم لا يستطيعون الحصول على الرعايـة الطبيـة الكافيـة، إن عـدم إمكانية الحصول على الرعاية الطبية المثالية المطلوبة وقد تتعـرض حيـاة المـريض للخطـر هي أكثر الأمور التي تسبب الحزن لأهالي هؤلاء المرضى.

على أي حال فإنني أنوي القيام بإنشاء مستشفيات تستطيع أن تفي بمتطلبات أهالي جزيرة توكونوشيما والمناطق المحيطة بها والذين يحتاجون إلى الرعاية الطبية، إنني أنوي في المرحلة الأولى افتتاح مستشفى في شهر يونيو (حزيران) عام **1987** يتسع لخمسمائة سرير وبه أكثر من عشرة أطباء، وبعدها بثلاث سنوات أنوي مضاعفة عدد الأطباء بذلك المستشفى ليصبح ثلاثين أو أربعين طبيبًا، وبهذا أعتقد أن مواطني جزيرة توكونوشيما سيتمكنون من الحصول على أفضل مستوى من الرعاية الطبية.

أعتقد أن هذا سيكون أكبر مبنى في جزيرة توكونوشيما على الإطلاق، سوف يشاهد الأطفال ذلك المستشفى ويذهلون من ضخامته فتكبر الآمال لديهم حيث إنني أود أن يعطيهم ذلك المستشفى القدرة على مشاهدة حلم كبير.

وسوف يتميز ذلك المستشفى الذي تحت الإنشاء بتوفير العلاج الإسعافي السريع للمصابين بلدغات الثعابين السامة، ففي هذه الجزيرة توجد أعلى نسبة في العالم للمصابين بذلك النوع من اللدغات، والعلاج عادةً يكون عن طريق امتصاص الدم في الجزء الملدوغ وحوله، ولكن حتى الوصول إلى مكان المستشفى فإن المصاب يعدو ويلهث وقد تحدث حالات وفاة لعدم الوصول إلى المستشفى في الوقت المناسب، وحتى لو أنقذ صاحب اللدغة من الموت فقد يصاب بالشلل التام ويعيش معه حتى الموت، ويكثر حدوث هذه

الحالات في الفترة من شهر إبريل (نيسان) وحتى يونيو (حزيران) من كل عام، ففي جزيرة توكونوشيما وحدها حدثت ستة عشر واقعة لدغ من ثعابين سامة عام 1985، إنني أشعر بحتمية بذل الجهود من ناحية البحوث العلمية والعلاج الطبي للقضاء على هذه الظاهرة.

توكونوشيما قبل أربعين عامًا من الآن :

سؤال : بالمناسبة.. إن جزيرة توكونوشيما التي كانت نقطة البداية بالنسبة لك يا د. توكودا.. أو بمعنى آخر نقطة الانطلاق من الصفر بالنسبة لك، سمعت أنها كانت الحافز الأساسي الذي ولدّ لديك الفكرة المثالية لرعاية طبية على مدى الأربع والعشرين ساعة في اليوم الواحد، أي الفكرة الأساسية لجمعية توكوشوكاي، فكيف كانت أوضاع الجزيرة حين كنت طفلاً صغيرًا؟

الإجابة : إن جزيرة «توكونوشيما» يمكن الوصول إليها خلال ساعة بالطائرة النفاثة وذلك من مدينة «كاجوشيما» ـ أقصى الطرف الجنوبي لجزيرة «كيووشوو» ـ ولهذا فهي من الناحية الجغرافية قد نستطيع أن نصفها بأنها جزيرة معزولة في الجنوب في أعالي البحار حتى بالنسبة للمسافة فهي أبعد من المسافة التي تفصل العاصمة «طوكيو» عن «أوساكا»، وعندما كنت في الصف الثاني الثانوي ذهبت إلى «أووساكا» ، ووقتها استغرقت المسافة من «كاجوشيما» حتى «أوساكا» 20 ساعة بالقطار، وفي وسط الطريق كنت أغير القطار

بمواصلات أخرى، ولذلك فالوقت الإجمالي الذي استغرقته للوصول إلى «أوساكا» كان حوالي أربعين ساعة.

لقد تغيرت اليابان، ولذلك فعندما كنت طفلاً صغيراً أذهب إلى المدرسة الابتدائية كان العالم بالنسبة لي هو جزيرة «توكونوشيما» فقط، وبلهجة الجزيرة نطلق على سكان الجزيرة الأصليين كلمة «شيمانتشوو» ، أما أهل المدن الكبرى في جزر اليابان الكبيرة فنطلق عليهم كلمة «ياماتونتشوو»، لقد كانت جزيرتنا بعيدة عن جزر اليابان الأخرى لدرجة أن اليابانيين من أهالي المدن الكبرى والجزر الأم الكبيرة بالنسبة لنا نحن أطفال الجزيرة وقتها كانوا أناسًا من عالم بعيد مثل مخلوقات الفضاء بالإدراك الحالي، وعندما كان يعود أحد من أهالي الجزيرة من إحدى المدن الكبرى اليابانية بعد الإقامة بها لفترة ما، كان أطفال الجزيرة يشعرون نحو ذلك الشخص بعقدة الدونية، وإذا كان ذلك الشخص يعود ومعه تلك المطواة الصغيرة التي يمكن طيها إلى الداخل وتُستعمل كمبراة الأقلام الرصاص كان الأطفال في الجزيرة يندهشون ويتصورون أنهم سيصبحون هدفًا للتهديد والمضايقة، فإذا كان الطرف الآخر معه تلك المطواة فإن الأطفال هنا يقعون في حيرة من أمرهم ويأخذون وضع التحفز تحسبًا لرد هجوم الطرف الآخر.

في عام 1945 وبعد انتهاء الحرب مباشرةً كنت وقتها في السنة الثانية الابتدائية، ومع هزيمة اليابان تم فصل جزيرة توكونوشيما عن اليابان ووضعها

تحت إدارة الاحتلال الأمريكي لفترة طويلة، وفي تلك الفترة كانت «توكونوشيما» بلدًا أجنبيًا بالنسبة لليابان حيث إنها لم تكن تتبعها، وفي فترة معينة ساد الإحساس العام بأن هذه الجزيرة ستصبح إلى الأبد تابعة لأمريكا ولن يتم إعادتها إلى اليابان الأم، ولهذا فقد قام أبناء الجزيرة كلهم برفع رايات الحداد على بوابات بيوتهم، إنني أعتقد أن أهل الجزر اليابانية الكبيرة لا يعرفون أبدًا مشاعر أهالي الجزيرة وقتها ولا يتصورون مدى إحساس انتمائهم لدولتهم اليابان!

وبما أننا كنا نتبع أمريكا فلم يكن من السهل التردد على جزر اليابان الأم في حرية لأن اليابان وقتها كانت «دولة أجنبية»، فمن كان يستطيع الخروج من الجزيرة وإليها هو في أغلب الظن من ذوي الشأن والحظوة، كان تعداد الجزيرة وقتها خمسة وأربعون ألف نسمة، أما الآن فقد انخفض التعداد ليصبح خمسة وثلاثون ألف نسمة، ولأن تعداد الجزيرة ضئيل بهذا الشكل فإن تلك الجزيرة ليس لها وزن يذكر، وجزيرة توكونوشيما محصولها الأساسي هو قصب السكر، وهي مشهورة بغزل القطن وبوجود الثعبان الصغير السام المسمى «هابو»، لدرجة أن أعضاء نقابة الأطباء يطلقون عليّ أحيانًا لقب «ثعبان جزر أمامي»!

إن الزراعة في الجزيرة لا تقتصر فقط على قصب السكر، فهناك يُزرع أيضًا الأرز والبطاطا، وهما زراعتان ثانويتان بعد قصب السكر، أما الأسماك فيمكن اصطيادها بسهولة وكثرة لوجود الكثير من الشعاب المرجانية حول الجزيرة، إلا أن الغريب في الأمر أن الذين يقومون بحرفة الصيد قليلون من

أهل الجزيرة، وقتها كان هناك مـن يبحـرون سرًا باتجـاه جـزر اليابـان الأم، وكنـت كلـما علمت بهروب واحد من زملائي في الدراسـة إلى هنـاك، كـان يغلبنـي شـعور حـزين قـوي بأنني قد تُركت وحدي وأنني أريد أنا الآخر الذهاب واللحاق بالآخرين.

إن رفاق الدراسة عندما كانوا يعودون مـن هنـاك مـرة أخـرى إلى الجزيـرة كـانوا يظهرون أمام عينيّ مبهرين وكأنهم مثل رواد الفضاء الذين عادوا إلى الأرض لتـوهم مـن رحلة في الفضاء البعيد.

إن قريتي التي ولدت وتربيت بها هي قرية صغيرة اسمها «كاميه توكو» لها مرفأ صغير على البحر، وكان تعداد سكانها آنذاك سـبعمائة أو ثمانمائـة فـرد فقـط، وكـان يمتـد هناك لسان من الخشب إلى داخل البوغاز، وكانت السفن حين تصل إلى هناك كان أهـالي القرية كلهم يتجمعون لرؤيتها، حتى من كانوا يعملون ساعة وصول السفينة في حقـولهم فقد كانوا يتوقفون عن العمل لمشـاهدة السـفينة، فقـد كانـت تلـك السـفن هـي نقطـة الوصل الوحيدة بين جزيرتنا وبين العالم الخارجي، وقتهـا لم يكـن أهـالي الجزيـرة يملكـون أجهزة المذياع في بيوتهم، وما أذكره الآن أننـي عنـدما كنـت في سـنواتي الأولى في المرحلـة الابتدائية لم تكن الكهرباء قد دخلت بيت أسرتي بعد، كنا نعيش عـلى لمبـة الكيروسـين، لم تكن السفن كشاشات عرض الإرسال التلفزيوني الموجودة فى الشـوارع الآن ولكنهـا كانـت أهم وسيلة من وسائل الاستمتاع بالنسبة لنا.

ولأن السفن كانت مزودة بأجهزة المذياع وبمكبرات الصوت أيضًا، فقد كان صوت الراديو يتردد صداه عاليًا من ناحية السفن وهي ترسو عند المرفأ، ولأن ذلك الزمن كان بعد انتهاء الحرب مباشرةً فقد كانت تنساب تلك الألحان اليابانية التي انتشرت شعبيتها وقتها مثل : «لا تبك أيتها الحمامة الصغيرة» و «أغنية التفاحة» وغيرها من الألحان، وكان أهالي القرية يتجمعون عند المرفأ ويرددون تلك الأغاني معًا، ولأن المكان الذي كنا نسكن به كان بعيدًا عن المدن الكبيرة ومظاهر المدنية والتحضر فقد كنا نعيش ونحن نعاني الانعزال عن ذلك العالم، ولهذا فعندما كنا نستمع إلى تلك الموسيقى والأغاني تنساب من الراديو على حين فجأة كنا نشعر بشعور لا يمكن وصفه من الانتشاء، كانت أقدام جميع أهالي الجزيرة تقودهم إلى المرفأ دون شعور وبشكل تلقائي، وعندما كان يأتي زائر ما على سفينة من السفن وينزل على الجزيرة، كانت تفاصيل ومعلومات تلك الزيارة وهوية ذلك الشخص كلها تنتشر بين أهالي الجزيرة جميعهم في اليوم التالي، وعندما كانت سفينة من السفن تهم بمغادرة المرفأ كان ينساب لحن الوداع «ضوء الحشرة الفسفورية» من مكبر صوت السفينة، فكنت في تلك اللحظات أيضًا أعود لأعاني الشعور بالوحشة وبأنني تُركت وحيدًا.

الإصابة بالمرض كانت أكثر الأمور رعبًا :

ولأن أوضاع الجزيرة كانت كما شرحت الآن فقد كانت الأمور التي تبعث القلق لدى أهالي الجزيرة هي خشية الإصابة بالمرض، حتى في حالات

الولادة فكانت تحدث الكثير من حالات الوفاة بين الأمهات، وكذلك بين المواليد الصغار، بالطبع لم تكن هناك مستشفيات تفي بالغرض في تلك المنطقة النائية، لكن ما أذكره أنه كان هناك رجل يقوم بمباشرة أعمال الطب والعلاج بالجزيرة حيث كان جنديًا بالفرقة الطبية بالجيش الياباني أثناء حرب المحيط الهادي، يساعد الأطباء العسكريين، وقد عاد إلى جزيرة توكونوشيما مسقط رأسه بعد انتهاء الحرب، كذلك هناك طبيبان عسكريان عادا من جبهة القتال بعد الحرب وافتتح كل منهما عيادة صغيرة بالجزيرة.

حتى تلك العيادات التي لا يمكن وصفها بالمعنى المعروف بهذه الكلمة فقد كان أهالي الجزيرة يصعب عليهم الذهاب إليها، وحتى كنت بالصف الخامس بالمرحلة الابتدائية لم يكن أحد يذهب إلى الطبيب حتى لو أصيب بمرض، وحتى إن حدث، فقد كان العكس هو الصحيح أي أن الطبيب كان يقوم بزيارته في المنزل، وهذه الحالات هي الحالات المتأخرة حيث يكون المريض قاب قوسين أو أدنى من الموت، حيث يضطر أهل المريض إلى عرضه على الطبيب.

وعندما كنت في المرحلة الابتدائية، أصابتني نزلة برد وارتفعت حرارتي ورقدت في الفراش كان أقصى ما يفعله أهلي هو إعطائي بيضةً لأكلها، كان هذا هو الدواء الأوحد، ولأنني في الأوقات العادية لم أكن أحلم أبدًا بأن أضع البيض في فمي أو أذق طعمه، فقد كانت تسليتي الكبيرة أثناء المرض هي

الحصول على تلك البيضة، حتى لو استدعى أهل الجزيرة الطبيب فلم يكن لديهم المال الكافي لدفع قيمة الكشف المنزلي، وقتها كان الإنتاج الأوحد لجزيرة توكونوشيما هو قصب السكر، ولكن لأن الجيش الأمريكي كان يشرف على زراعته، فحتى بعد صناعة السكر الأسمر لم يكن أهل الجزيرة يجدون سبيلاً لتسويقه وبيعه، وفي نفس تلك الحقبة الزمنية كانت جزر اليابان الأم تعاني نقصًا في السكر، فكان يستعاض هناك بالسكرين والچيلاتين من المواد المصنعة بديلاً عن السكر الطبيعي، فلو كان أهالي الجزيرة يستطيعون الذهاب وقتها إلى جزر اليابان الأم لربحوا كثيراً من تجارة السكر.

كان أبي في فترة الشباب قد خرج من الجزيرة إلى منطقة «كنساي» الصناعية التجارية بغرب اليابان الأم فكان عليمًا بالأحوال هناك، فكان يقوم في الخفاء بتجارة السكر في السوق السوداء، حيث كان يقوم بصناعة السكر وكذلك الحصول على البعض الآخر منه من المنازل الأخرى ثم يقوم بتجميع ذلك السكر، ثم بتأجير قارب بخاري ليبحر في ظلام الليل متجهًا نحو ميناء «كاجوشيما» ليبيع السكر هناك، كان السكر يُصادر منه إذا تم القبض عليه، أما إذا استطاع الإفلات بحمولته فكان مكسبه ثلاثة أضعاف ما تكلفه في صناعة وجمع ونقل السكر، وكان أحيانًا ينجح في الإفلات من مناطق وأمكنة التفتيش وأحيانًا أخرى كان يقع في الأسر، حين كان ينجح كان يبيع السكر في محافظة «كاجوشيما» ثم يشتري لنا الخنازير، ولذلك كانت الحديقة تعج بالخنازير بمعنى الكلمة.

وأحيانًا كان يحدث أثناء عودته بالقارب البخاري وهـو يحمـل الخنـازير معـه أن يقوم خفر السواحل بمطاردته، فكـان يضـطر إلى إلقـاء الخنـازير في البحـر، أمـا الخنـازير المسكينة التي كانت تلقى إلى البحر فكانت تصارع الأمواج لـبعض الوقـت ثـم تستسـلم للغرق بعد أن تخور قواها، ولكن أحيانًا كان البعض منها يستطيع الوصول إلى الشـاطيء سالمًا بعد سباحة طويلة فكنت أحيانًا أسمع حكايـات عـن دهشـة أهـالي الجزيـرة حـين يعلمون بأن خنزيرًا قد وصل إلى الشاطئ سباحةً من ناحية البحر.

صدمة بسبب وفاة الأخ الأصغر :

حـدث أن قـام أهـالي الجزيـرة بـالإبلاغ سرًا عـن نشـاط أبي وسـفرياته في الظـلام لتهريب السكر، ولذلك فقد تم القبض عليه عدة مـرات، وفي مـرة مـن المـرات حـدث أن تلقى أبي عقوبة بالحبس في جزيرة من جزر «أمامي».

أبي كان اسمه «توكوتشيو»، وبالرغم من أنه كان فقـيرًا إلا أنـه كـان مـن طبائعـه حب مساعدة من هم أكثر منه فقرًا، وحتى مع قيامه بأعمال التجارة في السوق السـوداء فلم يكن يتحدث عن تجارب فشله وإنما كان يتحدث فقط عن نجاحاته، ولـذلك فأحيانًـا كان يحقد عليه الآخرين.

ولم تكن هناك جرائم في جزيرة «توكونوشيما»، ولهـذا فعـادةً لم يكـن هنـاك مـن يُعاقب بدخول السجن، وحتى العقوبة لم تكن بالمعنى المتعارف عليه في

المجتمعات المدنية العادية. ولأن أبي كان يقوم بتسويق قصب السكر الذي يعجز أهالي الجزيرة عن التصرف فيه فلم يكن أحد من أهالي الجزيرة يتحدث عنه بالسوء، بل إن أهالي الجزيرة كانوا ـ على العكس ـ يشعرون بالتعاطف معه، لقد عوقب أبي بالحبس ثمانية أشهر مع الأشغال الشاقة، ومع أن فترة العقوبة كانت قصيرة، ولكن مع اختفاء رب البيت الذي يُعتمد عليه في أعمال الحقل فإن الأمر يكون مأساويًا، ولأنني كنت وقتها في المرحلة الابتدائية فقد كنت بمعنى من المعاني «رجلاً» وطاقةً عاملة، كان ذلك في السنة الثانية بعد انتهاء الحرب، أي في عام 1947. وكنا نرى في بيتنا بقرة كانت تقوم بالمساعدة في أعمال الفلاحة بالحقل وفي عصر القصب، وكان لزامًا عليَّ أن أقوم برعاية تلك البقرة، وكانت أمي وقتها قد حملت وكبرت بطنها ولم تكن تستطع الحركة، وكان بداخل بطنها أخي الثالث الأصغر الذي لا زال على قيد الحياة وقتها كان لي أخ أصغر يبلغ من العمر ثلاث سنوات، لكنه أصيب بالمرض، وفي الساعة الثالثة تقريبًا من منتصف الليل أخذ يتقيأ وأصيب بالإسهال، أي تلك الأعراض التي يطلقون عليها حاليًا «الجفاف».

طلبت أمي مني أن أنطلق إلى عيادة الطبيب كي أطلب منه الحضور إلى بيتنا لتوقيع الكشف على أخي، كانت تلك المهمة بالنسبة لي مبعثًا للرعب والضيق، فقد كنت لا أزال طفلاً في الصف الثالث الابتدائي لكنني كنت مجبرًا على الخروج في منتصف الليل، لقد نظرت إلى وجه أخي الصغير، كنت أنوي

عدم الذهاب إذا لمحت عليه علامات الشفاء ولو بقدر ضئيل، لكنه كان قد فقد الوعي وجحظت عيناه واصفر وجهه.

قد يكون ما دفعني إلى القفز خارج باب المنزل هو انزعاجي من منظر وجهه، لكنني حين خرجت وجدت الظلام حالكًا تمامًا، ولأن المنطقة ريفية فلم يكن هناك بصيص نور واحد، وعلى الرغم من أنني اعتدت يوميًا على سلوك ذلك الطريق الممدود أمام البيت إلا أنني لحظتها وكأنما هناك شيء ما مثل شبح أسود يقف فجأةً أمامي معترضًا طريقي، وهنا أحسست بأن شعر رأسي قد وقف من الخوف والرعب، وشعرت أيضًا أن فرائصي قد ارتعدت وأن قدميّ لا تستطيعان حملي، ولكن لم يكن من المعقول أن أتراجع هاربًا إلى داخل البيت، كان يدور برأسي أيضًا منظر ثعابين الـ «هابو» السامة التي تختبئ بالحقول على جانبي الطريق، لم أجد أمامي سوى أن أطلق ساقيّ للريح فأعدو وأعدو كالمجنون دون وعي لتظهر أشجار النخيل الصغيرة أحيانًا في شكل تلك الأشباح التي أتخيلها، وأحيانًا أخرى تظهر بعض السيارات التي كانت تمر واحدة منها كل بضع دقائق وكأنها تلك الأشباح، وهكذا قطعت ذلك الطريق الذي لا يزيد طوله عن كيلومترين أركض بكل طاقتي.

وأخيرًا وبعد مشقة وصلت إلى مكان العيادة، لقد سجدت أمام الطبيب وكدت أقبل أسفل قدمه وأنا أتوسله كي يستيقظ ويأتي معي إلى البيت، لكنه

رفض ولهذا فقد اضطررت إلى العدو مرة أخرى إلى الناحية الأخرى من القرية حيث كان يوجد طبيب آخر، لكنه هو الآخر رفض الحضور معي.

كان هناك طبيب جاء إلينا بالكاد بعد ظهر اليوم التالي، لكن أخي الصغير وقتها كانت مقلة عينيه قد اختفت وصار بياض العين فقط هو الظاهر، فقد كان لفظ أنفاسه الأخيرة، كان من الممكن إنقاذه لو تم حقنه ببضع سنتيمترات من الجلوكوز أثناء الليل.

أستطيع أن أقول إن هذه الواقعة كانت بمثابة السكين الذي غرز بقلبي لأشعر لأول مرة بالمرارة والحرقة، إن الإنسان يشعر بالصدمة لمجرد سماع خبر أن شخصًا ما قد لفظ أنفاسه فما بالك بموت أخ صغير لك أمام عينيك بسبب أن طبيبًا رفض الحضور لإسعافه!

إنني كلما تذكرت برود ذلك الطبيب تلك الليلة وأنا أتوسل إليه كي يأتي معي ينتابني شعور بالاشمئزاز والرعب، حيث إن قلبي الصغير البريء وقتها كان يسلم بأن الطبيب هو ذلك الشخص الذي يعالج المرضى، وأن هذا هو عمله وواجبه فكيف يرفض إنقاذ إنسان يموت ! بالطبع لقد شعرت ساعتها بأنني لا أسامح ذلك الطبيب، ولا أستطيع أن أنكر أن ذلك الشعور ينتابني بين وقت وآخر، إنني كنت أعرف أن ذلك الطبيب يقوم أحيانًا بالكشف المنزلي في أنصاف الليالي، لكنه يذهب إلى الأسر الميسورة الحال، فما الذي يحدث بحق السماء! هل يذهب الطبيب لعلاج المريض إذا كان يملك ثمن العلاج ولا يذهب إلى ذلك الفقير الذي يعجز عن دفع ذلك الثمن! إن أمي الثكلى التي

فقدت طفلها كانت تردد هذا الكلام هي الأخرى وتبكي وتنتحب، لقد أدركت وقتها أن إحجام الطبيب عن الذهاب للكشف عن مريض أمر جلل، لقد بدأت تتفتح عيناي وقتها على ما يعنيه قلب الإنسان وعلى ما تعنيه لغة الين ولغة النقود.

ومن وقتها وعلى الرغم من أنني كنت لا أزال طفلاً صغيرًا إلا أنني لم أكن أستطيع أن أنسى منظر عيني أخي وهما جاحظتان بيضاويتان تمامًا، إنه إحساس الرعب من الموت، أضف إلى هذا شعوري بالقلق من عدم حضور الطبيب إذا أصيب أحد أفراد الأسرة بوعكة مفاجئة، لقد حدث ذلك مرةً عندما أصيبت أمي بالحمى وارتفعت درجة حرارتها إلى 39° درجة وكانت تزفر زفرات عميقة، ومع كل زفرة تخرج منها كنت أتخيل أن روحها تخرج هي الأخرى مع تلك الزفرة فيصيبني الرعب، فأتمنى أن يأتي الطبيب في أي وقت وإن كان في ظهيرة اليوم التالي وأن تحتمل أمي آلام المرض خلال الليل وحتى طلوع النهار كي لا تموت مثل أخي الصغير، إنني أشعر أن أهل المدن الكبيرة لا يستطيعون إدراك إحساسي هذا بالرعب والحزن بسبب عدم القدرة على الحصول على علاج إسعافي، إنهم قد يدركون مثل هذا الشعور إذا قضوا شهرًا كاملاً في جزيرة معزولة دون أن يأخذوا معهم إلى هناك أي نوع من أنواع الدواء.

البذور التي زُرعت :

لقد أصبحت تلك الذكريات تزداد قوة لديّ فيما بعد ذلك أكثر فأكثر بحيث إنها أضفت تأثيرًا حاسمًا على مسار حياتي كلها، لولا موت أخي لما كنت قد أصبحت طبيبًا، ولما كنت قد وصلت بتفكيري إلى النقطة الجوهرية للرعاية الطبية وهي الطب الإسعافي، لقد أقنعت نفسي منذ بداية الأمر أنني إذا كنت سأصبح طبيبًا فإنه يتعين عليّ أن أغرس في قلبي وبوضوح فكرة أن الدافع الأساسي هو ممارسة الطب الإسعافي.

هناك نقطة أخرى لا تقل أهمية عن هذه، فإن أي إنسان فقير مهما كان يجب أن يتمتع بحق أن يتلقى العلاج على يد الطبيب وقت الخطر، وأنه يجب ألا يحدث أبدًا أن نقع في حيرة التساؤل عما إذا كان المريض يتلقى العلاج حسب ما يملك من نقود أو يموت إذا كان فقيرًا معدمًا ؟

وفي وقت مرض أخي لم أكن قررت تمامًا أن أصبح طبيبًا في المستقبل، لكن الصدمة التي تلقيتها بوفاة أخي والشعور بالحرقة والغيظ، ومشهد أمي وهي تبكي وتنتحب جعل الشعور بالرغبة في أن أكون طبيبًا يبدأ في النمو شيئًا فشيئًا بداخلي كما لو كانت هناك بذرة ما قد بُذرت وبدأت في النمو بداخلي.

الحقيقة أنني في أحد الأيام بعد وفاة أخي وقفت أمام أمي وقلت لها : «يا أمي أود أن أصبح طبيبًا يومًا ما» !

لقد علمتُ من أمي أنها قبل أن تتزوج كانت تدرس في مدينة «قوبيه» عملية التوليد لأنها كانت تريد أن تصبح قابلة، وقد حدث ذلك بينما كانت تقوم بالعمل وتكسب المال هناك، لكنها في النهاية لم تستطع أن تحقق حلمها، أمي هذه من مواليد عام 1916 عمرها الآن 72 عامًا وهي بصحة جيدة، وحين أعود بالذاكرة إلى الخلف أشعر بأنها كان لها الفضل في توجيهي لكي أصبح طبيبًا.

أولاً إن اسمي وهو «توراو» كان قبل ذلك على وشك أن يكون «هارو أو» حين ولادتي كما سمعت فيما بعد، ولكن بعد ولادتي مباشرة قيل أن أمي قد لمحت اسم واحد من أساتذة الطب في مجلة من المجلات وكان «توراو »، ولأن «تورا» تعني «النمر» ولأنني أيضًا من مواليد سنة النمر حسب التقويم الصيني ولهذا السبب فقد أسمتني أمي «توراو» بدلاً من «هارو أو».

يبدو أن أمي كانت معجبة بمكانة الأطباء في المجتمع وأنها كانت تشعر بضرورة وجودهم، فقد شعرت بالسعادة الغامرة حين سمعت مني أنني أريد أن أصبح طبيبًا، وشعرت أيضًا أنها إذا كانت ستكون سعيدة بهذا فإن علي أن أحقق لها أمنيتها.

كانت المرات التي أتبادل فيها الحوار مع أمي هي أثناء وجودها في الحقل لقلع جذور البطاطا من الطين أو أثناء قيامها بحش الحشائش الزائدة النابتة بالحقل، وحتى أثناء تلك الأوقات كان يرد على لسانها كثيراً سيرة الأطباء، وتحكي عن قصص أشخاص بعينهم صاروا أطباء بعد قصص طويلة من العناء

والكفاح، أي أن حديثها معي كان محوره قصص نجاح الأطباء في حياتهم، ومن ضـمن مـا حكته لي قصص نساء ضحين كثيرًا من أجل شباب كن يولعن بعشقهن حتـى نجـح هـؤلاء الشباب وصاروا أطبـاءً ثـم تنكـروا لتلـك النسـاء وأداروا لهـن ظهـورهم، فاضـطرت تلـك النساء إلى الانتحار كمدًا وحزنًا، إن أمي كانت أيضًا تسمعني موعظةً أخلاقية مفادهـا ألا يقوم الرجل بالإقدام على التصرف بهذا الشكل، إن موعظتها تلك أثـرت في نفسي ـ بشـكل عميق فيما بعد.

سؤال : يبدو أن والدتك كانت قوية الإرادة أليس كذلك !

الإجابة : في ذلك الوقت كنت تلميذ الابتـدائي الـذي كانـت نتائجـه الدراسـية في السنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة يستطيع تخطي السنة الخامسة ودخـول السـنة السادسة مبـاشرة، وأمـي كانـت تشـجعني دائمًـا في كـل سـنوات تعليمـي الابتـدائي ولقـد حضتني عـلى الاجتهـاد في الدراسـة لـدخول السـنة السادسـة بعـد السـنة الرابعـة، ولقـد استطعت دخـول السـنة السادسـة دون دخـول السـنة الخامسـة ولكـن لأننـا كنـا فقـراء مدقعين وقتها فقد طلبت منها أن تجعلني أغيب عن الدراسـة عامًـا كـاملاً وهـو الصـف الخامس، وبالفعل غبت طول فترة الصف الخامس الابتدائي وأرسـلتني أمـي إلى الجزيـرة الكبيرة القريبة لكي أقوم بالعمل بالأجر بالساعة في غزل القطن، وبعد مرور هـذه السـنة دخلت الصف السادس لألحق بنفس زملاء دفعتي الدراسية مـرة أخـرى وكانـت نتيجتـي دائمًا تجعلني الأول أو الثاني في الترتيب بين أقراني في الصف الدراسي.

والدي الذي علمني مبدأ: «أن تعيش أو أن تموت»

سؤال : أي نوع من الرجال كان والدك ؟

الإجابة : من ناحية أبي فقد كان جدي (والد أبي) منغمسًا في العلم، أي أنه كان في عصره القديم هذا يعتبر ذو فكر متقدم، وكان وجوده هذا نادرًا في جزيرتنا الصغيرة وكان يستطيع عمل كل شيء بدءًا من القراءة والكتابة وانتهاءً بالحساب على اللوح الخرز، مهما مدحت في قدرات والدتي فهي لا تأتي شيئًا مقارنةً بجدي هذا، ولهذا السبب فقد كانت أمي تحترمه أشد الاحترام. عادةً.. في بيوت الفلاحين إذا ماتت الزوجة فلا يتزوج أرملها مرةً أخرى، ولكن لان جدي كان متقدمًا على عصره فقد جاء يومًا ما بالسفينة من الجزيرة الأم وخلفه سيدة عرفها على أهله وجيرانه على أنها «امرأة من ياماتو» وتزوجها، ولأن اصطحابه لها كان بالنسبة لأهل الجزيرة مثل إحضاره لمخلوق من الفضاء فقد كان هذا حدث جلل في جزيرتنا، لقد سمعت أن جدي تزوج نحو ثلاث مرات.

لقد ولد أبي في بيت جدي هذا عام 1907 ليعاني من تأثير الحياة التي يعيشها جدي، ما حدث أنه لم يتوافق كيميائيًا مع زوجة جدي هذه التي جاءت من اليابان الأم فترك المدرسة الابتدائية قبل أن يتخرج ورحل إلى «أوساكا» ليبدأ العمل هناك وكسب لقمة العيش، ولهذا السبب فإنه ـ لحظة العثر ـ لم يستطع أن يكمل تعليمه هناك، أستطيع أن أصف أبي بأنه كان إنسانًا مقامرًا

مغامرًا وأنه كـان إنسـانًا مقـدامًا، لقـد كـان يرفـع شـعار «أن أعـيش أو أن أمـوت»، وأن اجتهادي في الدراسة بهذا الشكل الذي شرحته كان بسبب حدة أبي وفورتـه، لقـد زرع أبي في نفسي طريقة وأسلوب حياة الرجال المفعمة بروح الثقـة والشـجاعة والإقـدام. الشيء الآخر الذي أريد أن أذكره هنا بخصوص أبي أنه كان يريد أن ينهـي تـاريخ شـجرة عائلتنـا كعائلة فلاحين عند جيله هو.

عندما كان صغيراً ذهب إلى مدينة كبيرة ليعمل هنـاك بعـد أن مـر بتجربـة تـرك المدرسة الابتدائية دون أن ينهي التعليم بها، وقد ذاق مرارة وحـزن عـدم الحصـول عـلى شهادة دراسية ثم عاد إلى الجزيرة فيما بعد ذلـك ليعـيش مـرةً أخـرى عيشـة الفلاحـين.. ولذلك فهو يعرف جيدًا تعاسة تلك التجربة.

إن جزيرة «توكونوشيما» تقع في بؤرة رياح التيفـون الإعصـارية الموسـمية والتـي تسمى «إعصار جينزا» حيث تهب كل سنة رياح عاصفة شديدة، وفي كل مرة تهـب فيهـا تلك الرياح يتطاير هنا وهناك نصف كمية المحاصيل المزروعة بالجزيرة، وبعد كل إعصار كنت أشاهد أبي وهو يتنهد في حسرة ويقـول «لا يجـب أن يكـون المـرء فلاحًـا، أن يكـون المرء فلاحًا فقط فهذا لا يكفي للمعيشة»، لقد كنت مقتنعًا بما يقولـه أبي، فـالفلاح يبقـى طول السنة يعمل ويكد ملطخًا بـالطين ولا يجـد أي متسـع للوقـت ليقـوم بنشـاط آخـر بجانب الفلاحة التي تمتص طاقته كلها.

إن أكثر مواطني الجزيـرة حظًـا مـن ناحيـة وقـت الفـراغ الـذين يحصـلون عليـه بجانب عملهم هم الموظفون الحكوميون مثل موظفي مجلس محلي الجزيـرة والمدرسـين بالمدارس ورجال الشرطة وغيرهم، أما الأطباء فيأتون في المرتبة الأعـلى حيـث إن مسـتوى معيشتهم مرتفع، و الأطفال أيضًا يعرفون هذه الحقيقـة ولـذلك فقـد صـممت في قـرارة نفسي أن أصبح طبيبًا في يوم من الأيام.

إن السبب الأول في قراري أن أكون طبيبًا كان مـوت أخـي الأصـغر ـ كـما ذكـرت أكثر من مرة ـ أضف إلى ذلك التوجيهات التي تلقيتها من أمي وأبي منـذ أن كنـت طفـلاً صغيراً.

سؤال : ومتى بدأت الدراسة والتحصيل من أجل تحقيق ذلك الهدف؟

الإجابة: لقد حدث ذلك بعد فترة طويلة، لقد قضيت المرحلة الابتدائيـة بمدرسـة «كاميتسو» بالجزيرة، وحتى لو كنت أريد أن أصبح طبيبًا فلأنني كنت في منطقـة ريفيـة معزولة، فإن أحلامي وطموحاتي كانـت لهـا حـدود ولم أعـرف بالضـبط مـا يمكـن عملـه، ولأنني أيضًا لم أكن أعرف وسيلة الاستذكار والتحصيل فإنني لم أقم بأي خطوة محسوسة على الأرض، ومع هذا فقد كان ترتيبي الثامن من بين زملائي في الفصل وهم ثلاثين طالبًـا، كان هذا لأنني كنت متمتعًا وراضيًا بأن كوني ضمن العشرة الأوائل هـو أمـر أشـكر عليـه الآلهة.

وعندما كنت في الصف الخامس الابتدائي لم استطع حتى أن أكون ضمن العشرة الأوائل ولذلك فقد أصبت ببعض الإحباط، لكن ذلك لم يتعدى سوى اصفرار وجهي بعض الشيء.

تعلمت الإنـجليزية على يد شخص يسكن بالقرب مني :

إن الفترة التي تحسن فيها مستواي الدراسي كانت خلال المرحلة الإعدادية، وكان أول حافز دفعني للرغبة في الدراسة بجد هو اللغة الإنجليزية التي بدأت دراستها من الصف الأول الإعدادي، إنني لم أكن استطيع أن اقرأ ما كان مكتوبًا بالحروف الإنجليزية من جمل صغيرة قصيرة مثل : «I am a boy أنا ولد» «You are a girl أنت بنت». نعم لم أكن أستطيع أن اقرأ الحروف الإنجليزية مهما حاولت، فمثلاً لم أكن أعرف لماذا تنطق حروف (you) على أنها «يوو» ! كنت حين أجلس وحيدًا أشعر أنني غير مقتنع بأن تلك الحروف المكتوبة أمامي تقرأ بهذا الشكل الذي أسمعه، مع أن آخرين من زملائي بالصف كانوا يسترسلون في القراءة دون أن تبدو على وجوههم أية علامات للضيق أو التوتر.

ولأنني من النوع العنيد الذي لا يحب الاعتراف بهزيمته فقد صممت أن أعثر على من يساعدني في التغلب على هذه الصعوبة وأتمكن من قراءة اللغة الإنجليزية، وقتها عندما كنا نقوم بعصر أعواد القصب كنا نضع حجر الرحاية في المنتصف ونجعل البقرة تلف وتدور بعد أن نربط ظهرها بعصا غليظة مربوطة من طرفها الآخر بحجر الرحاية فتتم عملية العصر بهذه الطريقة،

وإنني أذكر يومًا ما حين كنت مع أبي نضرب البقرة من الخلف لكي تستمر في الدوران حول حجر الرحاية ففاجأته سائلاً إياه : «يا أبي إنني لن أستطيع فهم اللغة الإنجليزية تلك إلا إذا قام أحد بمساعدتي بصفة شخصية.. ألا تعرف شخصًا ما يقوم بهذه المهمة من أجلي؟»

إنني أذكر جيدًا تعبيرات وجه أبي حين وقعت على مسامعه تلك الكلمات حيث تملكته الدهشة والحيرة وكأن مصيبةً ما قد حلت عليه من السماء.

إن ابنه يقول له إنه يريد أن يتعلم ! إن أبي لم يكن يعرف القراءة والكتابة فهو لم يستطع حتى أن يحصل على رخصة لقيادة السيارات، وظل طول عمره يقوم بأعمال يؤديها كمساعد أو كرجل ذو دور ثانوي، ولكن لأن جدي كان قد حصل من العلم الكثير وعرف الدنيا تمامًا فإن أبي كان يدرك مدى الأهمية الشديدة للدراسة والتعلم.

طلبت منه أن أتعلم «الإنجليزية» وقد أدهشه هذا الطلب وجعله يشعر بالغبطة والسرور ليندفع فجأةً وهو يركض (إنني أذكر هذا المشهد الآن).

فعلى مسافة دقيقتين فقط مشيًا من منزلي كان هناك مدرسٌ يُقال عنه أنه يجيد الإنجليزية لكنه غريب الأطوار، وإذا كان قد درس الإنجليزية في مدينة كبيرة من مدن الجزر اليابانية الأم فلا عجب أن يكون إذًا غريب الأطوار، لقد تم الاتفاق على أن يقوم ذلك المدرس بتلقيني دروسًا في اللغة الإنجليزية بمعدل

عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة كل يوم، وقت الحصة الواحدة كان قصيراً حقًّا ولكن الحصص كانت كل يوم، كنت تقريبًا حين أعود من الحقل كل يوم عند الثامنة مساءً، كنت أعود إلى البيت فأغسل يديّ وساقيّ ثم أذهب إلى بيت ذلك المدرس دون أن أتناول العشاء، ثم أتلقى دروسًا في اللغة الإنجليزية بدءًا من الجمل المعهودة « I am a You are a girl, boy» إن اللغة الإنجليزية هي لغة الدولة المنتصرة في الحرب، لقد كنت أعرف ذلك وكنت كذلك أعي ـ على الرغم من أني كنت طفلاً ـ بفطرتي أن هذه اللغة سوف تكون اللغة ذات السيادة في العالم، ولأن هناك قواعد عسكرية فهناك مواقف سوف أشاهد فيها جنودًا أمريكيين، ومع هذا فليست هناك فرص للتحدث معهم، وعلى الرغم من أنني كنت أشعر بالتطلع والإعجاب باللغة الإنجليزية إلا إنني لم أكن أعرف كيف أدرسها، لكنني بعد أن دخلت المدرسة الإعدادية صارت لدي الفرصة لتعلمها، أي أنني كنت في مرحلة التعطش إلى اللغة الإنجليزية.

عندما كنت أذهب إلى منزل المدرس، كنت أعود إلى بيتي فأحفظ ما تعلمته منه وأبقى أكرره عشرات المرات وحتى موعد الدرس التالي كنت أقرأ ما درسته في الحصة السابقة أربعين أو خمسين مرة، فمثلاً أذكر تلك الجمل التي كنت أكررها مرات ومرات وهي :

«There is a garden in front of my house. There are tulips ».

(يوجد حديقة أمام منزلي، تحتوى على زهور التوليب)» ! كنت أشعر بفرحة غامرة لاستطاعتي القراءة فكنت أحفظ المزيد والمزيد من الجمل الجديدة، ولذلك فعلى سبيل المثال حين نكون في حصة اللغة الإنجليزية بالمدرسة عند الدرس العاشر من الكتاب المقرر أكون أنا قد سبقت زملائي وأدرس الدرس رقم الخامس عشر، وهكذا.

وخلال المرحلة الابتدائية كانت أفضل المواد التي أحبها وأبرع فيها هي مادة الرياضيات. لكنني كنت سيئًا للغاية في مادة اللغة اليابانية، كما أن خطي في الكتابة سيئًا للغاية، أما في المرحلة الإعدادية فقد اجتهدت في مادتي اللغة الإنجليزية والرياضيات، وحتى وصولي للصف الثاني الإعدادي كنت لا أزال أكره مادة اللغة اليابانية تمامًا، لكني أثناء لجنة امتحان هذه المادة كنت أشاهد زميلي الجالس إلى جواري وهو ينكب على ورقة الإجابة ويكتب دون توقف فكنت أشعر بغليان الدم في عروقي، ولأني كنت عنيدًا لا أحب أن أعترف بهزيمتي فقد أخذت أركز في دراسة اللغة اليابانية أثناء الصفين الثاني والثالث بالمرحلة الإعدادية، وبذلك أصبحت ـ على ما أذكر ـ في الترتيب الثاني أو الثالث بين أقراني في الصف، على أي حال فبالتأكيد كنت بين الخمسة الأوائل، هذا لأن الصف الدراسي بمثل هذا المكان الريفي لم يكن يتعدى عدد تلامذته الثلاثين فردًا، وحتى بعد أن دخلت المرحلة الثانوية فإن العدد لم يكن يتعدى ذلك.

وعندما كنت في الصف الأول الثانوي بمدرسة «توكونوشيما» الثانوية حدث أن عادت الجزيرة رسميًا إلى الوطن الأم اليابان وذلك يوم 1953/12/15. وبعد أن عادت الجزيرة إلى اليابان تم تغيير وضعنا بالمدرسة لنكون في الصف الثاني الثانوي، في تلك الفترة كنت أعاني من نزول سوائل من أنفي دون توقف ولذلك فقد أخذ مستواي الدراسي في الانحدار. في ذلك التوقيت بالضبط كان يقوم الطبيب المقيم بمستشفى جامعة «كيوشوو» بجولة علاجية في جزيرة «توكونوشيما». فعرضت نفسي عليه وأخبرني بأنني أعاني من مرض التهاب صديدي بالجيوب الأنفية وأنه عليّ أن أمتثل لعملية جراحية، فأحسست أن ذلك أمرًا خطير، لقد تصورت وقتها أنني قد أواجه الموت بسبب هذا المرض، فمنذ وفاة أخي الأصغر كنت قد تحولت إلى كتلة من الرعب من شيء اسمه «المرض» أو شيء اسمه «طبيب» ، ولذلك فحين صارحني الطبيب بأمر ذلك المرض كان رد فعلي الوحيد هو التسليم بأنني على مشارف الموت، ولهذا السبب ذهبت إلى «أوساكا» .

انبهاري الشديد بمستشفى كلية الطب جامعة «أوساكا» :

لقد رشح لي والديّ العلاج في «أوساكا» لإيمانهما الشديد بقوة ونبوغ الأطباء في تلك المدينة خصوصًا أن لهما تجربة سابقة في العيش هناك، أضف إلى هذا وجود بعض الأقارب الذين كانوا يسكنون «أوساكا» ذلك الوقت.

سؤال : **وماذا كان شعورك في أول مرة تذهب فيها إلى مدينة كبيرة مثل «أوساكا» ؟**

الإجابة : **كنت مسرورًا ولكن في نفس الوقت كنت أشعر بالخوف، فقد كنت أضع النقود التي سافرت بها من الجزيرة داخل نطاق البطن القماشي الذي كنت ألفه حول خصري حيث كنت أخشى أن يسرقها «أولاد الحرام» من أبناء «ياماتو» الجزيرة الأم، وكنت أستمع إلى أخبار جرائم القتل التي تحدث يوميًا في «أوساكا» معتقدًا أن عدد سكان «أوساكا» مثل عدد سكان جزيرة «توكونوشيما» فأشعر بالرعب الشديد.**

أضف إلى هذا أنني كنت أصاب بالتعب من ركوب السيارات والقطارات والسفن وكنت حين أستقل سفينة كنت أتقيأ على الفور، ولهذا فإذا ركبت السفينة عشرين ساعة متواصلة فقد كنت أواصل القيء حتى أتقيأ في النهاية سوائل المعدة مع الاهتزاز الكبير للسفينة، وقد شعرت بأنني أشرف على الموت في النصف الساعة الأخيرة قبل وصولي إلى ميناء «كاجوشيما». وقد نزلت من السفينة وتسلمت أمتعتي ثم ذهبت سيرًا إلى المحطة وهناك في محطة «كاجوشيما» شربت ماءً من الصنبور، ومنذ تلك اللحظة بقيت مدة أربعين ساعة متواصلة لا أستطيع أن آكل شيئًا أو أشرب حتى رشفة ماء حتى وصلت إلى «أوساكا».

ولأنني تعلمت إن تناول الطعام أمام الآخرين هو شيء مخزٍ فلم أتناول حتى وجبةً من تلك الوجبات الجاهزة أثناء رحلتي الطويلة، إن أبناء الريف هم على هذه الشاكلة، وقد لا يتفهم أبناء اليوم ما أقوله الآن، أضف إلى هذا أن القطار البخاري في ذلك الزمن كان يتصاعد منه هباب أسود، فحين تكون النافذة مفتوحًا ويدخل القطار إلى نفق ما تمتلئ عربة القطار بذلك الهباب الأسود، حينها أفاجأ بذلك الوضع، لكنـي لا أجد الوقت الكافي لإغلاق النافذة، فينتهي الأمر بي إلى أن يصب الجالسون أمامي على المقعد المقابل جام غضبهم عليّ.

وصلت أخيرًا إلى «أوساكا» وعرضت نفسي على الطبيب، لقد كنت أظن حتى تلك اللحظة أن الأطباء كلهم طاعنون في السن، لكني رأيت طبيبًا شابًا مقبلاً نحوي يرفل في روبه الأبيض فشعرت بهيبته ووسامته، أضف إلى هذا أن مستشفى جامعة أوساكا تلك كانت وحدها بمبانيها وأفنيتها أكبر من قريتي «كاميه توكو» وكان المرضى والعاملون داخلها أكثر من أهل قريتي، كما أن المستشفى من الداخل بأبنيتها وردهاتها كانت تشبه المتاهة.

ذلك الطبيب الشاب الذي كان مدرسًا بكلية الطب جامعة أوساكا قام بالكشف عليّ في تأنٍ وعناية، وكانت طريقته في الكشف والفحص تختلف تمامًا عن بقية الأطباء الذين تعاملت معهم، ومن هنا فقد شعرت بالإعجاب بهذه الجامعة، الحقيقة أنني قبل ذلك كنت قد تلقيت كشفًا طبيًا في مستشفى آخر،

وهناك نصحوني أن أمتثل لعملية جراحية على الفور، ولأنني كنت جبانًا رعديدًا فقد كنت أتمنى في زاوية ما من قلبي أن ينقضي الأمر كله دون اللجوء إلى مثل تلك العملية الجراحية.

لكن الطبيب المدرس بجامعة أوساكا لم يكن بتلك الدرجة مثل ذلك الطبيب الذي عرضت نفسي عليه في البداية، فقد قال لي : «دعنا نرى الأمر بعد سنة من تلقي العلاج ولنقرر بعدها ما إذا كنت تحتاج إلى جراحة أم لا».

كان أسلوب ذلك الطبيب في الحديث يعني إمكانية الخيارين : العلاج بالأدوية أو اللجوء إلى الجراحة، ولهذا السبب فقد شعرت بالثقة الكاملة في ذلك الطبيب، والحقيقة أن مدينة مثل «أوساكا» يقف فيها المنتظرون لإجراء عمليات جراحية طوابيراً طويلة حتى يحين دورهم، ولا يستطيعون إجراء عملياتهم بالسرعة التي يتمنونها فهو أمر خارج عن إرادتهم، ومن أجل هذا فإن قيام مثل هؤلاء المرضى بتقديم الهدايا إلى الأطباء المعالجين لم يكن أمرًا قاصرًا على «أوساكا» فحسب بل كان يحدث هذا في كل المستشفيات الملحقة بالجامعات، ولأنني لم أكن أعلم بمثل تلك الظروف وقتها فقد كان انبهاري بذلك الطبيب ذو الضمير الحي ليس له حدود.

قراري بالتحويل إلى مدرسة بأوساكا :

لقد أحسست أن هذه الجامعة جامعة ممتازة، ولهذا السبب فقد أخذت قرارًا بيني وبين نفسي أن ألتحق بالجامعة وأصبح طبيبًا، نعم.. قررت أن أتخرج

في هذه الجامعة التي يقول والديّ وأقربائي الذين أقمت عندهم في «أوساكا» أنها أفضل جامعة، ثم أصبح طبيبًا يستطيع أي طفل من أطفال الفلاحين أن يتلقى الكشف والعلاج على يديه، ولهذا فقد قررت وحدي وبيني وبين نفسي أن ألتحق بجامعة «أوساكا».

إنني لم أقرر دخول هذه الجامعة على أساس مقارنتي لها بجامعات أخرى أعرفها، فأنا حتى لم أكن قد شاهدت جامعة «كاجوشيما» التي هي أقرب الجامعات إلى جزيرتنا الصغيرة، قد أكون انبهرت أيضًا بجامعة «كاجوشيما» لو شاهدتها في البداية قبل جامعة «أوساكا»، لهذا فلم يكن عندي أساس للمقارنة بين جامعة «أوساكا» وأي جامعة أخرى، إذا كان أبي وأمي قد عاشا لفترة من الوقت في محافظة «كاجوشيما» ورشحا لي جامعة «كاجوشيما» لربما كنت قد ذهبت أولاً إلى تلك الجامعة وانبهرت بها.

عندما شاهدت جامعة «أوساكا» أحسست بالرغبة الشديدة في الانتقال من مدرستي إلى إحدى المدارس في مدينة «أوساكا»، ذلك لأنني كنت أعلم أنه لم يحدث أن دخل أحد من خريجي مدرسة «توكونوشيما» إلى أي من كليات الطب حتى كلية طب جامعة «كاجوشيما» وذلك منذ انتهاء الحرب، كان قد ذهب واحد أو اثنان.. أو في أفضل الأحوال ثلاثة من خريجي نفس المدرسة إلى كلية التربية بجامعة «كاجوشيما» ليس أكثر من ذلك، ولقد أحسست أنه إذا حدث وعدت إلى جزيرة «توكونوشيما» كما جئت منها فقد لا أستطيع أبدًا أن

أدخل كلية طب جامعة «أوساكا»، وهنا فبعد أن خرجت من بوابة جامعة «أوساكا» ذهبت على الفور إلى مدرسة اسمها «كيتانو» الثانوية، وقتها كانت امتحانات التحويل إلى تلك المدرسة قد انتهت لتوها، وعندما فاتحت الموظف المسؤول هناك بخصوص رغبتي في التحويل اعتذر لي على الفور وببرود شديد قائلاً لي إن هذا ضرب من ضروب المستحيل، ولم يقبل بطلبي للسماح لي بتلقي امتحانًا للتحويل حيث إنه لم تحدث سابقة من قبل لدخول طالب من مدرسة «توكونوشيما» الثانوية إلى تلك المدرسة ولا حتى مرة واحدة في التاريخ.

لكنني كنت مصرًا في داخلي على استكمال دراستي داخل واحدة من المدارس الثانوية الموجودة في «أوساكا» بأي وسيلةٍ كانت واضعًا في ذهني هدفًا واحدًا وهو دخول جامعة «أوساكا»، كان إحساسي وقتها أن مستقبلي سوف ينتهي إذا عدت مرة أخرى للاستقرار بجزيرة «توكونوشيما».

قد أستطيع القول إن مرحلة «الصفر» في حياتي كانت في ذلك الوقت، بالنسبة لي فإن كوني أصبح طبيبًا كان حلمًا من الأحلام، لكنها كانت المرة الأولى التي شعرت فيها بأن أحلامي قد بدأت تتجسد أمامي في صورة طريق تتضح ملامحه شيئًا فشيئًا، لكن هذا الحلم الذي كنت أتحدث عنه والذي بدأت تظهر نتائجه مجسدةً أمامي كان لا يزال في حيز التمني حيث كان الجميع سيسخرون مني إذا كنت سأتحدث عنه في هذه المرحلة المبكرة.

لكنني كنت أشعر أنني سأنجح في تحقيق هـذا الحلـم وكنـت أشـعر أن عـليّ أن أنفذه بالفعل على أرض الواقع، منذ ذلك الوقت كان يعتريـنـي حلـم اليقظـة هـذا بـأنني أصبحت طبيبًا يعالج المرضى مـن أطفـال الفلاحـين، حلـم اليقظـة برغبتـي العارمـة في أن أصبح طبيبًا، كانت مستشفى جامعة «أوساكا» تبـدو في عينـيّ مثـل المعبـد، وكـان يبـدو أطباء ذلك المستشفى مثل الملائكة يتألقون ويلمعون في أرديتهم البيضاء، وهكـذا صـارت كلية الطب جامعة «أوساكا» هي هـدفي المنشـود، ومـن أجـل هـذا كـان عـليّ أن ألتحـق بإحدى المدارس الثانوية في «أوساكا» ولقد قررت هذا أيضًـا في سريـرتي، ومـن هنـا فقـد بدأت في جولة بين عدة مدارس ثانوية ولم أتوقف عند مدرسة «كيتانو» هـذه، وفي هـذه المرحلة كنت قد بدأت أخطو خطـوات ملموسـة باتجـاه حلمـي الكبـير وباتجـاه الهـدف المحدد المرسوم أمام عينيّ، ومنذ ذلك اليوم صرت أدرس واحصل الدروس مثل كتلة مـن اللهب وأنا أشتعل حماسًا.

إن الهدف حين يتحدد فإن أسلوب الإنسان في الدراسة والتحصـيل يتحـول تمامًـا، لقد اندهش أقربائي الذين كنت أبيت عندهم، حيث قالوا لي أنهم سـمعوني أهـذي أثنـاء نومي باللغة الإنجليزية!

الفصل الثاني

أتطلع من الواحد إلى المائة

أدهشني طلاب المدارس الثانوية في «أوساكا»

مدرسة «اماميا» الثانوية هي المدرسة الوحيدة التي سمحت لي باجتياز التحويل إليها، امتحان هذه المدرسة لم يكن سهلاً على الإطلاق. فقد ذهبت مدرسة «كيتانو» الثانوية ومدرسة «أجيوكا» الثانوية، وبعدها مدرسة «أوحيماجي» الثانوية حتى وصلت إلى مدرستي الحالية «اماميا». كانت مدرسة «اماميا» الثانوية من المدارس الراقية قبل الحرب العالمية الثانية، لكن وقت تحويلي إليها كانت شهرتها أقل، وكان مصدر سعادتي أنها كانت مدرسة معروفة في «أوساكا»، وكان الفارق في المستوى العلمي بينها وبين مدرسة «توكونوشيما» الثانوية شاسعًا، وفي الحقيقة لم أكن آمل حتى في القبول بها. لكن كان هناك مدرس في تلك المدرسة وهو من محافظة «كوماموتو» يعطف علي، أنا الصبي الذي أتى من أقصى أقاصي «كيوشو». وكان يتكلم معي بطيبة ولطف، ولذلك قررت اختيار هذه المدرسة لأنتقل إليها، وبسبب فارق المستوى العلمي الكبير، كان يجب أن استذكر باستماتة بداية من شهر سبتمبر وحتى بداية العام الدراسي، وقررت أن ألتحق بالصف الثاني الثانوي بدلاً من الصف الثالث الثانوي.

لأنني بتأخير نفسي عام دراسي كامل، أستطيع أن أصل إلى نفس مستوى طلاب الصف الثالث الثانوي عندما أنتقل إليه، ولكن قيل لي لا يدخل كلية الطب بجامعة «أوساكا» من خريجي مدرسة «اماميا» سوى طالبين كل ثلاث سنوات تقريبًا، وبناء على ذلك يجب أن أكون الأول أو الثاني على المدرسة، وكي أحقق هذا بدأت بالدراسة في الصف الثاني الثانوي مرة أخرى، ولأن هدفي القريب كان الالتحاق بمدرسة لها سمعة تؤهلني لدخول كلية الطب بجامعة «أوساكا»، حتى لو زاد عدد أعوام الدراسة عام، ومنذ شهر سبتمبر السابق لبدء الدراسة للصف الثاني الثانوي وحتى الآن، وأنا لم أتغيب يومًا واحدًا سواء عن الدراسة أو عن العمل، لا أتغيب ولا أرتاح حتى في أيام الآحاد والعطلات الرسمية وأجازة رأس السنة ولا أجازة عيد «بون» (احتفال يقام 7/15 مستوحى من البوذية لاستقبال أرواح الأجداد وتقديم القرابين لهم). ومع خبو الانبهار بـ «أوساكا»، تحول انبهاري إلى طلاب الثانوي وهم يخرجون من مدرسة «كيتانو». الجميع يرتدون النظارات الطبية ويبدو عليهم الرقي، وشعرت أنهم من جنس آخر غيرنا وهذه طبعًا نظرة شخص جاء من «توكونوشيما»، وشعوري بأنه من الصعب عليّ مضاهاتهم أو المقارنة بهم حثني على الاستذكار أكثر بكل جهد وتركيز، وقاطعت جميع الأنشطة المدرسية مثل اليوم الرياضي واليوم الثقافي وكل النشاطات الأخرى.

ولأن طلاب مدرسة «توكونوشيما» الثانوية لا يذاكرون بهذا الجهد والكم، فكانت هذه أول سابقة لي أن أبذل كل هذا الجهد في الدراسة

والاستذكار، وعندما كان يحين امتحان منتصف الفصل الدراسي في اللغة الإنجليزية أو الرياضيات في الصف الثاني الثانوي في مدرسة «توكونوشيما»، كان المفترض أن يكون الامتحان في عشر صفحات من المقرر ولكن الأستاذ يقول «إن الامتحان منتصف الفصل الدراسي مفترض أن يكون في عشر صفحات، سأجعلها ثلاث صفحات فقط».

فيهلل جميع الطلاب فرحين ويلهون لا يستذكرون ويتعودون على عدم وجود روح أو رغبة المذاكرة عندهم، حتى بالنسبة لامتحان التحويل لمدرسة «اماميا» كان لا ينجح فيه إلا اثنين من تسعة عشر طالبًا التحقوا بالامتحان، فلم يكن سهلاً على الإطلاق، وأنا شخصيًا تعودت على بذل المجهود في اللحظات الأخيرة فقط، وكنت أيضًا محظوظًا لأن محتوى الكتب المدرسية في مدرسة «اماميا» الثانوية هي نفسها في مدرستي السابقة «توكونوشيما». وكانت أسئلة الامتحان من نفس الأجزاء التي ذاكرتها وحفظتها من قبل.

صدمة ثم صدمة :

كان ترتيبي الأول في امتحان التحويل، وكنت أعتقد أنني إذا عدت إلى دراسة الصف الثاني الثانوي مرة أخرى، سيكون ترتيبي الأول على الفصل، ولكن وبعد بداية الدراسة مباشرة وفي امتحان القدرات تلقيت صدمة كبيرة، لم تكن النتيجة جيدة.

نعـم، في امتحـان القـدرات لشـهر أبريـل كـان ترتيبـي 161عـلى 450 طالبًـا، واندهشت وصدمت بشـدة لهـذه النتيجـة، كانـت درجـاتي في اللغـة اليابانيـة 18 درجـة واللغة الإنجليزية 23 درجة وفي الرياضيات 33 درجة.

بهذه النتيجة لن أستطيع تحقيق شيء، لذلك أخذت أركز على امتحانات منتصف الفصل الدراسي ونهاية الفصل الدراسي، يجب أن أستميت من أجل الحصول عـلى المركـز الأول أو الثاني في هذين الامتحانين، وخاصة أنني أستعد من قبل بداية الفصـل الـدراسي، لكن في امتحان القدرات التالي كان ترتيبي الثامن عشر أو العشرـين مـن بـين 50 طالبًـا، وتكرر هذا الترتيـب عـدة مـرات، وفي الامتحـان التجريبـي للصـف الثالـث الثـانوي كـان ترتيبي الخمسين على المدرسة، وهكذا أصبح الالتحـاق بجامعـة حكوميـة مسـتحيلاً إذا لم أحصل على أحد المراكز العشر الأولى.

وبدأت أندم على دخولي مدرسة«اماميـا» الثانويـة وأشـعر أن الطـلاب فيهـا مـن جنس مختلف، والأدهى من ذلك أنني غاليت في طموحي وأريد الالتحـاق بكليـة الطـب بجامعة «أوساكا»، وأصبحت في حيرة من أمري ولا أعرف ماذا أفعل؟ كنت دائـم التفكـير في حل لورطتي وأنا أبكي تارة أو أنظر إلى القمر وأقـول لنفسيـ: إنهـا غلطـة العمـر، لقـد طلبت من والدي أن يوافق على إلحاقي بمدرسة ثانوية في «أوساكا» وكـان ذلـك لرغبتـي في الالتحاق بكلية الطب بجامعة «أوساكا» بعد ذلك، وقد قال لي والدي في ذلـك الوقـت «أنا لا أملك

المال كي تذهب إلى «أوساكا» وتلتحق بالمدرسة الثانوية هناك»، ولكنني تمسكت برغبتي بشدة وقلت له: إن هذه المرحلة هي الفيصل في حياتي وهي المباراة التي سيتقرر على أساسها مستقبلي، عندئذ قال والدي «أنت ابني الكبير، لذلك سأبيع الحقل الذي ورثته عن الأجداد ويجب عليك أن تتمكن من دخول كلية الطب بجامعة «أوساكا» قبل بيع آخر شبر في ذلك الحقل.

إذا لم تستطع دخول الكلية مُتْ :

اعتقدت أن أمامي فرصة للالتحاق بجامعة «أوساكا» قبل بيع آخر شبر في حقل أبي، لكن لم أكن أتصور أن درجاتي ستكون سيئة لهذه الدرجة، وتذكرت أبي وهو يودعني بميناء «توكونوشيما» قائلاً «إن الرجل الحق هو الذي ينفذ كلمته، وإذا لم يفعل فهو ليس رجلاً، أنت خرجت كي تلتحق بكلية الطب بجامعة «أوساكا»، فإذا لم تستطع فلا تعود إلى «توكونوشيما». اتفقنا؟»

وقد قال لي والدي أيضًا ألاّ أرجع في عطلات الربيع والصيف لأن تذاكر السفر مكلفة، وفعلاً لم أرجع لمدة أربعة أعوام وهي أعوام الدراسة في الصف الثاني والثالث الثانوي ثم عامان بعد تخرجي من المدرسة الثانوية استعدادًا لامتحان دخول الجامعة، ولأن أبي قال لي «إياك أن تطأ قدماك أرض «توكونوشيما» إذا لم تدخل كلية الطب بجامعة «أوساكا»، ولو فكرت أن ترجع، فارمي نفسك في البحر أو على خطوط السكة الحديد في الطريق من «أوساكا» إلى «توكونوشيما» ».

إذا قفزت في البحر أو ألقيت بنفسي على خطوط السكة الحديد فسوف أموت، هل هذا ما يعنيه أبي؟ المشكلة أن الالتحاق بجامعة «أوساكا» يتطلب درجات عالية لا يمكن أن أحصل عليها، لكن ليس أمامي سوى الاستماتة في المذاكرة، لابد أن أتمكن من دخول جامعة «أوساكا». وأنا لا أملك الشجاعة كي أحاول دخول جامعة أخرى , إن الموت هو مصيري إذا فكرت في دخول جامعة أخرى، ماذا أفعل؟ واستغرقت في التفكير في هذه المشكلة وتذكرت قول أبي لي إنه لا يوجد شيء لا نقدر عليه إذا كرسنا حياتنا من أجله، لذلك قررت أن أكرس حياتي ونفسي للدراسة والمذاكرة وكتبت على دفتر جدول الدراسة (حياة أو موت). وأنا وحتى الآن أكتب على دفتر أعمالي (حياة أو موت) و(الإخلاص) و(الحب، المجهود، الصبر، أقصى طاقة)، وفي الصفحة الأولى أكتب مرة أخرى (حياة أو موت)، أكتبها في عدة أماكن كي أذكر نفسي. فأنا إنسان كسول وغير صبور، ومن الشخصيات التي لا تجتهد إذا لم تكن مضطرة أو مضغوطة، وقد قررت أن أحاول المذاكرة بجد، ولكني لم أكن أعرف كيفية ذلك، وفكرت أنها معركة امتحانات دخول الجامعة كما يقولون ولذلك يجب في المعركة أن أعرف نفسي. وأعرف عدوي جيدًا، وأعدائي أو منافسي هنا هم الطلاب الذين يحتلون المراكز العشرة الأولى، فإذا استطعت أن أتخطى هؤلاء العشرة ربما أمكنني دخول كلية الطب بجامعة «أوساكا»، يجب أولاً أن أتعرف على وجوههم، وعندما دققت وجدت أنه خلال امتحان أو امتحانين أن نفس الوجوه هي التي تحتل المراكز العشرة الأولى في كل مرة.

وبدأت أشعر بعقدة النقص تجاه هؤلاء الطلاب المتفوقين الذين يحتلون المراكز العشرة الأولى وأتساءل كيف هي عقولهم؟ كنت أشعر كأن عقولهم من ذهب أو ما إلى ذلك؟ وأن عقلي أنا لا يحتوي إلا على المخلفات والقمامة، وبهذا الإحساس كنت عندما أتطلع إليهم أرى وجوههم تنم عن ذكاء خارق ومقارنة مع وجهي الريفي، وأحسست أنني أنهزم أمامهم لمجرد النظر لوجوههم فقط، علاوة على أن جسمي صغير وطولي 167سم فقط، وأقرأ ببطء وفي الحساب أيضًا بطيء، فأنا مثلاً عندما أريد أن أحسب حاصل ضرب 8×4 لا أستطيع الإجابة بسهولة إلا إذا عكست العدد إلى 4×8 فأتذكر أن حاصل الضرب 32، كنت أنهزم دائمًا لضعف مستواي ولم أتفوق عليهم ولو مرة واحدة، لا يجب أن أدخل في معركة خاسرة.

إذن، ماذا أفعل؟ إذا استسلمت وجب علي الموت، ألا يوجد شيء أتعادل به مع هؤلاء الطلاب؟ وفكرت بجد ووجدت شيئًا واحدًا.

التفوق بفارق الوقت :

إن العام 365 يومًا واليوم 24 ساعة، ولا أعتقد أن يوم أعدائي أو منافسيي ستة وعشرون ساعة ويومي أنا أربعة وعشرون ساعة، إذن نحن متساوون في الوقت، ومن الممكن أن أتفوق عليهم بالوقت أيضًا، لذلك قررت أولاً أن أنام ستة ساعات وبذلك سيتبقى ثمانية عشر ساعة في اليوم، لكن منافسيي يقرؤون عشرة ساعات في اليوم، وأنا لو أقرأ حتى ستة عشر ساعة في

اليوم، فلأنني بطيء، ستكون محصلتي هي نفس محصلتهم، ولأنني لا أستطيع القراءة إلا على طريقة تلاميذ المدرسة الابتدائية وهي قراءة حرف حرف، وحتى الآن مازلت كذلك والجميع من حولي يعرفون ذلك، إذن سيتفوق عليّ، وهكذا فنحن غير متساويين من الناحية العملية، وبناء على ذلك فأنا لا أملك شيئًا واحدًا يجعلني أفضل منهم.

إذن، ماذا أفعل كي نكون متساوين؟ وكما هي في قصة الأرنب والسلحفاة، سأستمر في العمل في وقت راحة العدو، ما هي الأوقات التي يرتاح فيها العدو؟ هي أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية وأجازة رأس السنة، ولذلك قررت ألا أستريح تلك الأيام أبدًا.

لكن، عندما فكرت في الموضوع بعمق أكثر، وجدت إن الطلاب المتفوقين يذاكرون حوالي أربعة عشر ساعة يوميًا، وأنا لو ذاكرت حتى ستة عشر ساعة سيكون مستواي بالكاد متقارب معهم. ويمكنني أن ألحق بهم خلال أيام الأسبوع ولكن بالتدريج سأبتعد عنهم ثانية ويمكن أن أستعيد ما فقدته يوم الأحد، وإن كان التفكير بهذه الطريقة محبطًا جدًا، لكن لا يوجد أمامي سوى المحاولة، وحتى يحين لي أن أحيا حياة كريمة، لا يجب أن أستريح أبدًا، وبدأت في العمل دون راحة حتى في أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية وعطلة رأس السنة وأول يوم في السنة أيضًا، كان يجب أن أجلس إلى المكتب وأستذكر على الأقل ساعتين أطول من منافسيي، لكن لو قللت عدد

ساعات النوم عن ستة ساعات، ستقل كفاءتي. إذن أي الأوقات يمكن أن اقتصدها من أجل المذاكرة؟ وكيف أجعل وقت الجلوس إلى المكتب للمذاكرة أطول من أعدائي؟ لا يوجد سوى أن أقلل من عدد الساعات المستخدمة في الحياة اليومية، مثل وقت تناول الطعام والذهاب للمرحاض ووقت الاستحمام، هذه هي فرصتي الوحيدة للفوز في المنافسة، لذلك لو فعلت كما كانوا يقولون قديمًا «الأكل بسرعة والإخراج بسرعة واحدة من الفنون»، وقد كان أبي يقول إنه لم يسبق لشخص يأكل ببطء أن نجح في حياته، إذا أكلت بسرعة في ثلاث دقائق، وقضيت في المرحاض دقيقتين، سيكون ذلك توفيرًا لوقت لا بأس به، أما الاستحمام فسأجعله مرة كل عشرة أيام، وهكذا بدأت التدريبات باستماتة على تناول الطعام بسرعة والإخراج بسرعة ولكن المشكلة كانت أنني لم يسبق لي أبدًا أن جلست إلى المكتب للمذاكرة في «توكونوشيما» لمدة ستة عشر ساعة، كنت دائمًا أنعس وعندما أتنبه عند منتصف الليل أجد أنني كنت ناعسًا وأن لعابي قد سال على الكتاب، إذن لا يوجد معنى للأكل بسرعة والإخراج بسرعة إذا كان الوقت سيضيع في النعاس.

لذلك فكرت جديًا في حل لهذه المشكلة وهي كيف أتغلب على النعاس أثناء المذاكرة، أولاً حاولت أن أعض على شفتي بشدة، ثم حاولت أن أوخز ظهر يدي بالقلم الرصاص، لكن لم يفلح ذلك، لأنني عندما أنعس تتراخى عضلات ذقني ويدي، بعد ذلك فكرت في أن أحضر إبر وأضعها على الجانبين كي توخزني كلما نعست ولكن هذه الوسيلة أيضًا لم تفلح.

اكتشاف طريقة «هز الركبتين» :

وأثناء حيرتي، حدث كما يقولون «لما ضاقت، فرجت». فأنا في بداية حياتي في «أوساكا»، كنت عندما أرجع إلى مسكني، أشعر بوجود ضوضاء شديدة لأن الحوائط من الخشب الرقيق، فقررت أن أذاكر في مكتبة «ناكانوشيما» العامة حتى الساعة التاسعة مساءً، وبعد ذلك أرجع إلى السكن فيكون قد أصبح هادئًا، وكنت وأنا أذاكر في مكتبة «ناكانوشيما» حتى التاسعة أو التاسعة والنصف مساءً أنعس، وعندما أنتبه وأنظر حولي أجد أن حوالي ثلاثة أشخاص من حوالي مائة شخص جالسين في المكتبة هم فقط المتيقظين ويستذكرون بجد، وكانت أمي تقول لي دائمًا «انظر لأحوال الناس وأصلح حالك». وعندما نظرت للأشخاص الذين يذاكرون بجد، وجدت واحدًا منهم يهز ركبتيه، وعندما نظرت إلى الناعسين، وجدت أن أقدامهم ثابتة على الأرض، ولم أجد شخصًا واحدًا منهم يهز ركبتيه وهو نائم، وفكرت في أنه إذا حركت قدمي، سيتحرك رأسي أيضًا؟ وهنا قررت أن أهز ركبتي أنا أيضًا، ولكن هز الركبتين ليس أمرًا سهلاً، فهو كما في تدريبات الرقص أو التدريب على ركوب الدراجة، تركز انتباهك على قدميك وبالتالي لا تتحرك يديك بسهولة، أي تصبح حركة القدم واليد غير متوافقة، وعندما تحرك يديك تتوقف قدميك، إنه أمرٌ صعبٌ، لذلك قررت أن أهز ركبتي فقط عندما أشعر بالنعاس، فذلك أفضل من النعاس. وعندما ظللت أنا في هز ركبتي عدة أشهر، أصبحت لا أنتبه لحركة ركبتي، بل بالتدريج تطابقت سرعة يدي مع سرعة هز

ركبتي، هنا شعرت أنني توصلت إلى معرفة طرق النجاح في الحياة، وهـو تنـاول الطعـام بسرعة والإخراج بسرعة وهز الركبتين، هذه هي القواعد الثلاثة للنجاح في الحياة.

ما هي الحياة؟ الحياة ببساطة هي الوقت الذي نقضيه منذ الميلاد وحتى المـوت، هذا الوقت، هل استخدمناه في شيء فعـال؟ هـل اسـتطعنا أن نـؤثر في أشـخاص كثـيرين خلاله؟ هذه هي الحياة، وهذه هي الأوقات المهمة في حياتك وليس النقود أو الثروة.

عندما يطلب منا الأهل أن ننقذ حياة أطفالهم، هذا يعني أن نمد في أعمارهم أي الوقت الذي يحيونه، هناك أشخاص يعملون بنشاط وجد، فمثلاً عنـدما يقومـون بغسـل الملابس فهم يضعون الغسيل في الغسالة ويقومون بالتنظيف خلال ذلـك الوقـت، هنـاك من الناس من يقضي نصف ساعة في تناول الطعام وربع ساعة في المرحاض، وهذا مضيعة للوقت، إن الأطباء دائمًا يقولون، امضغ جيدًا وأنت تأكل، أعتقد أن المضـغ لـيس مشـكلة كبيرة، لأنه يمكننا أن نبلع الأكل بالماء، هنـاك أشـخاص كثـيرون يفعلـون ذلـك، يمكننـا أن نبلع الأكل بالماء كي ننتهي سريعًا من تناول الطعام، هناك أشـخاص لا يسـتطيعون مضـغ الطعام، مثل الذين لديهم مشكلات في أسنانهم ويتألمون مـن تنـاول الطعـام عليهـا، هـل حدث لهم قرحـة في المعـدة مـثلاً بسـبب عـدم مضـغ الطعـام جيـدًا ! وإذا حـدث ذلـك فسيصبح جميع المسنين مصابون بقرحة في

المعدة، إن الشائع هو أن يصاب الأشخاص الغير موفقين في عملهم أو الذين شركاتهم على وشك الإفلاس بقرحة في المعدة، لذلك هناك أطباء يقولون: إنه يجب أن تمضغ الطعام جيدًا قبل بلعه ولكن هذا القول دليل على جهلهم أو أنهم ليس عندهم شيئًا آخر يقولونه، لا يوجد ضرورة للاستماع إلى مثل هذا الكلام، يمكننا أن نبلع الطعام بالماء ويمكن لأي شخص أن يفعل ذلك.

مجموعة طقوس الصباح :

إن عملية الإخراج السريع هي تقنية، ولو فكرت في الإخراج عن طريق شرب الماء فلن يمكنك ذلك، لأن الماء يخرج من فتحة مختلفة، أما التقنية التي أعنيها فهي التدريب، أي التدريب على الإخراج السريع وبالتدريب يمكن لأي شخص أن يفعل ذلك.

عندما أستيقظ في الصباح أشعر برغبة في التبول، وإذا ذهبت إلى المرحاض على الفور سأتبول بسهولة، لكن لن أستطيع التبرز إلا بعد مرور بعض الوقت، إذن هذا الوقت خسارة ولا يجب أن نضيعه، وبعد تساؤلي عن طريقة للإخراج من الأمام والخلف في وقت واحد، بدأت أعمل بعض التجارب على ذلك، وكنت متحمسًا لعمل هذه التجارب. فعندما أستيقظ في الصباح وأشعر برغبة في التبول، أتحامل على نفسي- وأجري لأغسل أسناني، لأنني لو استجبت لرغبتي الفورية في التبول، عندما أذهب للمرحاض سأتبول فقط ولن أستطيع التبرز، لذلك أنا أحبس البول وأنا أغسل أسناني مما يجعل

جسمي كله يرتعش، مما يجعلني أغسل أسناني سريعًا وفي دقيقة بدلاً من ثلاث دقائق، ومع الانتهاء من غسل أسناني تكون شدة اهتزاز جسمي جعلت البراز يتحرك وأشعر برغبة في الذهاب إلى المرحاض، ولكنى لا أذهب، بل أحلق ذقني، ومن شدة تماسكي تتم عملية الحلاقة بسرعة أيضًا، وعندها أكون قد بدأت أشعر أنني سأتبول لا إراديًا ولكن يجب ألا يحدث ذلك، أبلل وجهي بالماء سريعًا وآخذ المنشفة وأجري إلى المرحاض وهنا أكون مستعدًا للإخراج من الأمام والخلف معًا وفي نفس الوقت، وذلك وأنا أجفف وجهي بالمنشفة، بعد ذلك أمسح مؤخرتي وأخرج من المرحاض، والمذهل أنه بعد مرور ثلاثة أشهر من هذا التدريب كل صباح، عندما كنت أذهب لأغسل أسناني قبل النوم وعندما أضع الفرشاة على أسناني، كنت أشعر بالرغبة في الذهاب إلى المرحاض، وهكذا صار هناك ارتباط شرطي للأفعال التي أقوم بها وبدأت تقنية الإخراج السريع تعمل.

فن المحترفين في «هز الركبتين» :

هناك عدة طرق لعملية «هز الركبتين». فأنا عندما أجلس إلى المكتب للمذاكرة، أشعر بالنعاس بعد ساعة ونصف تقريبًا، لماذا؟ لأن أي شخص عندما يفرد ظهره على مرتبة السرير ينام، لأنك عندما تسند ظهرك على شيء، تشعر بالراحة والاسترخاء ويحدث رد فعل بالرغبة في النوم، لذلك فإنك عندما تغوص في المقعد وتلصق فخذيك على قاعدته، لا تستطيع أن تهز ركبتيك مهما

حاولت، ولكني أستطيع فعل ذلك، لأنني محترف قديم منذ خمسة وعشرون عامًا، أما بالنسبة للهواة، فهو أمر مستحيلاً.

إذن، ما هو الوضع المثالي لحركة «هز الركبتين »؟ إن الوضع المثالي هو أن تبعد ظهرك ووسطك عن مسند وظهر المقعد، وأن تجعل ظهرك مفرودًا ومستقيمًا وتستند على المرفقين، وهنا سينفصل فخذيك عن قاعدة المقعد بشكل طبيعي، ثم تكمش ساقيك وتستند على أطراف قدميك، وهكذا تستطيع أن تهز ركبتيك كما يحلو لك. أما بالنسبة لي فأنا أستطيع أن أهز ركبتي معًا أو كل واحدة بالتناوب، ولا يمكن أن تستذكر ببطء وأنت تهز ركبتيك حتى لو حاولت فعل ذلك، لأنه لابد أن توفق بين سرعة هز الركبتين مع سرعة المذاكرة ودون توقف، وأنا كنت مخطئًا عندما اعتقدت أن الجلوس أمام المكتب لأكثر من ستة عشر ساعة يوميًا سيسبب لي قلة الحركة، لكن مع هز الركبتين أو تبادل هز الركبة اليمنى واليسرى لأكثر من ستة عشر ساعة في اليوم، كأنك مشيت حوالي عشر كيلومترات. وهكذا كنت أذاكر بهذه الطريقة، لكن للأسف ففي الواقع لم ترتفع درجاتي، فعندما كنت في الصف الثالث الثانوي، كان ترتيبي الخمسين على أحسن تقدير، ولذلك لم أستطع أن أتفوه برغبتي في الالتحاق بكلية الطب بجامعة «أوساكا».

الاستعداد عامان لامتحان دخول الجامعة :

سؤال : حسنًا، هل التحقت بامتحان دخول الجامعة سرًا؟

إجابة : كان الأستاذ المشرف على فصلي في الصف الثاني والثالث الثانوي اسمه «تسوتسوي»، وكان لطيفًا وفي غاية الطيبة معي، وكنت ألجأ إليه لمشاورته وطلب نصيحته في موضوع التحاقي بالجامعة، ولأنه سألني «أية جامعة تريد الالتحاق بها؟»، ابتسم عندما أجبته «أريد أن التحق بكلية الطب بجامعة «أوساكا»». فقال لي «من الأفضل أن لا تدخل الامتحان، لأنك لن تجتازه، أنت أعدت الصف الثاني الثانوي وبالتأكيد لن تستطيع أن تتأخر عامًا آخر بعد التخرج من الثانوية لتستعد لامتحان دخول الجامعة؟ فأنت تحتاج إلى عامين من الاستعداد كي تلتحق بكلية الطب بجامعة «أوساكا»». وهنا تقدمت بجسمي كله للأمام، وسألته «هل سأنجح في الامتحان إذا استعددت لمدة عامين؟». مؤكد أن أستاذي اعتقد أنه إذا قال لي هذا سأستسلم وأترك فكرة الالتحاق بجامعة «أوساكا». ولذلك قال لي «نعم، كيف أشرح لك؟ عمومًا، إذا واظبت على بذل الجهد لمدة عامين، فربما يمكنك ذلك، نسبة قبولك وعدم قبولك متساوية». فقلت له «أستاذي، من فضلك، ساعدني على الالتحاق بكلية الطب بجامعة «أوساكا»». وقد التحقت فعلاً بامتحان هذه الجامعة فقط وليس جامعة أخرى، وقد اندهش الطلاب الذين حضروا لاجتياز امتحان دخول جامعة «أوساكا» كثيرًا، عندما عرفوا أنني من مدرسة «اماميا» الثانوية وقالوا لي: إن مدرستك تملك الكثير من الشجاعة بأن سمحت لك باجتياز امتحان دخول كلية الطب بجامعة «أوساكا». أثناء الامتحان كانت ورقة إجابتي شبه خالية وعندما كنت أنظر لأوراق إجابة الطلاب المحيطين بي كنت أجدها

مملوءة بالإجابات وورقتي أنا فقط معظمها بيضاء، لذلك عندما انتهى الامتحان، لم أذهب للوقوف مع الطلاب المتجمعين يسألون بعضهم «هل أجبت جيدًا؟» أو «هل لم تستطع الإجابة؟» بل وقفت لوحدي في مكان منعزل، لأنني كنت أخجل من الإجابة على هذا السؤال، فلقد كان موقفًا قاسيًا بالنسبة لي أن أجيب عن أسئلتهم، ودون أن أطلع على نتيجة الامتحان، ذهبت إلى طوكيو وقصدت صديقًا لي يعيش فيها، ثم تقدمت للالتحاق بمركز إعداد الطلاب لامتحان دخول الجامعات في منطقة «سوروكادي». لكن للأسف فشلت أيضًا في دخول هذا المركز، وفي النهاية قبلت في مركز «يويوكيكاكوين». وهناك أخذت الدرجة النهائية في أول امتحان رياضيات وكان اسمي معلقًا على الحائط وكنت مبهوتًا من هذه النتيجة، لكن منذ تلك المرة ونتائجي كلها كانت سيئة، كان شيئًا يدعو للرثاء والأسف، وعندما ذهبت للامتحان التجريبي، كان هناك طالب صغير السن وجسمه نحيل يجلس بجانبي وكنا في امتحان اللغة اليابانية وقد أنهى هو الامتحان وجلس يتلفت حوله بينما لم أكن انتهيت إلا من ثلث الامتحان فقط، وتعجبت من اختلاف السرعة بيننا، أنا بطيء في القراءة، فبينما انتهي من قراءة صفحة واحدة، يكون الأشخاص سريعي القراءة قد انتهوا من قراءة خمس صفحات، هذه فعلاً الحقيقة، وكنت ضعيف في اللغة اليابانية وفي حيرة من أمري، ماذا أفعل حيال ضعف مستواي؟

اجتياز امتحان دخول جامعة «أوساكا» على غير المتوقع :

بعدما مكثت عامين بعد التخرج من الثانوية استعد لامتحان دخول الجامعة (بجانب العام الذي قضيته مرة أخرى في الصف الثاني الثانوي)، أصبحت متأخرًا ثلاثة أعوام عن السن الطبيعي، عندما التحقت بكلية الطب بجامعة «أوساكا». ولكني كنت محظوظ وموفق أن اجتاز امتحان دخول تلك الكلية، فبما أنني ضعيف في اللغة اليابانية، كان ينبغي أن أحصل على الدرجات النهائية في كل من الرياضيات والعلوم والمواد الاجتماعية، لكنى تركت سؤالاً في كل من الرياضيات والعلوم، ولذلك فقدت الأمل في الحصول على الدرجات النهائية. ولأنني ضعيف في اللغة الإنجليزية، فقد حصلت على درجة خمسون فقط، ولكن في اللغة اليابانية حصلت على درجة 78 وكنت الثالث على الطلاب المتقدمين لامتحان دخول كلية الطب بجامعة «أوساكا» في هذه المادة، وقد كانت هذه النتيجة مغايرة تمامًا لنتيجتي في الامتحانات التجريبية السابقة فى هذه المادة، فجامعة «أوساكا» تظهر جميع درجات الامتحانات.

ومن العجيب أنني اكتشفت قوتي في أوقات الجد، وكنت قد بدأت بحل امتحان المواد الاجتماعية وكانت الأسئلة مكتوبة بطريقة رأسية (AB ثم CD ثم EF) ولكنني أجبت بطريقة أفقية (ABC ثم في السطر التالي DEF). ولكنني انتبهت لخطئي قبل نهاية الامتحان، وتحيرت لبرهة هل أترك الإجابة

على هذا الشكل؟ أم أمحوها وأعيد كتابتها مرة أخـرى؟ وخشـيت أن يعتقـد المصـححون أنني أجبت الإجابة الخطأ، فبدأت ويدي ترتعش بمحو الخطأ.

سؤال : هل كان الوقت كافيًا لتمحو الخطأ وتعيد كتابة الإجابة مرة أخرى؟

إجابة : انطلـق جـرس نهايـة الامتحـان وكنـت مازلـت في منتصـف إعـادة كتابـة الإجابة مرة أخرى. وجـاءوا لجمـع أوراق الإجابـة مـن الأمـام، فطلبـت مـنهم أن يبـدءوا بجمعها من الخلف وكنت مستميتًا في إعادة كتابة الإجابة مرة أخرى ولكـن الوقـت كـان ضيقًا وجاءوني بعد ذلك وأنا لم أنتهي من التصحيح وطلبوا ورقة إجابتي.

وفي الوقـت الـذي كـان يجـب أن أحصـل عـلى درجـة 98 في المـواد الاجتماعيـة، حصلت على درجة 90 فقط، وكان قبولي بكلية الطب بجامعة «أوساكا» معجزة بالنسـبة لطالب جاء من منطقة «أمامي». خاصة وأنني لم أكـن مـن المتفـوقين، وعنـدما قبلـت في جامعة «أوساكا»، آمنت بأنه إذا صمم الإنسان على فعل أي شيء في حياته، فإنه يستطيع تحقيقه، يستطيع تحقيق كل ما يتمناه، وبذلك حددت حوالي 90% من مفهومي لفلسفة الحياة.

سؤال : بماذا شعرت بعد أن التحقت بالجامعة؟

إجابة : عرفت تمامًا أنني أستطيع تحقيق أي شيء أفكر فيه، وإذا لم أستطع فذلك لأنني لم أبذل الجهد الكافي، بالطبع إن الأشياء المستحيلة يكون تحقيقها مستحيلاً، ولكن مع ذلك يجب ألاّ نتنازل عن أحلامنا وأن نحاول مهما كانت العوائق، كان قبولي بجامعة «أوساكا» شيئًا عظيمًا للدرجة التي جعلتني أثق في أنني أستطيع تحقيق أي شيء أتمناه، وأنه لا يوجد حلم لا يمكن تحقيقه، فقد كان دخولي جامعة «أوساكا» من المستحيلات، وهأنا قد انتهيت من أكثر شيء أكرهه وأصبح كل شيء تاليًا لذلك سهلاً ومريحًا، يمكنني أن أموت الآن في أي وقت، ولكن قبل ذلك، كان لا يمكنني الموت، حتى لو تمنيته، بل كان لا يمكنني التراجع خطوة واحدة، وهكذا أصبح كل شيء زاهيًا ومشرقًا بعدما تخطيت معضلة امتحان دخول الجامعة.

سؤال : وأنت طالب ألم تشعر بأنك سئمت المذاكرة؟

إجابة : طبعًا شعرت، فدائمًا كنت أرى أمي وأبي وهم محبوسون في جزيرة صغيرة ومحملون بالأعباء والهموم، على الرغم من امتلاكهم لكثير من الطاقات والملكات الخاصة. وكنت أتذكر أمي تعمل منذ الخامسة صباحًا وحتى الثانية عشر عند منتصف الليل وكنت كلما أفكر في ذلك لا أستطيع الفرار من المذاكرة حتى لو رغبت في ذلك.

سؤال : قلت أنكم كنتم تبيعون الحقل بالقطعة، فهل تبقى جزء منه عندما دخلت الجامعة؟

إجابة : نعم، تبقى بعض الأجزاء، لكن بعد دخول الجامعة أيضًا بقينا نبيع في أجزاء الحقل لأنني كنت أعمل عملاً وقتيًا ولم يكن الدخل يكفيني للمعيشة، ثم مات أبي وأنا مازلت في الصف الرابع بالجامعة عام 1963م، فقمت ببيع باقي الحقل وأخذت أمي وإخواتي الأصغر مني وعدت إلى «أوساكا».

وأصبح مصير العائلة بكاملها على كاهلي، لو لم أقم ببيع الحقل لكان إخواتي الأربعة الأصغر مني بلا مستقبل الآن، وأنا لي أخت أكبر مني ولكنها كانت متزوجة وكنت أنا الولد الكبير وكنت معوّلاً على أنني سأصبح طبيبًا، لذلك أخذت أذاكر بجد حتى عندما كنت كارهًا للمذاكرة، فأنا أكره المذاكرة بشدة، وحتى الآن هي أكثر شيء أكرهه، ومع ذلك كنت أذاكر طوال الوقت ماعدا ست ساعات هي وقت النوم، ولم يكن عندي سوى التمسك بالدراسة والمذاكرة، ليس حبًا في ذلك، ولكن رغمًا عني، كنت أيضًا أكره اللغة الأجنبية وأكره مذاكرتها، وعندما تخرجت من الجامعة قلت في نفسي، أخيرًا انتهيت من المذاكرة.

طبعًا فحص المرضى أو القراءة الحرة لا يعد من المذاكرة، فأنا أكره المذاكرة وخاصة التي تتبعها امتحانات، أكرهها بشدة، وذلك لأنني ظللت أذاكر ودون توقف ولا يومًا واحدًا، فعلاً كانت أيام امتحانات دخول الجامعة هي أقسى أيام حياتي بالمقارنة مع الدراسة في الجامعة، وأنا الآن ومهما حدث لي،

لا أشعر بنفس الضغوط التي كانت لدي عندما كنت أستعد لامتحان دخول الجامعة.

إن إنشاء مستشفيات أو دخول الانتخابات لا يعد شيئًا على الإطلاق، مقارنة بامتحان دخول الجامعة، بل إن إنشاء مستشفيات أو دخول الانتخابات يعد معارك مريحة ومرفهة.

إن الشيء الأول في الأهمية بعد أن يحدد الإنسان هدفه هو أن يعرف كيف يحقق تلك الأهداف وأسلوب تحقيقها ويكون عنده استعداد نفسي لتحقيقها، لو عرف الإنسان هذا، سوف يتمكن من عمل أي شيء وكل شيء.

سوف يتمكن من تحقيق كل ما يريده، وهذا ما تعلمته من تجربتي الشخصية عند الاستعداد لامتحان دخول الجامعة.

الفصل الثالث

الاستعداد النفسي عند اختيار الزوجة

فترة الحب الأول :

سؤال : لقد سمعت عن تلك القصة الرومانسية لحبك الأول لزوجتك مدام هيديكو والتي كانت لا تزال مستمرة حتى أثناء أيام الامتحانات أيضاً. فهل زوجتك تصغرك بعام؟

إجابة : نعم هذا صحيح، وربما تعود نظرة كلانا إلى الأخر باعتباره من الجنس الأخر إلى المرحلة الإعدادية، آنذاك كان عدد المنازل الموجودة في قرية كاميتوكو لا يتجاوز 500 منزل، وكان إجمالي عدد السكان يقترب من 2500 نسمة، ولذلك كان جميع أهل القرية يعرفون بعضهم جيداً فرداً فرداً، ولكونها قرية صغيرة فقد كان كل سكانها يعتبرون أنفسهم أسرة واحدة أو أقرباء، وكان أي فرد منهم يعرف شخصية وطبائع الآخرين بما في ذلك طبائع أطفالهم ودرجاتهم الدراسية وأي شيء أخر عنهم، وحتى داخل أسرتي أيضاً كان كثيراً ما يدور الحديث فيما بيننا عن هيديكو، بالطبع كنا نتحدث عن الأطفال الآخرين أيضاً غير أن والدي كان يصفها دائماً بالذكاء والهدوء كما كان يشيد بحسن أخلاقها، وأصبحت أشعر بوجودها بشكل أو بأخر بعد سماعي لهذا الكلام عنها، وبصراحة فقد حدث أن شعرت بالانكسار والهزيمة أمام زوجتي ذات مرة وذلك حينما كنت في الصف الدراسي الثالث وحصلت هيديكو

وحدها على الدرجات النهائية في مادة الحساب واحتلت المركز الأول بين جميع التلاميذ في اختبار عقد على مستوى جميع المدارس.

وبذلك هُزمت أمامها وأثبتت هي تفوقها عليَّ رغم أني كنت أسبقها في الدراسة حيث كنت في فرقة دراسية أعلى منها، ولذلك فقد قررت ألا أشترك في أية مسابقات أو اختبارات بين المدارس مرة أخرى.

نقاط التحول التي لا أزال أتذكرها :

سؤال : تتبعك الدائم لزوجتك في طريقها إلى المدرسة للتعبير لها عن حبك هو أمر معروف للجميع، ولكن أين عبرت لها عن حبك؟

جواب : كان ذلك للتشابه الكبير في مواعيد الذهاب للمدرسة فهي تخرج من منزلها في الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً، ولكون الأولاد أسرع في خطواتهم ولذلك من الطبيعي أن يسبقوا البنات تقريباً في نفس المكان، ولكن أن أسبقها كل يوم وفي نفس المكان أمراً لا يعد طبيعياً.

تقع مدرسة توكونوشيما الثانوية في منطقة كاميتسو. وكنت أسير في طريق منحنى موازى لساحل البحر من كاميتوكو. وعلى مسافة مائة متر تقريباً من القرية كان الطريق يأخذ شكل منحني بسيط ويميل جهة اليمين.

وكنت أتتبعها عند هذا المنحنى الموازى لساحل البحر، وربما كانت هناك صور تعود لذلك المكان التقطها صديق لي بشكل سرى بناء على طلب مني باعتبار ذلك المكان مكاناً للذكريات.

وربما كان التقاط تلك الصور قد جرى قبل ذهابي لأداء اختبارات الانتقال للمدرسة الجديدة في مدينة أوساكا.

وقد حدث أن استذكرنا أنا وهيديكو سوياً بعيداً عن أعين الآخرين مرتين مرة في منزلي وأخرى في منزلها خلال الصف الثالث الإعدادي أو الأول الثانوي، ورغم ما يقال من أننا كنا نذاكر دروسنا سوياً فنحن لم نكن نذاكر أبداً وإنما كنا نردد عبارات التهكم والسخرية التي كان التلاميذ يطلقونها على المدرسين.

وكالمتوقع لأنني كنت أحبها فلم أتمكن من الاستذكار بجدية، ولذلك فقد خطرت على بالي فكرة تغيير المدرسة.

إذا لم أكن انتقلت إلى تلك المدرسة الموجودة في أوساكا والتحقت بوظيفية في توكونوشيما فربما كنت أيضاً تزوجت من هيديكو زوجتي الحالية، نظراً لأنه في مكان صغير مثل توكونوشيما إذا أحب شخصان كلاهما الأخر يكتشف الأمر للملأ على الفور فمن الطبيعي أن يتزوجا بعد ذلك.

المصافحة في لحظة الوداع عند حظيرة الأبقار :

في أحد الأيام وبينما كنت ذاهباً إلى مدرسة إيماميا تواعدت مع هيديكو على اللقاء في حظيرة للأبقار وقلت لها «من الآن سأذهب لاجتياز اختبار الالتحاق بمدرسة ايماميا الثانوية مضحياً بعام دراسي كامل، وإذا لم أنجح في هذا الامتحان فستكون الحياة أمامي صعبة أما إن نجحت فربما سأتمكن من الالتحاق بكلية الطب في جامعة أوساكا بعد أربعة سنوات». ثم سألتها وأنا أمد يدي لها لأصافحها «فلتصافح».

وهنا خرجت هيديكو ربما خجلة إلى خارج الحظيرة واختبأت مني وراء ستار منخفض يشبه الحصيرة ملحق بالحظيرة لحمايتها من الأمطار وأشعة الشمس، فتقدمت أنا خطوة واحدة وصافحتها من خلف ذلك المكان بحيث كان كل منا لا يرى وجه الأخر، بعد ذلك لم أعد إلى توكونوشيما طوال أربعة سنوات وكنت أرسل لها رسالة أو رسالتين شهرياً ولكني لم أكتب لها أية خطابات غرامية.

أما الرسائل التي بعثت بها هيديكو فلا، فقد جاءتني رسالة منها عندما تخرجت من مدرستها الثانوية سألتني فيها عن رأيي في مكان العمل الأفضل لها من بين اختيارين محددين هما مكتب السجل المدني و بنك كاجوشيما فرع توكونوشيما.

وقد وقع اختيارها على هاتين الجهتين تحديداً لأنهما أفضل مقصد للباحثين عن الوظائف في الجزيرة، ورأيت أن العمل قد يكون شاقاً في مكتب السجل المدني كلما أجريت الانتخابات فنصحتها باختيار البنك، وآنذاك كانت هناك عادة التراهن بين أبناء القرية حين تجري مسابقات مصارعة الثيران، غير أنه خلال فترة إجراء الانتخابات أيضاً كان الجميع يتراهنون على من سيفوز فيها مما يؤدى إلى وجود صخب شديد، ولكون أهل كل البلاد الواقعة في جنوب اليابان يتميزون بالحماسة والعاطفة فقد كان حجم المراهنات يصل إلى حقل زراعي (غيط) أو اثنين أو ما يماثل ذلك من الرهانات الضخمة بالنسبة للأمرين (الانتخابات ومصارعة الثيران)، كما كانت هناك مسابقات (مصارعة الديوك) والتي كانت مزدهرة على أوجها هي الأخرى.

ومع كل مرة تجرى فيها الانتخابات كانت توازيها حركة تنقلات وترقيات في المكاتب الحكومية، وهو نفس الأسلوب المتبع في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويبدو أن هيديكو اختارت العمل في البنك لذلك السبب، إنها تستمع دائماً إلى كل شيء أقوله. وفي الأغلب يعود ذلك إلى اعتقادها بأننا حتماً سنتزوج حسب ما يشاع في القرية، ولم يقتصر هذا الاعتقاد عليها وحدها فأنا أعتقد أن الأمر كان كذلك على الأغلب سواء في منزلي أو منزلها.

وبالنسبة لي فقد رسبت في امتحان الالتحاق بجامعة أوساكا فكتبت لها رسالة فحواها كما يلي : «لم أستطع دخول الجامعة كما كنت أتمنى وبالتالي فسوف أعيد الامتحان للعام الثاني على التوالي». وكنت أكتب لها رسالة أو رسالتين كل شهر تقريباً، ومن جهتها فقد كانت هيديكو تراسلني برسائل مليئة بالعبارات الغرامية بين الحين والأخر وبصراحة كنت أشعر بفرحة وسعادة تجاه ذلك الأمر، ولكن نظراً لكوني أستذكر دروسي وفي أوج معركة وضعت لها شعار (إما الحياة أو الموت) فقد كنت أبذل قصارى جهودي وأنسي أي تأثير لتلك المصافحة عند حظيرة الأبقار وأحفز نفسي على النجاح بكل ما لدي من عزيمة وإصرار.

غضبي بسبب التدخل في شؤوني الخاصة :

لقد سبق أن شعرت بالإهانة وجرح كرامتي مرة واحدة، وهو ما دفعني حينئذ للغضب الشديد، فقد كنت أشعر وكأني أقاتل في ميدان معركة، ولذلك فقد كنت أريد ألا يتدخل أحد في شؤوني، وفي العام الثاني لاستعدادي لإعادة اجتياز امتحان دخول الجامعة وكان ذلك تحديداً في فصل الربيع جاءني خطابان متتاليان أحدهما من والدتي والأخر من هيديكو، وبمجرد قراءتي للرسالتين وجدت بهما عبارات عديدة تذكرني بصعوبة الالتحاق بجامعة أوساكا وتقترح عليَّ الدراسة بجامعة أسهل بدلاً منها، ورغم اختلاف العبارات المذكورة في

الرسالتين فقد أحسست بأن ثمة اتفاق ما قد تم بين هيديكو من ناحية وأمي من ناحية أخرى.

وكتبت لكل منهما رسالة مضمونها أنه من غير المسموح بـه التـدخل في المعركـة التي أخوضها كرجل، وإنني لن أرسل ولن أستقبل أية رسـائل مـن الآن فصـاعداً وذيلـت الرسالتين بكلمة وداع.

لقد غضبت فعلاً، كانـت هـذه هـي المـرة الوحيـدة التـي تـدخلت فيهـا أمـي في شؤوني. لقد رسبت عامين متتاليين في امتحان دخول الجامعة كما كنت قـد ضـيعت عامـاً أخر عند الانتقال لمدرسة ثانوية من قريتي إلى أوساكا، وهكذا فقد تأخرت ثلاث سنوات، ولذا فقد كان أمر طبيعي أن تشعر أمي بـالقلق والخـوف عـلى مسـتقبلي، ولكنـي كنـت أواصل السير على النهج الذي قررته لنفسي وهو تحديد أهداف تتجاوز قـدراتي الحقيقيـة بمقدار مائة ضعف. ولذلك فقد كان ما ورد في الرسالتين نصائح طبيعيـة ولكنـى شـعرت بالإهانة، ورغم ذلك فسرعان ما نسيت تماماً كلمـة الـوداع تلـك بعـد أن اجتـزت بنجـاح امتحان الالتحاق بجامعة أوساكا في العام التالي، وبعـد إعـلان نتيجـة الامتحـان وقبـل أن تبدأ الدراسة في الجامعـة عـدت إلى قريتـي، ولأنـه كـان مـن النـادر الالتحـاق بالجامعـة متأخراً بفارق ثلاث سنوات فيبدو أن أفراد أسرتي كانوا يشعرون بالخجل كلما كـان هنـاك سؤال يتعلق بي حتى تلك اللحظة.

فقد كان الناس يسألون والدي «إن ابنك يقول إنه أنهي دراسته الثانوية في أوساكا ولكن أين ذهب بعد ذلك؟». وهنا كان أبي يرد في خجل قائلا «لا إنه يأخذ الأموال فقط منا ولكننا لم نسمع أنه دخل أية جامعة، ولذلك ربما يكون قد ذهب إلى جامعة النوادي الليلية» .

ولكن مما لاشك فيه أن ذلك أساء لكرامتي وجرحني، عندما عدت إلى القرية ذهبت مع والدي إلى الحمام العام وكان هناك ثمة شعور باستعادة كرامتنا.

ولقد كنت أنا أيضاً مسروراً عندما عدت بعد أربعة سنوات، وكالمتوقع كانت هيديكو هي أول من أردت أن ألتقي بها، وما أن ذهبت إليها مستقلاً الدراجة وكانت هيديكو تعمل بفرع البنك وكان الوقت لا يزال أثناء ساعات العمل الرسمية حتى جاءتني مسرعة دون أن تفكر حتى في تغيير الشبشب الذي كانت ترتديه.

ويبدو أن هيديكو أيضاً كانت تتلقى التهاني من العاملين في البنك والوافدين إليه، فهذه طبيعة القرية وسكانها، وآنذاك تحدثنا حتى في المنزل أيضاً وذهبنا معاً إلى شاطيء البحر والتقطنا لأنفسنا صوراً باستخدام الميقات الذاتي في الكاميرا، و فجأة ذكرت هيديكو أنها تريد الالتحاق بالجامعة، وكانت تنال الترتيب الأول خلال المرحلتين الابتدائية والإعدادية وكانت أفضل مني في الدرجات، وقلت لها أنها ستستطيع بالتأكيد أن تحقق ما كانت تعزم على تحقيقه

وأضفت قائلاً «عندما نسلك معاً نفس الطريق ونبذل الجهد أو عندما نكون في نفس الموقف فسوف يتكون الحب، أما إذا كبر أحدنا فقط وأصبح هناك فارق كبير بيننا فسوف يكون من الصعب أن ينشأ الحب بيننا أليس كذلك؟». ربما كانت تلك الكلمات التي نطقت بها لهيديكو قاسية جداً عليها، ولكن ما قصدته هو أنني كنت أبحث عن مكان أجد فيه الحب والتفاهم المتبادل بيننا خلال تلك الفترة التي كنت أسير فيها إلى الأمام نحو تحقيق هدفي، وبالطبع كنت أتمنى لهيديكو أيضاً أن تصل إلى نفس المستوى وكنت أتمنى أن تدرس بكلية الصيدلة أو بكلية أخرى في حجمها بالجامعة لعلمي أنها متفوقة أكثر مني وأيضاً لكون ذلك الأمر ممكناً بطبيعة الحال بالنسبة لها، وربما كانت كلماتي تلك أقرب إلى الأمر لهيديكو، ومما لاشك فيه أنها ما كانت ستصل إلى هذا المستوى إلا إذا توافرت لها الرغبة هي نفسها.

عرض زواج من عروسة غنية :

كنت أعمل مدرساً خصوصياً أثناء مذاكرتي بعد عودتي إلى أوساكا وذلك كعمل جانبي، وفي تلك الفترة بالضبط كنت أقصد منزل مدرسة فنون تنسيق الزهور وكانت هي بطبيعتها تحب أن تقدم خدماتها للناس فكانت تقوم بدور يشبه دور الخاطبة، وكانت تتردد على منزلها أيضاً فتاتان لتعلم فنون تنسيق الزهور على يديها، وهما ابنتا طبيب، ولذلك فقد عرضت عليّ فكرة الزواج بإحداهما منذ أن كنت طالباً مع عدم ممانعتها في إتمام الزواج خلال تلك الفترة

أي قبل تخرجنا، وكانت الفتاتان تجلسان خلف الباب المنزلق المزركش (أبواب توجد في المنزل الياباني التقليدي مصنوعة من الخشب ويعلق عليها ورق معين يرسم عليه أبيات شعر مشهورة أو صور لطيور الخ). وكنت أجلس في مواجهة ذلك الباب وأتدرب على فنون تنسيق الزهور، وكانت الاثنتان قد أتمتا دراستهما الثانوية في مدرسة كيتانو الثانوية ثم التحقت إحداهما بجامعة كوبي للصيدلة والأخرى بجامعة أوساكا للصيدلة. وذكرت لي هذه المدرسة أن المال الذي ستقدمه أسرتهما لكل منهما لتجهيزها عند الزواج يبلغ مائة مليون ين وذكرت أن الأسرة ستقوم بإنشاء عيادة لكل من الابنتين عندما تتخرج وتصبح طبيبة، وكانت ملامح وجههما جميلة وتتمتعان بالرشاقة، وبصراحة كنت سعيداً وفرحاً بهذا العرض.

وإذا قارنت هيديكو بهما أجدها لم تحصل على أي مال من أسرتها لدى زواجها وكانت تعاني من سوء التغذية بدرجة كبيرة، وعلاوة على ذلك فمؤهلها لم يتجاوز الشهادة الثانوية، لقد فكرت لفترة بشأن عرض مدرسة تنسيق الزهور للزواج من إحدى ابنتي ذلك الطبيب غير أنني لم أتزوج أياً منهما.

فبينما كانت والدتي تعمل كانت تذكر لي بشكل دائم قصص أشخاص من قريتنا حققوا النجاح في حياتهم العملية وكيف وصلوا إلى المرتبة العالية التي احتلوها، وكانت أيضاً تحدثني دائماً عن أشخاص خالفوا العرف والتقاليد

المتبعة وتزوجوا من بنات تنتمي إلى أسر عريقة من خارج جزيرتنا باحثين عن الحسب والنسب ولذلك فقد تخلوا عن بنات في جزيرتنا كانوا وعدوهن بالزواج من قبل.

ولذلك فلم أكن أرغب أبداً في أن أصير مثل ذلك النوع من البشر الأنانيين الذين يفتقرون إلى المشاعر الإنسانية النبيلة.

بعد ذلك بدأت هيديكو الدراسة استعداداً لاختبار الالتحاق بجامعة أوساكا متأخرة عني عاماً واحداً، غير أنها كانت السند الرئيسي الذي تعتمد عليه أسرتها في تدبير مصروفات المعيشة، ولذلك كانت أسرتها ومدير البنك الذي تعمل فيه يعارضون مسألة مواصلتها الدراسة في الجامعة، وأرسلت لي رسالة تذكر لي ذلك وشكاوي كثيرة أخرى. وهنا طلبت منها الحضور للمذاكرة في أوساكا على أن أستقبلها بحلول العطلة الصيفية، وكان طلبي هذا في شهر يونيو، وهو ما يعني أن نسكن معاً تحت سقف واحد وبالتالي فقد كان ذلك بمثابة التقدم لطلب يدها.

مراسم الزواج المؤقتة وأيام الزواج الأولى :

وفي العطلة الصيفية ذهبت لاستقبال هيديكو ولكن والدتها ارتأت أنه مهما كانت المذاكرة مهمة فطالما سيصل الأمر إلى سكننا معاً في أوساكا فيجب عقد مراسم الزواج المؤقتة، وذلك من منطلق حرصها على مصلحة ابنتها، إن مراسم الزواج الأسرية المقصود بها عادة يابانية تقوم على إجراء مراسم الزواج

بشكل مؤقت على مستوى أفراد الأسرتين فقط أولاً قبل إعلانها بشكل رسمي، وقمنا بالفعل بعقد تلك المراسم في منزل هيديكو قبل يوم واحد من مغادرتنا الجزيرة.

وكنا نحن الاثنان لا نعلم شيئاً عن تلك الأمور التي قام والدا كل منا بمناقشتها فيما بينهم، ولذلك فحتى ذلك الوقت لم أكن أدرى أن هذا الأمر سيتم فعلاً، لم أكن مستعداً بعد لأن أتحمل مسئوليات الكبار لكني وجدت أن الوقت قد حان لتحملها، بدأت حياتنا كحديثي الزواج بتأجير غرفة كتلك التي يستأجرها الطلاب الآخرون بمنطقة مينوئوشى في مدينة أوساكا لكنها كانت فظيعة، فأولاً لم تكن هناك أموال لدينا، كما كان على هيديكو أن تذاكر دروسها، وفي الوقت نفسه كانت مضطرة لإعداد الطعام لنا بما أننا نعيش معاً في منزل واحد وبالتالي فلم تكن تستطيع الاستذكار.

وخلال العام الأول فشلت هيديكو في اجتياز اختبار الالتحاق بالجامعة وقمنا بعد ذلك بالاستذكار مؤقتاً كل منا في مسكن منفصل، وكنت ألتقي بهيديكو كلما كانت تذاكر دروسها في مكتبة ناكانوجيما كما كنا نذهب لنبيت عند أختي الكبرى، وكانت تلك الأيام التي نقضيها معاً ممتعةً حقاً.

وفي العام التالي نجحت هيديكو أيضاً في الالتحاق بكلية الطب في جامعة كينكي، غير أنه كان عليها سداد مصروفات المحاضرات والتبرعات المقدمة للكلية وإجمالها ثمانين ألف ين، ولم يكن عملي الجانبي يكفي لسداد ذلك

المبلغ، ولقد عانينا معاناة صعبة وقاسية، وعلاوة على ذلك فقد أنجبت هيديكو ابننا الأكبر وابنتنا الكبرى خلال فترة دراستها الجامعية وحصلت على أجازة لمدة عام مرتين عندما وضعت كلاً منهما، وهكذا فقد استغرق الأمر ستة سنوات كاملة حتى استطاعت أن تتخرج، هذا بخلاف وفاة أبي حينما كنت في الصف الرابع الجامعي ومجيء والدتي وإخوتي من القرية، فآنذاك قطنت كل من هيديكو ووالدتي وأخي الأصغر مسكناً شعبياً ودخلت أنا مساكن الطلاب نظراً لضيق المسكن.

أقسمنا على الإخلاص لبعضنا البعض :

ربما عانت هيديكو كثيراً غير أنها تحملت تلك المعاناة بثبات لكونها من بنات قرية توكونوشيما، ولهذا السبب فربما لم يكن بمقدورها التحمل إذا كانت ابنة طبيب من أوساكا. فالأشياء الرخيصة لها قيمتها، لقد كانت هيديكو تقتنع بأي شيء أقوله طالما أنه يخرج من لساني أنا، ولذلك فقد كانت كل الأمور تسير على ما يرام.

إن الاستعداد النفسي هو الأهم بالنسبة للإنسان، فإذا كان الاستعداد النفسي سليماً وخالياً مما ينقصه فلن يشعر الفرد بالخوف مهما حدث، وسيعيش الزوجان معاً في سعادة، وإذا كان الموقف أو الاستعداد النفسي لكل منهما محدداً فلن يكون هناك أي شيء يشعران بالخوف تجاهه.

فليس من المهم أن يتمتع الطرف الأخر بالجمال الآخاذ أو الثروة أو المكانة الاجتماعية المرموقة.

سؤال : هل تقصد أن المال المقدم من الأسرة لتجهيز ابنتها حين زواجها أو جمال العروس ليس أهم شيء؟

إجابة : نعم هذا صحيح... فعلى سبيل المثال إذا افترضنا أنني اخترت الزواج من فتاة بالغة الجمال والذكاء، فربما تكون في مقابل ذلك فتاة مستهترة لا تتوانى عن خيانة زوجها بسهولة، لقد سمعت منذ أيام خبراً عن زوجة جميلة لطبيب كانت تقيم علاقات متشعبة مع العديد من أصدقائها الرجال وأنها قتلت على يد أحدهم لهذا السبب، فيكفي ذلك للشخص أن يجرب الزواج من امرأة جميلة وذكية ومن عائلة ذات حسب ولكنها سيئة الأخلاق حتى يعرف فظاعة ذلك الأمر، فذلك الزوج صاحب القدرات الحقيقية المتميزة لن يقدر على تحفيز قدراته واستغلالها، فإذا كانت زوجته من النوع اللعوب سيظل يشك فيها ويتصل بها هاتفياً رغم وجوده في مكان العمل، وربما كانت الزوجة قد خرجت فعلاً للتسوق في ذلك الوقت، ولكن زوجها يرجع إلى المنزل ليتأكد بنفسه من عدم خيانتها له، وهكذا يتحول الزوج تدريجياً إلى إنسان مضطرب نفسياً.

فالحياة بين هذين الزوجين تصبح مستحيلة مهما كانت القدرات التي يتمتعون بها، فالمهم هو ما إذا كان الإنسان ذو نفس قوية أم لا، ولذلك فمن

ضمن القدرات الحقيقية للفرد القدرة على اختيار شريك الحياة واختيار الوظيفة والشركة، فإذا كانت شخصية أحد الطرفين سيئة فسوف يشعر الطرف الأخر بالضيق ولن يتمكن من إنجاز أي شيء في عمله وذلك مهما كان يمتلك من قدرات.

وهو ما يعني أنه يجب أن نختار شريكًا لحياتنا من نستطيع أن نثق فيه ثقة تامة ويكون مخلصاً لنا ومتوافقاً معنا.

والآن سأخرج بعض الشيء عن الموضوع الأصلي وأتحدث عن الشركات، فحتى في الشركات نفسها يتطور ويترقى كل من يدين للشركة بالولاء والإخلاص ويشعر تجاهها بالثقة المطلقة، ولذلك فكل من يتمتع بالإخلاص التام والثقة المطلقة يتقدم ويؤدي أعماله على نحو جيد.

وعلى وجه الخصوص بعد الحرب أصبحت كلمة «الإخلاص» مهملة ويُعتقد أنها أخلاقيات قديمة عفى عليها الزمن ولم تعد تستخدم بعد، غير أن هذه الكلمة في الحقيقة تنطوي على أمور مهمة للغاية.

ويقصد بكلمة «الإخلاص» تلك العلاقة البشرية النابعة من القلب التي تميز بها الرجال عندما كانت توجد طبقة الساموراى (المحاربون القدامى). وكانت تلك العلاقة تنبع من المشاركة معاً في الحرب والمخاطرة معاً بالأرواح في سبيل النصر، فلم يكن من الممكن أن يشك أحد الجنود في آخر أثناء القتال، وفي الواقع يحافظ الجنود الذين يشتركون معاً في القتال على علاقتهم كزملاء

حرب إلى درجة استعدادهم لتقديم أرواحهم فداء للأخر، ونظراً لأن مفهوم «الإخلاص» يتمثل في تحويل تلك العلاقة إلى علاقة واقعية في الحياة اليومية بصفة دائمة وبذلك يصبح «الإخلاص» أسمى العلاقات الإنسانية.

وإذا شعر الزوجان أو الأصدقاء بهذا الالتزام بالإخلاص النادر وجوده في عصرنا الحالي فلن يشعروا بأي خوف، فعلى سبيل المثال وكما ذكرت للتو أنه إذا كان للفرد زوجة يستطيع أن يتبادل معها العهد على الإخلاص التام فبالتأكيد سوف يتقدم الزوج ويترقى في عمله، وذلك حتى لو كانت قدراته الحقيقية أقل من الآخرين، ولقد أقسمت أنا على أن أقوم بتغيير الرعاية الطبية في اليابان والعالم، وقد أقسمت على الإخلاص المطلق في سبيل تحقيق هذه الغاية، ولكوني مخلصاً بشكل تام تجاه زوجتي وعالماً بما داخل قلبها فأستطيع أن أنهمك في العمل في معترك الحياة وأنا مطمئن، وهو ما مكنني من تحقيق كافة أهدافي برغم أنها تبدو مستحيلة من الوهلة الأولى.

وهناك الكثيرون من الأشخاص النابغين الذين يتخرجون من جامعة طوكيو وكليات الطب لكنهم في الغالب يقبلون على العمل بالتدريس لا لشيء سوى لحمل لقب الأستاذ الجامعي أو البحث عن المكانة الاجتماعية والشهرة.

وحينما يتعلق الأمر بالحياة الإنسانية فإن أهم شيء هو الاستعداد النفسي للفرد، وذلك من حيث وجود طرف آخر يمكن أن يخلص له بشكل تام، وإذا توافر الإخلاص تجاه فكرة أو مبدأ معين يتقدم الناس بشكل كبير جداً، فمثلاً

أنا مخلص بالنسبة لفكرة تغيير وضع الرعاية الصحية في اليابان والعالم، كما يتقدم الزوج عندما ينجح في اختيار زوجة يمكن أن يتعاهد معها على الإخلاص التام وعندما يوجد رئيس عمل ومرءوسون يربط الإخلاص التام فيما بينهم.

فالمهم هو الاستعداد النفسي ولا علاقة للقدرات بالموضوع.

وإذا رجعنا بذاكرتنا للوراء ونظرنا للأحداث التاريخية نجد أن طوكوجاوا إيياسو وهيديوشى تويوتومى قد سارا خلف أودا نوبوناجا. كما سار خلفه أيضاً أكيتشى- ميتسوهيدى. كذلك سار خلف ايماجاوا يوشيموتو وشينجين تاكيدا و أويسوجى كينشين قادة عسكريين مهرة ينتمون لعائلات عريقة.

غير أنه مع نوبوناجا كان الموضوع سيفشل إذا لم يعاهدونه على الإخلاص التام، أما نوبوناجا نفسه فقد زوج ابنته للابن الأكبر للقائد العسكري إيياسو. وتذكر بعض الوثائق التاريخية الموجودة أن ذلك الابن كان شخصاً غريب الأطوار غير أنه في الحقيقة ليس كذلك، ففي الواقع أنه كان يمتلك قدرات حقيقية كبيرة جداً. فقد كان هو أفضل حتى من ابنه الأكبر هو نفسه أي ابن نوبوناجا، ولذلك فقد شعر نوبوناجا بأن بقاء ابن ايياسو على قيد الحياة لن يكون في مصلحته، ولذلك فقد جعله ينتحر بطريقة الهاراكيرى أي شق البطن بالسيف، وبالرغم من ذلك فقد أقسم إيياسو على الإخلاص

لنوبوناجا رغم غضبه من قتل ابنه بهذه الطريقة، فقد كان يرى في نوبوناجا قيمة أهم من حياة ابنه.

لقد كان الإخلاص في ذلك العصر - عصر الإخلاص الحقيقي - يتجاوز الروابط الأسرية في أحيان كثيرة، ولذلك فمن الصعب فهمه وفقاً للوعي السائد في عصرنا هذا، فلقد أقسم طوكوجاوا إيياسو على الإخلاص لقائده نوبوناجا رغم مقتل ابنه الأكبر، ولذلك فقد استطاع أن يصبح هو الأخر أحد القادة العسكريين البارزين.

وأتحدث فيما يلي عن الشيكارى (أخف أنواع العقاب المتبعة في عصر ايدو) الذي تعرض له هيديوشى. فحينما اتجه هيديوشى للقتال في منطقة هوكوريكو كان قد وضع تحت إمرة شيباتا كاتسو إييه، ولم تسر الأمور بين الاثنين على ما يرام، ولذلك ظهر انطباع بأنه ستكون هناك حركة عصيان مسلح، وما أن علم نوبوناجا بذلك حتى أرسل في طلب هيديوشى وقام بسجنه في القلعة.

ورغم ذلك ظل هيديوشى في سجنه في القلعة يدين بالولاء والإخلاص تجاه نوبوناجا، ولذلك فقد استطاع أن يصير هو الآخر أحد القادة العسكريين البارزين.

لقد وضع نوبوناجا كلاً من هيديوشى و إيياسو تحت إمرته استناداً إلى الثقة التامة فيهما نتيجة لإخلاصهما التام له، وكذلك نفس الأمر مع القائد

العسكري أكيتشى ميتسوهيدى. لقد كان هذا القائد شخصاً لا يمكن الثقة فيه بشكل تام وبرغم ذلك فقد كان نوبوناجا يثق فيه تماماً، فقد كان يلاحظ عليه الطاعة والإخلاص غير أن ذلك كان مظهراً خارجياً فقط لا غير وكان هو فقط من كان مظهره يدل على الإخلاص ولكنه ليس مخلص.

ولم يكن يُخلِص لنوبوناجا ولذلك فقد شن هجوماً عليه أي على نوبوناجا في معبد هونوجى. ولكن لكونه لا يتمتع بالوفاء والإخلاص فقد عاقبته الأقدار وقُتل بعد ذلك الحادث بثلاثة أيام فقط، ولو فُرض أنه كان وفياً ومخلصاً تماماً لنوبوناجا ربما لم يكن لقي مثل هذا المصير، وفي الواقع لم يكن أحد يعرف تحديداً من منهما كان قائدًا عسكريًا أفضل، نوبوناجا أم أكيتشي ميتسوهيدي.

ولذلك فمن المهم للبشر امتلاك مشاعر الإخلاص التام تجاه الشركة ورئيس العمل والمرءوسين وللزوجة وكذلك تجاه المبادئ التي يؤمن بها الإنسان، ولا علاقة لذلك الأمر بالقدرات الحقيقية، فإذا كان ذلك الشخص السيئ الذي يمتلك قدرات حقيقية متميزة يقوم بالعصيان المسلح ويزاول أعمالاً في الخفاء فهنا سيصبح الشخص الذي لا يحظى بأية قدرات أفضل منه، إن ذلك الشخص منعدم القدرات لا يستطيع أن يخدع غيره إلا مائة ألف مرة أو مائتي ألف مرة، غير أن ذلك الذي يمتلك القدرات فيستطيع أن يخدع مائة مليون أو مائتي مليون مرة، وهذا هو السبب في كون الشخص السيئ الذي لا

يمتلك القدرات أفضل من نظيره الذي يمتلكها، ولذلك فعندما أنظر إلى شخص ما أو أقوم باختيار الأشخاص أو عندما أتواصل مع الغير تكون النقطة الأهم بالنسبة لي هي الموقف أو الاستعداد النفسي.

بنينا حياتنا معًا بأنفسنا :

لنفترض أنني حينما كنت طالباً بالفرقة الأولى بجامعة أوساكا أطعت مدرسة تعليم فن تنسيق الزهور وتزوجت عروساً تحصل على مائة مليون ين من أسرتها لتجهيزها عند زواجها، كنت حينها سأستطيع استغلال تلك الأموال في إنشاء مستشفى أو على الأقل كنت سأختار التمتع بكل مباهج الدنيا أو غالبًا إنشاء مستشفى بغرض كسب المال فقط.

وهنا أكون قد أنشأت المستشفى بفضل ومساعدة زوجتي ولذلك فسوف تكون لها الكلمة العليا، وهو ما سيؤدي إلى أن أبحث عن امرأة أكثر طاعة وخضوعاً لي وبالتالي إقامة علاقات مع عشيقات، وهنا ستكثر الأسرار التي أخفيها عنها وسيقل حبي لزوجتي وستصاب بحالة هستيرية وستكون حياتنا اليومية مشتعلة.

فتثور وتطردني من البيت قائلة «تفضل أخرج من البيت». فأغضب بدوري وأذهب لممارسة لعبة الجولف، وأتخيل كرة الجولف كأنها رأس زوجتي فأضربها بقوة، وسوف أقول لنفسي ما الذي جعلني أتزوجها ! أعتقد أن هناك كثيراً من الأطباء الذين فعلوا ذلك. رغم أن هناك آخرين مختلفين عنهم.

لقد بدأت دائماً من نقطة الصفر عندما كنت أستذكر دروسي، وعندما كنت طالباً بالجامعة وعندما أنشأت المستشفيات، وكان هناك تعاون متبادل مع زوجتي في كل تلك الأمور، فنحن صنعنا حياتنا سوياً، كما أنجبنا خلال تلك الفترة سبعة أبناء، ونحقق سوياً إنجازات كبيرة في جو من الثقة المتبادلة، ربما ليست هناك بين البشر رابطة قوية كتلك التي تربطنا ببعضنا البعض.

الفصل الرابع

أهم رعاية طبية هي رعاية الحالات الطارئة

اثنتي عشرة ساعة فاصلة :

سؤال : من أهم خصائص مستشفيات توكودا أن المريض يجد من يكشف عليه في أي وقت، ولذلك فأنا أريد أن أسالك عن محتوى الثورة الطبية التي تنادي بها من أجل تغير الرعاية الطبية في اليابان وفي العالم كله.

إجابة : لكي نغير منظومة الرعاية الطبية في اليابان، من المهم أن نقوم بعمل الأشياء البديهية، مثل عدم وجود إجازات للمستشفيات أي أن يكون العمل مستمر دون توقف طوال الأربعة وعشرين ساعة في اليوم، ولكي يكون هذا ليس كلامًا فقط فكان من الضروري أن أجعل نفسي نموذجًا لهذا التغير، ولذلك فقد أنشأت إحدى عشرة مستشفى، ولكن إنشاء تلك المستشفيات فقط لا يعنى كتغيير منظومة الرعاية الطبية في اليابان إذا لم تقتنع أغلبية الناس بأنهم يجب أن يحافظوا على حياتهم بأنفسهم.

ومن الخطأ أن نعتقد أن هناك من سوف يفعل لنا أشياء جيدة، ولذلك لن تتغير منظومة الرعاية الطبية في اليابان إذا لم يكن عندنا الرغبة في أن نحمى حياتنا بأنفسنا وذلك بأن نغير تلك المنظومة الطبية.

والبعض يرى أن منظومة الرعاية الطبية في اليابان مختلة، والبعض يرى غير ذلك ولكن الحكم في ذلك يرجع للشخص نفسه ومع ذلك فإن رعاية الحالات الطارئة التي تأتي عن طريق الإسعاف هو أهم أنواع الرعاية الطبية، بجانب أن الوقاية من مرض السرطان واكتشافه مبكرًا وعلاجه في مراحله الأولى مهم أيضًا.

ولكن الآن أعلى نسبة وفيات تكون أولاً بسبب السكتة الدماغية، ثانيًا بسبب أمراض القلب، وبرغم أن أسباب حدوث السكتة الدماغية وكذلك أمراض القلب معروفة وطرق علاجها أيضًا معروفة وآمنة، ولكن المشكلة تكمن في عدم حصول المريض على الرعاية الطبية الجيدة.

فالمشكلة في الرعاية الطبية لتلك الأمراض تكمن في الوقت، فمثلاً في حالة السرطان إذا تم اكتشافه مبكرًا وعلاجه أيضًا مبكرًا فسوف يشفى المريض، والاكتشاف المبكر للمرض لا يعنى أن نكتشفه مبكرًا أسبوعاً أو عشرة أيام أو حتى شهر، فتلك المدة قصيرة لا تجعل حالة المريض تسوء، ولكن في حالة اكتشاف مرض السكتة الدماغية أو أمراض القلب، تكون الأثنتي عشرة ساعة بعد اكتشاف المرض فاصلة في حياة المريض.

منذ عدة أيام اتصل بي هاتفيًا مدير قسم الائتمان في المصرف الذي أتعامل معه وقال لي إن زوجة أحد أصدقائه قد أصابها سكتة دماغية وأنها ظلت ملقاة في إحدى المستشفيات لمدة أربعة أيام فاقدة الوعي وأن المستشفى لم تفعل لها

شيئًا، ولذلك طلبنا الإسعاف مرة أخرى ونقلناها إلى إحدى مستشفياتكم وقد قاموا بعمل عملية لها وقد تحسنت حالتها وأنا أشكرك على ذلك.

وفي الحقيقة إن تحسن حالتها يعود إلى أننا فعلنا كل ما في وسعنا بعد أن كانت متروكة دون رعاية طبية لمدة أربعة أيام، وعادة إذا تُرك مريض مثل ذلك لمدة أربعة أيام دون رعاية طبية فمن الطبيعي أن يموت.

فإن أول اثنتي عشرة ساعة فاصلة في حياة المريض. فإذا تم اكتشاف المرض في أول اثنتي عشرة ساعة التي ينزف فيها المريض دمًا ببطء وتم فتح الجمجمة وإيقاف النزيف فسوف ينجو المريض، فإنها مسالة بسيطة لكن تحتاج إلى سرعة، إنها اثنتي عشرة ساعة فاصلة في حياة المريض.

وبالنسبة للأزمة القلبية يُقال نفس الشيء، ولقد قلت الآن إن الأثنتي عشرة ساعة بالنسبة لمرض السكتة الدماغية والتي تكون وفياتها الأولى وأمراض القلب التي يكون وفياته الثالث على مستوى اليابان، ساعات فاصلة في حياة المريض ولكن عندما أتحدث بدقة أقول إن أول ست ساعات هي الفاصلة في حياة المريض، فكلما كانت المدة أقصر كلما كان ذلك أفضل للمحافظة على حياة المريض، فعندما تحدث سكتة دماغية يجب أخذ صورة بالأشعة فورًا ثم تحديد ما إذا كانت الحالة تحتاج عملية أم لا، وإذا تم اتخاذ قرار عمل عملية، فإن التحضير لعمل العملية يحتاج من ساعة إلى ساعتين، ولذلك كلما كنا مبكرين في عمل ذلك كلما كان هذا أفضل لحياة المريض، ولذلك أقول

إنه يجب أن تظل مستشفيات توكوشوكاي مفتوحة طوال الأربعة وعشرين ساعة، ولكن ما رأيكم في أن المستشفيات الحكومية لا تعمل أيام الآحاد والأعياد والعطلات الرسمية !. يجب أن تكون المستشفى هي المكان الذي يلجأ إليه الشخص دونما شروط لتنقذه عندما يجد حياته في خطر، وإنقاذ المريض دون أي شروط هو واجب الطبيب وقدره، فعلى سبيل المثال إذا كان هناك مجرم متوحش سوف يعتلي منصة المقصلة غدًا ليشنق وحدثت له أزمة قلبية فعلى الطبيب أن ينقذه من الأزمة، ولأن الأثنتي عشرة ساعة الأولى هي حاسمة بالنسبة لحياة المريض فيجب على المستشفى أن يكون على أهبة الاستعداد لاستقبال الحالات الطارئة وعلاجها فورًا، ولذلك فإن علاج الحالات الطارئة هو أهم جزء في العلاج الطبي، أما علاج الأمراض المزمنة والوقاية من الأمراض من الممكن القيام به دون استعجال.

ولقد ولدت في جزيرة صغيرة تبعد عن جزيرة كاجوشيما عدة مئات من الكيلومترات ولذلك أشعر جيدًا بحالة الخوف التي تنتاب من يمرض ويعلم أنه لا يوجد طبيب سوف يقوم بالكشف عليه، ولو كان تم تعليق زجاجة محلول واحدة لأخي الأصغر عندما مرض لكان على قيد الحياة الآن، ولذلك على عكس ما يقول الآخرون فإنني محظوظ أنني ولدت وترعرعت في جزيرة توكونوشيما.

طوكيو غابة دون أطباء :

سؤال : ما أهم الضروريات التي يجب على من أصبح طبيبًا أن يقوم بها وما ينتظره عامة الناس من الطبيب؟

إجابة : سؤال إن لم أجب عليه، فيعلم إجابته جيدًا أي شخص يعيش حتى في منطقة نائية.

أن المدن الكبرى أيام الآحاد وأيام الأعياد وأيام الاحتفالات الرسمية وفي منتصف الليل يكثر فيها الحركة مثل الغابات، فإذا حدث لك حادثة مرور وفقدت الوعي ونزفت الكثير من الدم فإن سيارة الإسعاف تحملك وتدور بك فقط من غابة إلى أخرى وهذا ما يتكرر كل ليلة، ويُقال إن في طوكيو حوالي خمسة عشر ألف حالة طواريء سنويًا تدور على المستشفيات بحثًا عن مستشفى توافق على دخولهم إليها.

ولا أعتقد أنني سوف أجد من يضحك عندما أتحدث عن قرية توكونوشيما التي ترعرعت فيها بعد أن سمع ما قلته عن طوكيو الآن، فأنت إذا سقطت في دمائك في هذه المدينة المتحضرة التي أقيمت من أجل المال وطلبت المساعدة فيجب عليك أن تدفع الناس بكل قوة حتى يفسحوا لك لكي تحصل على فرصة للعلاج.

نستطيع أن نلخص واقع نظام الرعاية الصحية الحالي في المقولة التالية :

«إن الطبيب الأعلى امتلاكًا للثروة، وإنه إنسان مميز استطاع أن يتخطى أقصى الصعوبات، فهل يهمه أمر فقير ينزف دمًا في منتصف الليل ! فإذا جرحت في منتصف الليل فيجب عليك أن تستسلم للأمر الواقع وأن تعتقد أنك أنت الذي حظه تعيس»

بل أكثر من ذلك إن هناك من الأطباء من يستغلون المريض أبشع استغلال طالما أن ذلك المريض يملك المال.

إن مضمون الرعاية الطبية هو الحفاظ على حياة الإنسان، ولذلك فيحق للطبيب أن يفعل أي شيء للحفاظ على حياة المريض وإنقاذه، ولكن ما هي الحياة؟. إن الحياة هي الفترة من ولادة الإنسان حتى مماته، ولذلك يحق للطبيب أن يفعل أي شيء لإطالة عمر الإنسان حتى وإن كان لفترة وجيزة، مثلاً إذا كان هناك شخص فاقد الوعي فيذهب إليه الطبيب جريًا ويلكمه في مقدمة أنفه، وإذا كان مصاب بسرطان في قدمه فيبترها من الفخذ. وإذا كان مصاب في وجهه بسرطان فليزيل نصفه أو حتى يزيل عينه، وإذا كان مصاب بسكتة دماغية وأنها خطرة جدًا على حياة المريض فليفتح رأسه ويستأصل من مخه.

يصح للطبيب فعل أي شيء، ولكن إذا قال للمريض «أنت مصاب بالسرطان» فربما يقوم ذلك المريض عند عودته لمنزله بإلقاء نفسه أمام القطار

ليموت، ولذلك يجب أن يقول لـه وإن كـان كـذبًا «أنـه مـرض بسـيط، لا تقلـق». أي أن الطبيب مسموح له بفعل أي شيء ماعدا قتل الإنسان.

لكن من بين الأطباء من يعتقدون خطأ، أنهم من حقهم فعـل أي شيء مـن أجـل كسب المال. ولذلك كثير منهم يتهربون من تسديد الضرائب، أن الأطبـاء عـلى رأس قائمـة المتهربين من الضرائب، ويأتي في المرتبة الثانية من يعملون في تجارة الخردة، ثم في المرتبـة الثالثة سماسرة العقارات وفي المرتبة الرابعة من يعملـون في مجـال فنـادق البغـاء... الـخ. فقائمة أول عشرة ممن يتهربون من الضرائب تحتوي على من يعملون في مهن غير شريفة ويأتي على رأس تلك القائمة الأطباء، فهل نستطيع القول أن عامة الشعب يمكـن أن تـأمن على أروحها في أيدي هؤلاء ! وإنني دائمًا أسير في طرقات المدينة أنظر لوجوه النـاس وأنـا أفكر في واقع الرعاية الطبية وأقول «من لا يعلم لا يتألم»

ولكن ألـيس التهـرب مـن تسـديد الضرائب مسـالة خطـيرة ! حيـث أن مصـلحة الضرائب تقوم بالتحري عن ذلك، ولكن تزوير الفواتير أمر هين. فمثلاً إذا أعطى الطبيـب للمريض فيتامين لمدة يومين فسـوف يـدخل للطبيـب نقـود فيتـامين يـومين مـن التـأمين الخاص بذلك المريض، ولو قلنا أن يده اهتـزت وهـو يكتـب يـومين فأصـبحت ثلاثـة ولـو وضع صـفر فتصـبح ثلاثـين يومًـا وبالتـالي أصـبحت النسـبة أعـلى مـن 1500 % وهـذه الطريقة أيسر بكثير من التهرب من دفع الضرائب، إلا تعتقـدون معـي أن الـبعض يفعـل ذلك ! لكن مع وضع

الرعاية الطبية الحالية إذا عمل الطبيب بطريقة عادية وصحيحة لن يكسب إلا القليل، ولذلك لكي يجد طريقة تغنيه عن التهرب من دفع الضرائب فإنه إما يزور الفواتير بزيادة الأرقام كما أوضحنا سابقاً أو يقوم بعمل فواتير وهمية.

سؤال : إذن هل هناك طريقة شريفة لكي تربح المستشفيات؟

إجابة : بعد أن تُنشأ مستشفى فهناك ثلاثة طرق للكسب، أولها: أن تقوم بتزوير الفواتير أو عمل فواتير وهمية أو أن تتهرب من دفع الضرائب، وثانيها: أن تستأصل ما ليس مهمًا استأصاله مثل المعدة أو أن تعطى المريض دواء ليس مهمًا أن تعطيه إياه أو تقوم بعمل فحوص على كل شيء، مثلاً أن تقوم بعمل كثير من الأشعة برغم من عدم أهميتها، أي كشوفات وعلاج أكثر من اللازم، والطريقة الثالثة : أن تعمل أكثر من مرتين أو ثلاثة أضعاف الشخص العادي، ويجب عليك أن تختار إحدى هذه الطرق، وأنا ومن معي اخترنا أن نعمل أكثر من مرتين أو ثلاثة أضعاف الشخص العادي.

الطبيب الشرير الذي يتكسب باستأصال الأحشاء :

أطباء يتهربون من تسديد الضرائب وأطباء يزورون الفواتير وأطباء يقومون بعمل فواتير وهمية أليس هذا شيء فظيع ! من الطبيعي أن تعتقد أنه شيء عجيب، ومن الطبيعي أيضًا أن تعتقد أن هذا غش وخداع وتدليس، ولكن البعض يعتقد أنه إذا اقتصر الأمر على ذلك فقط فلا بأس، وذلك لأن

الأمر إذا اقتصر على أن يقوم الطبيب بتزوير الفواتير وعمل فواتير وهمية والتهرب من دفع الضرائب، فهو لم يتعرض لجسدك بأي سوء، ولكن بعض الأطباء يتعرضون لجسدك بالسوء وأيضًا يحصلون على أموالك، فهناك مستشفيات تستأصل رحم السيدة وتأخذ أموالها، فكثير من المستشفيات تقوم بعمل عمليات ليست مهمة وتأخذ أجور على ذلك. والآن وفي كل مكان انتشر الأطباء الذين يقومون بعمل عمليات استأصال لأحشاء ليس من الضروري استاصالها ويحصلون على أتعاب مقابل تلك العمليات، أليس أمرًا فظيعًا أن يقوم الطبيب بإيلامك بالمشرط دون ضرورة وفي نفس الوقت يأخذ أموالك؟. فإذا اقتصر الأمر على تزوير الفواتير وعمل فواتير وهمية والتهرب من دفع الضرائب فمن الممكن أن نسامحهم.

فهناك مستشفيات تأخذ حياتك وأموالك وهي بذلك تشبه (الهولوكست) معسكرات الألمان النازية وقت الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فإن الناس لا يحاولون معرفة ذلك وإن عرفوا فليس عندهم الشجاعة لأخذ أي موقف تجاه ذلك.

فإذا قُتلت زوجة الشخص فليس عنده الشجاعة ليشكو، وأيضًا إذا قُتل ابنه أو ابنته فليس عنده الشجاعة ليشكو، ولذلك فإنني أقولها وبصراحة إن الناس بالنسبة للطبيب كأسماك البوري الصغيرة التي يتم تربيتها في المزارع، فمن المقدر أن تموت، فيومًا من الأيام سوف يأخذ الطبيب حياتك وأموالك.

المهم أن ندافع عن حياتنا بأنفسنا، فإن الأشخاص الذين لا يقومون بالتبليغ عن الأطباء الذين يعرضون حياتهم للخطر مثل يراعات الحشرات سوف يتم اصطيادهم واحدة تلو الأخرى وسوف يموتون. وهم في ذلك مثل صغار أسماك البوري، وإن كان الهدف من اصطياد أسماك البوري أن تكون طعامًا مثل وجبة السمك النيء، وعندما يتم اصطياد سمكة بوري تثور ولكن بقية الأسماك لا تأبه بما يحدث لتلك السمكة، فسمكة البوري عندها شجاعة ولذلك تثور، ولكن أليس أغلب الأشخاص ليس عندهم الشجاعة للشكوى مما يحدث !. فإذا أمسك الطبيب بالسمكة لعمل عملية لها وأخذ أموالها فإن الآخرين يقولون «أنه شخص سيئ الحظ»، «قد كان يعمل يوم الأمس معنا وليلاً تم نقله إلى المستشفى بالإسعاف، بالتأكيد لن ينجو، إن المستشفى التي ذهب إليها سيئة. حظه سيئ». والمشكلة ليست فيما يقولونه ولكن المشكلة أنهم لا يفعلون شيئًا بعد ذلك. ويعتقدون أنه لو كان حيًا لكانوا ذهبوا لزيارته ولكنه مات وأن النقود التي كانوا سوف يعطونه إياها عند ذهابهم له أثناء المرض، سوف تفيدهم في فعل أي شيء آخر، فهل هناك من معارف المريض من قال إن «هذه المستشفى سيئة» وبحث عن مستشفى جيدة وأخذ المريض وتقرير الكشف عليه وذهب إلى تلك المستشفى وتحدث مع الطبيب وجعله يقوم بالكشف ويقوم بعمل العملية؟ طبعًا لا يوجد.

فبرغم أن المريض يُداس عليه ويُضرب ويُقطع جسده وتُأخذ أمواله والآخرون يتظاهرون أنهم لا يرون، إن أسوأ الأشياء أن صغار أسماك البوري

عندها الجرأة لتثور اعتراضًا على اصطيادها ولكن الناس ليس عندهم الجرأة على الثورة على تلك الأوضاع الطبية.

عندما يقول الطبيب لشخص «يجب أن تُجرى لك عملية» فإنه يرد «أرجوك قم بعملها» ثم يذهب بعد ذلك ليتناقش مع رئيسه في العمل فيقول له رئيسه أن يأخذ مبلغ خمسون ألف ين معه قبل عمل العملية، ثم يذهب ذلك الشخص ومعه النقود ويرجو الطبيب أن يقوم بعمل العملية، فيقوم الطبيب باستئصال الأحشاء رغم عدم ضرورة ذلك ويأخذ أتعاب العملية من ذلك الشخص الذي يعود فرحًا إلى بيته بعد إجراء تلك العملية.

إن أي شخص مهما كان عظيمًا أو يعمل عملاً مرموقًا عندما يحين أجله سوف يموت سواء حصل على رعاية طبية جيدة أو سيئة، وأحيانًا يموت الشخص دون الحصول على رعاية طبية، فكثير من الأشخاص يموتون وهم في سيارات الإسعاف يبحثون عن مستشفى تقبلهم.

فأنت تبدأ في معرفة المستشفيات الجيدة التي تشعر بالخوف منها إلا عندما يُصاب لك قريب إصابة خطيرة، تأتي سيارة الإسعاف ولكن لا تجد مستشفى تقبل الحالة، وتلك هي بداية العناء، وفي الحقيقة أن تقوم المستشفى بقبول المريض ثم تتركه أربعة أيام دون رعاية حتى تسوء حالته، فيه ربح لها عدة أضعاف، ولنفترض أن المستشفى بعد أن استقبلت المريض قامت على الفور بعمل الرعاية الطبية اللازمة على أكمل وجه وأن المريض خرج من

المستشفى بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، فمثلاً يحتاج علاج السكتة الدماغية إلى شهرين، وبعد ذلك إلى إعادة تأهيل لمدة شهر. وأحيانًا يكفي أسبوعان فقط لإعادة التأهيل، ولنفترض أننا جعلنا هذا المريض في المستشفى لمدة سبعة أشهر فإنه بلا شك سيكون بيضة تبيض الذهب للمستشفى، ولذلك كلما كانت المستشفى سيئة كلما كانت تربح أكثر.

وليس هناك في اليابان من يعلن استيائه من الأطباء، حتى السياسيون لا يتذمرون من الأطباء، وكذلك الأطباء لا يتذمر بعضهم من البعض، ولكنهم مشغولون جدًا بالحصول على ما يهمهم، والكل يغمض عينه عن تصرفات الآخرين.

ولم يتذمر أحد من نقابة الأطباء من أي طبيب، ولكني لأني أتيت من توكونوشيما فليس عندي ذوق ولذلك أعلن استيائي، وسوف أعلن استيائي بشدة. لن أتسامح مع ما يحدث، طالما أن دم توكونوشيما يجرى في عروقي.

ففي أمريكا من المعتاد أنه إذا أخطأ الطبيب في تشخيص مرض يتم تعويض المريض عما أصابه من ضرر وقد يصل الأمر إلى أن يقاضى المريض الطبيب، ولكن في اليابان الطبيب لا يهاب أي شيء فيقوم بعمل ما يحلو له حتى إذا كان ذلك قتل المرضى ولا يوجد حالة واحدة لتعويض المريض بسبب الضرر.

ولكني قد تذوقت طعم الرعب بأنواعه في جزيرة توكونوشيما بسبب عدم وجـود طبيب هناك، ولذلك عندما أصبحت طبيبًا لا أستطيع نسيان ذلك الرعب أبـدًا. لا يجـب أن يكون هدف المستشفيات جمع المال، ومالا يعرفه عامة الناس أنه إذا كان الهدف مـن إقامة مستشفى جمع المال فإن الطبيب والمستشفى يستطيعون فعل كل شيء مهما كـان من أجل تحقيق هذا الهدف.

وبناءً على ذلك فإن من يستطيع أن يعلـن تـذمره واعتراضـه عـلى تلـك الأوضـاع ليس إلا شخص مثلي أصبح طبيبًا ويعلم ماهية الرعاية الطبية الآمنـة، وفي الواقـع إن أي شخص يستطيع أن يفرق بين الشيء الجيد والشيء السيئ، وبالأخص الأطباء، أليسـوا هـم النوابغ الذين استطاعوا دخول أصعب الكليات في جميع الجامعات وهي كليات الطب !

إذًا لماذا يـتركهم الجميـع هكـذا دون عقـاب بـرغم أنهـم لا يحـافظون عـلى أدنى معاير الأخلاق؟

سؤال : هل أنت عضو في نقابة الأطباء يا سيد توكودا؟

إجابة : نعم أنا عضو في نقابة الأطباء في مدينة أوساكا.

سؤال : ألم تتعرض لهجوم من تلك النقابة؟

إجابة : لا لم يكـن. ولكـن عنـدما شرعـت في بنـاء مستشـفى في تشيجاسـاكى كـان هناك اعتراض قوى ومضايقات من نقابة الأطباء الموجودة

في مسقط رأسي، وإن السبب الذي جعل نقابة الأطباء تلك تعترض على إقامتي لتلك المستشفى هو نفس السبب الذي جعل عامة الناس هناك يرحبون بإنشاء تلك المستشفى، فقد خشي الأطباء هناك من أن عدد مرضاهم سوف يتناقص بصورة تهددهم بالتوقف عن العمل، ولكني لا أنشأ مستشفى في مكان لأكون سبب في توقف مستشفى أخرى عن العمل، فأنا أقوم بعمل دراسات عن عدد السكان وعن نسبة الأسرّة الموجودة في أقرب المستشفيات ثم أقوم ببناء مستشفى في مكان يكون عدد الأسرّة فيه ينقص عن نسبة ما يجب أن يكون موجودًا.

وإلى الآن عانى الأطباء الشباب من المصاعب التي يلاقونها عندما يحاولون بناء عيادات في أي مكان، فإن أعضاء النقابات الطبية يقفون ضدهم حتى لا يبنون مستشفيات مما جعل كثير من الأطباء الشباب ينتحرون. وبما أن خريجي هذه الأيام عددهم أكثر من المطلوب حيث يصل إلى تسعة ألاف فأن أعضاء نقابات الأطباء المنتشرة في الأماكن المختلفة سوف يتحدون من أجل الحفاظ على وضعهم المميز وذلك بتضييق الخناق على الأطباء الجدد، وذلك سوف يؤدي إلى أن تقف نقابات الأطباء في موقف صعب لا تُحسد عليه، فيجب أن يتم تغيير نقابات الأطباء ولكن طالما أن أعضاء تلك النقابات يتحدون من أجل الحصول على المنافع الشخصية، فإن حالة التخبط هذه سوف تستمر.

طبعًا نقابة الأطباء في أوساكا تعلم ما أقوله وأفعله بالنسبة للرعاية الصحية، فهم يعلمون أن أحدًا ما يجب أن يتحدث عن ذلك، ولقد كان الطبيب تـاكيمى تـارو يؤيـدني في موقفي هذا برغم أنني لم أكن أوافقه الرأي في كل ما كان يقوله، لكنه كان مقتنع جدًا بما أقوله، فلقد كانت طريقة تفكيرنا واحدة في بعض الأشياء.

طبيبٌ يستطيع معالجة كل الأمراض :

سؤال : هل اخترت أن تكون طبيبًا جراحًا لأهمية علاج الحالات الطارئة؟

إجابة : نعم هذا صحيح، لقد تحدثت في السابق عن أيام أن كنت طالبًـا ولكنـي منذ أن كنت طالبًا حتى الآن لم تتغير طريقة تفكيري كثيراً.

وبعد التخرج من الجامعة كان يجب أن نختار التخصص في مجال العمل، ولأنني لم أنس أنني سوف أعود إلى مسقط رأسي توكونوشـيما يومًـا مـا، لـذلك وجـب أن أصـبح طبيبًا يستطيع معالجة جميع الأمراض.

إذا كان الطبيب متخصص في الباطنية لا يستطيع القيام بعمليات جراحيـة ولكـن إذا كان متخصص في الجراحة يستطيع علاج أمراض الباطنية وذلك عن طريق قراءة كتب الباطنية. ولذلك قررت أن أتخصص في الجراحة،

وعندما التحقت بقسم الجراحة أخذت أدرس باجتهاد ولكن كان هناك تخصص جديد وهو قسم التخدير.

سؤال : إن التخدير موضوع صعب أليس كذلك؟

إجابة : إذا لم يكن عندك خبرة في الطب فإنه أمرٌ خطيرٌ جدًا، ولذلك نقلت نفسي من قسم الجراحة إلى فصل تعليم التخدير وقلت لهم أن يعطوني تدريبًا في التخدير لمدة ثلاثة أشهر فقط وكرست وقتي منذ الصباح حتى المساء لهذا الغرض فقط، كنت أستيقظ الساعة السادسة وأذهب إلى المستشفى حوالي السابعة وأجتهد إلى الساعة الحادية عشرة مساءً، من المعتاد أن من يتدرب على التخدير يجب أن يقوم بالتدريب على خمسة وأربعين حالة في مدة ثلاثة أشهر ولكني قمت بالتدريب على ثمانمائة وخمسين حالة في الثلاثة أشهر، وفوق ذلك تدربت على جراحة أعصاب المخ كذلك وأمراض النساء والولادة، فلم يكن في قسم النساء والولادة إلا طبيب واحد ولذلك بقيت أتمرن في هذا القسم لمدة كبيرة وأصبحت أستطيع القيام بالعمليات الطارئة لأمراض النساء والولادة.

وأخيرًا وفي عام 1972 التحقت بفصل تعليم جراحة العظام لمدة عام، ولذلك تعلمت علاج الأمراض الطارئة التي تصيب الإنسان من قمة رأسه إلى أخمص قدمه.

ولذلك إذا كُسرت قدم أستطيع أن أشخص في الحال إذا كانت تحتاج إلى تدخل جراحي أو جبيرة بالجبس، أيضًا أستطيع القيام بالعمليات الخاصة

بالأحشاء وكذلك عملية المصير (المصران) الأعور، وقد قمت بكثير من عمليات المصير الأعور لدرجة أنني أجهل عددها لكثرتها، فلقد قمت في فترة من الفترات بعمل عمليات المصير الأعور فقط كل يوم من الصباح حتى المساء.

ولقد قمت بالاشتراك في نشاطين وقت كنت طالبًا، فلقد شعرت أنا وصديقي تاتارا كوزو الذي كان زميلاً لي في بيت الطلاب وهو الآن أستاذ مساعد في جامعة أوساكا بالملل وأن ذهننا شارد لا نستطيع التركيز في شيء ولذلك أنشأنا جمعية علمية لبحث أحوال جنوب شرق آسيا من النواحي الطبية.

ولأن الجزيرة التي ولدت فيها تشترك مع جنوب شرق آسيا في أن كليهما ينتمي إلى الجنوب فلقد فكرت في دراسة الطب الخاص بالبيئة الاستوائية وشبه الاستوائية.

وأقول كما قلت منذ قليل إن الرعاية الطبية الأولية (أول ما يحصل عليه المريض من رعاية طبية في بداية علاجه) أو الممارسة العامة (ما يقوم به طبيب الأسرة من كشوفات ورعاية طبية عامة) هى أهم مرحلة في الرعاية الطبية، وأوضح كلامي بطريقة سهلة فأقول إن وجود الطبيب الذي يستطيع تشخيص أي مرض أمرٌ مهمٌ بدليل أنه في أمريكا الآن أصبح الممارس العام (طبيب

الأسرة) هم الأغلبية، والطلاب النابغين في كليات الطب يتجهون نحو تخصص «ممارس عام».

وقد حدث هذا التحول من التخصص الدقيق إلى الممارسة العامة لأن التخصصات داخل الطب زادت لدرجة أكثر من اللازم فأصبح هناك تخصص وداخل ذلك التخصص تخصص آخر مما أدى إلى أن تلك التخصصات الزائدة عن اللازم تسبب أضرارًا على التخصصات الأخرى. وعلى كل حال فبرغم أن الأطباء يتصرفون بخيلاء وزهو إلا أن بعضهم عندما يرى شخصًا سقط أمام أعينهم مغشيًا عليه فإنهم يتركونه ويهربون بعيدًا، فالأطباء الذين تخصصوا في تخصصات دقيقة جدًّا يفعلون ذلك.

فيجب على الطبيب أن يضع نفسه موضع المريض، ولذلك فإن الخبرة العملية الناتجة عن التعامل المباشر مع المريض مهمة جدًا، ولكي يكتسب الطبيب تلك الخبرة العملية يجب أن يحصل على تدريب شاق جدًا، هناك نظام تدريب عام حيث يحصل الطبيب المتدرب فيه على تدريب شاق، لكن في اليابان ليس هناك تدريب شاق، إنهم يلعبون، حيث يصبح المتدرب مسؤولاً عن أربعة أو خمسة مرضى ويقوم برج قارورة الاختبار ويعتقد أنه بذلك يقوم بعمل بحث.

مع هذا التعليم الضعيف لن يتم تخريج طبيب نستطيع فعلاً أن نقول عنه إنه طبيب... فمثلاً لو قال شخص إنه يشعر بألم في أحشائه فيتم تحويله إلى قسم

الجهاز الهضمي، فيقوم قسم الجهاز الهضمي بفحص الجهاز الهضمي فقط وإذا لم يكن هناك مرض في أعضاء الجهاز الهضمى يقولون له ليس عندك مشكلة فلترجع لبيتك ولكنه قد يموت بسبب انسداد شرياني، حيث إنه في حالة مريض الانسداد الشرياني أحيانًا يعتقد المريض أن عنده ألم في الأحشاء، بسبب وجود ألم في فم المعدة، ولأنه في الوقت الحالي يتم تقسيم الدورة الدموية والجهاز الهضمي إلى قسمين مختلفين فتحدث مثل تلك المشكلات.

وفي الأيام الأخيرة حدث لأب أحد أصدقائي أن ذهب إلى مستشفى لعمل فحص طبي دوري يقوم به كل عام، وعندما عمل تحليل دم قُيل له «إن الدم غير طبيعي» ولذلك ذهب إلى قسم بحوث السرطان وقاموا بفحصه، وربما من يكون قد قام بالفحص طبيب جهاز هضمي، فقاموا بفحص جهازه الهضمي وقالوا له «ليس عندك مشكلة، فارجع لبيتك»، وقد كان ذلك في شهر أبريل ولكنه في شهر نوفمبر أصيب بصدمة قوية، فقد حدث له نزيف في داخل المعدة ونقلوه إلى مستشفى ولكن تلك المستشفى لم يكن عندها الإمكانيات لفحص حالته فنقلوه إلى أحد مستشفياتنا، وعندما فتحنا البطن وجدنا خروج كمية دم حوالي ثلاثة ألاف سنتيمتر مكعب.

كان عنده سرطان في الكبد ولكنهم حولوه إلى قسم الجاز الهضمي، فلم يستطع أطباء الجهاز الهضمي معرفة أنه مصاب بسرطان في الكبد، وحتى في قسم تحاليل السرطان لم يستطيعوا اكتشاف مرضه حيث إنه ذهب إلى قسم

مختلف عن القسم الذي كان يجب أن يذهب إليه، فإن قسم تحاليل السرطان مقسم إلى قسم تحاليل سرطان الكبد وقسم تحاليل سرطان القلب وقسم تحاليل سرطان الجهاز الهضمي.

المفروض أن يبدأ الطبيب بتدريب عام ثم بعد ذلك يتدرب على جميع التخصصات واحد تلو الآخر. ولكن ما يحدث أنه منذ البداية يتدرب على تخصص دقيق وأيضًا لا يتدرب عليه تدريبًا جيدًا، ولذلك فإن الطبيب الياباني الحالي لن ينفعك عندما تكون حياتك في خطر.

سؤال: هل يبدأ الطبيب في أمريكا كطبيب عام ممارس؟

إجابة : بالطبع يفعلون ذلك، الذي لا يفعل ذلك فقط هو الطبيب الياباني، إنها مشكلة في نظام التعليم ولكن الطبيب يستطيع أن يحل المشكلات الطبية التي تواجهه أثناء عمله كطبيب عام ممارس عن طريق البحث، فيجب عليه أن يزيد خبراته في الممارسة العملية العامة وخصوصًا عن مالا يعرفه، ولذلك فإن التدريب الشاق أمرٌ مهمٌ.

أنا أعتقد أنه من الخطأ أن يقوم الطبيب بإهمال الحصول على خبرة عملية في ممارسة الطب من أجل الحصول على درجة الدكتوراه، فكثيرًا ما يحث داخل قطار السوبر أكسبرس أن نرى من يبدو عليهم أنهم أطباء وحاصلين على درجة الدكتوراه في الطب ويتحدثون معًا ولكن عندما يُنادى المذيع الداخلي للقطار قائلاً «هناك سيدة جائتها أعراض الولادة فإذا كان هناك طبيب نرجو حضوره

بأقصى سرعة» فنجد هؤلاء صمتوا عن الكلام، ولكن جميع أطباء أمريكا يستطيعون القيام بعمليات الولادة، وفي أمريكا يقولون ليست المشكلة زيادة عدد الأطباء ولكن المهم هو أنه يجب أن يكون هناك أطباء يستطيعون إغاثتهم في حالة حدوث أي مرض طارئ.

ولقد قمت بنفسي بالتدريب العملي على علاج الحالات الطارئة بعد التخرج، ولذلك أستطيع تشخيص أي حالة وأستطيع معالجة أي مريض، فإذا استطعت إنقاذ حياة مريض وحافظت على حياته لمدة يومين أو ثلاثة ثم بعد ذلك حولته على طبيب متخصص فتكون قد فعلت بذلك الواجب، فإذا استطعت إنقاذه فسوف تكون هناك طريقة للمحافظة على حياته، وهذا ما يجب على الطبيب الحقيقي أن يعلمه.

النشاط الثاني الذي قمت به عندما كنت طالبًا كان حركة مقاطعة الدكتوراه.

من بين كل مائة ثمانون فقط يجب أن يتعلمون الرعاية الطبية، والعشرون الباقون يصبحون باحثين، ولكن في الواقع أن كل من يريد أن يحصل على دكتوراه يصبح باحثًا ويترك الناس الذين يجب أن يقوم برعايتهم، إن نظام الرعاية الطبية بهذه الشاكلة سيئ، ولأن السبب في ذلك درجة الدكتوراه، فلقد قمت بحركة مقاطعة دخول مرحلة الدراسات العليا في الجامعة والحصول على

درجة الدكتوراه وذلك من موقف التفكير في تقديم رعاية صحية جيدة للشعب.

بالطبع أن الإنسان المتطرف وفي نفس الوقت الذي لا ينتمي إلى أي جانب، لم ولن انتمي إلى أي جانب، ولكني متطرف جدًا، فطريقة تفكيري اشتراكية جدًا أكثر من الاشتراكيين أنفسهم. فعندما مات أخي شعرت بشدة بالفرق بين ما يحصل عليه الأغنياء وما يحصل عليه الفقراء ولذلك فأنا أرى أنه إذا كان الفقير لا يستطيع دفع أجر الطبيب فعلى الطبيب أن يقوم بالكشف عليه مثله مثل أي شخص يدفع.

وأحد مبادئ مجموعة توكوشوكاى أن نقوم بعمل قرض للمريض حتى إذا كان هذا القرض لإعالة ذلك المريض، ولكن البعض يرى أننا تمادينا أكثر من اللازم عندما نفعل ذلك ولكن في الواقع أن بعض المرضى ينتحرون بسبب عدم وجود مال ينفقونه على معيشتهم، واقتناع الشخص بأهمية وجود هذا المبدأ يأتي من هل يعرف ما يشعر به المريض الفقير أم لا، وإن إحساسي الشديد بذلك كان نقطة الانطلاق (الصفر) وإن ذلك الإحساس هو أكبر ثروة تملئ قلبي.

منذ أن كنت صفرًا كنت أفكر في كيفية مساعدة المريض الفقير ولذلك جعلت مساعدة الفقير أحد مبادئ مجموعة توكوشوكاي ولم يعترض أحد على ذلك المبدأ، إن الصفر يعلمنا أشياء مهمة، ولكن مَن تَرعرعَ في حياة رغدة حصل فيها على كل شيء لا يستطيع أن يفهم أهمية ذلك الصفر، إن من له ثروة

كبيرة لا يستطيع أن يعي أهمية أن تجعل قلبك مع الآخرين، وعندما تقارنون من يملك ثروة كبيرة بما أملكه أنا ستجدون أن ما يملكه هو ذو قيمة ضئيلة جدًا مقارنة بما أملكه أنا.

فأنا أستطيع أن أقف موقف الإنسان الضعيف وأشعر وأفكر من وجهة نظره، ولذلك عندما أبنى مستشفى يكون هدفها الإنسان الضعيف.

كنت أريد العودة إلى مسقط رأسي توكونوشيما عندما أبني مستشفى هناك، فأستطيع تقديم الرعاية الطبية الجيدة في مجال الجراحة والنساء والولادة والباطنية ولكن ليس في مجال العيون والأنف والأذن، فإذا استطعت أن أقدم الرعاية الطبية لجزيرة توكونوشيما فإنني لا أستطيع تقديم الرعاية الطبية لجميع جزر أمامي. أستطيع تقديم الرعاية الطبية لجزيرة واحدة فقط ولكن ذلك لن يرضينا، أعتقد أنه يجب إنشاء مستشفى كبير يضم كل التخصصات ويجب أن يكون في كل جزيرة مستشفى كبير يضم كل التخصصات.

سؤال : ألم يكن من الصعب جدًا إقامة مستشفى في جزيرة توكونوشيما؟

إجابة : إلى فترة قريبة ماضية كان صعبًا ولكن الآن اختلف الأمر، فلقد كان إرسال أطباء إلى منطقة نائية أمرًا صعبًا جدًا ولذلك فكرت في عمل مستشفيات كثيرة في المدن الكبيرة وتجميع كثير من الأطباء في تلك المستشفيات ثم إرسالهم بعد ذلك إلى الجزر البعيدة النائية بالتناوب، ولقد فكرت في ذلك من خلال ما قمت به منذ مقاطعة فكرة الحصول على درجة الدكتوراه والتفكير

في الرعاية الطبية للجزر المنعزلة البعيدة والأماكن النائية من ريف وقرى وأيضًا من خلال الجمعية العلمية لدراسة أحوال جنوب شرق آسيا.

وبناءً على ذلك أنشأت أول مستشفى عام 1974وأخيراً وبعد ذلك بأثنى عشر- عامًا أصبحت في وضع يسمح لي بأن أقيم مستشفًا شاملاً يحتوى على جميع التخصصات في توكونوشيما.

الفصل الخامس

الانطلاق نحو إنشاء المستشفيات

عندما تتصارع مع طرف قوي :

سؤال : يا سيد توكودا، لقد التحقت بالجامعة سنة (1959م)، وكان أول مستشفى قمت بإنشائه سنة (1973م)، وذلك عندما كان عمرك خمسة وثلاثون عامًا، أعتقد أنك صادفت الكثير من الصعاب والعوائق. أليس كذلك؟

الإجابة : نعم، لاقيت صعابًا كثيرة، فعندما يتعلق الأمر بإنشاء وإدارة مستشفى يكون معقدًا، لأن هناك عدة مشاكل وأمور مرتبطة بذلك، و أيضًا اعتراضات ومضايقات مثل: العوائق التي تضعها نقابة الأطباء، فكانت تتصل بالبنك سرًّا لتسأل عن مصادر التمويل.

بالتأكيد هناك بعض الأطباء الذين انهزموا واستسلموا بسبب هذه الطريقة التعسفية التي اتبعتها نقابة الأطباء ولكن الوضع معي كان مختلفًا، فأنا لم أهزم، بعد مغادرتي جزيرة «توكونوشيما» سنة (1955 م)، وكان عمري حينذاك ستة عشر عامًا، وكنت حتى ذلك العمر مجرد ولد عادي ولكن مشاغب، قضيت حياتي كلها في العمل ليلاً ونهارًا دون راحة دقيقة أو ثانية واحدة، وعملت أربعة أضعاف الأشخاص الآخرين منذ تلك السنة

(1955م) ولمدة ثلاثين عامًا أي حتى سنة (1985 م)، ولأنني عملت أربعة أضعاف الآخرين أصبح عمري على الأقل 120 عامًا، أي أن عمري الآن إذا أضفنا الستة عشر عامًا السابقين على ذلك يكون 136 عامًا، ولذلك لا يوجد شيء يخيفني في هذه الدنيا، فمثلاً عندما قمت بإنشاء مستشفيات في كل من مدن «اوكيناوا» و «فوكوكا»،«كيوتو» و «جياساكي». و«ياماتو»، كان الأطباء أعضاء نقابة الأطباء يعتقدون أنهم سوف يدمرونني بسهولة، وكأنهم تلقوا أمرًا بتدمير «توكودا»، ولكن أظن أن هذا كان تفاؤلاً زائدًا منهم، فأنا لا أخوض معارك خاسرة، وعندما أخوض معركة فأنا لا أقيم وزنًا للطرف الآخر، لأنني لو فكرت في الهزيمة ولو للحظة، سأرتبك وأخاف وأفشل في الوصول لشيء وساعتها ستكون الخسارة فادحة لو فشلت في البداية، لأن المستشفى الواحد يتكلف أكثر من 3500 مليون ين، وبالرغم من ذلك فأنا أستخف بالطرف الآخر، لماذا؟ لأن هناك سببًا يدعوني لهذا الاستخفاف ! وهو أن متوسط عمر الأطباء أعضاء الجمعية الطبية خمسة وخمسون عامًا، وإذا قارنا أعمارهم بعمري، سيكون الفارق أكثر من ثمانون عامًا، إذن فهذه الجمعية هي تجمع لأفراد ما زال عودهم أخضر بالنسبة لي، ولهذا السبب أنا واثق من أنه يجب عدم الهزيمة أمامهم، هم حوالي خمسمائة شخص ، لكن لأنهم يقلون عني في العمر نحو ثمانون عامًا فهم ما زالوا أطفالاً يتعلمون المشي، لذا.. حتى لو خاضوا المعارك ضدي، فأنا لا أخافهم، يمكنني أن أسحقهم الواحد تلو الآخر بمنتهى البساطة، لكن لا يجب أن أسحقهم بالفعل، لأنني لو شوهدت وأنا أسحقهم،

سأصبح أنا السيئ والملام على ذلك، بل يجب أن أعييهم من البكاء، وعندما ينامون من التعب، أغادر خلسة، يجب أن تكون هذه هي الإستراتيجية التي أتعامل بها معهم في المعارك، وعلى هذا، فإذا جاءني منهم 500 طبيب أو 5000 أو حتى 50000 أو 100000 طبيب من الذين أعمارهم 55 عامًا لمواجهتي، فلن أهابهم، لذلك، عندما أرادوا أن يغيظوني ويجعلوني أغضب كانوا يقولون لي (أفعى جزر «أمامي» الخبيثة، ارجع إلى «أمامي»)، كنت أغضب على الفور وكنت أفكر أن ألدغهم، لكن أقول، انتظر، فإن اللدغ لا يتناسب ومنزلة رجل عمره مائة وستة وثلاثون عامًا، منذ قديم الزمان هناك مثل يقول إن سنابل الأرز كلما نضجت أكثر تدلت رأسها للأسفل أكثر، وهذا يعني أن الإنسان كلما كبر أكثر وأصبح عظيمًا يتواضع أكثر، وأنا لست بهذا الكبر أو العظمة ولكن بما أن عمري مائة وستة وثلاثون عامًا آمر نفسي بأن أتظاهر بأنني عظيمًا، وهنا يستريح قلبي وأهدأ، ومهما قيل لي (ارجع إلى «أمامي») أستطيع الرد بمنتهى الحكمة (أنتم محقون فيما تقولون)، وعندما أقول لهم «سأشرح لكم سبب عدم رجوع أفعى «أمامي» إلى بلادها، في الواقع أنا أريد الرجوع إلى بلدي وأريد أن أنشأ هناك مستشفى، هذه هي رسالة «توراو توكودا » الحقيقية، ولكن وبما أنكم سميتموني الأفعى، فيجب للأفعى أن تطوف بكل من «فوكوكا» و «كيوتو» و«جيكاساكي» قبل الرجوع إلى بلدها)، وهنا يغضب الطرف الآخر ويهاجمونني بضراوة، ثم يتعبون من الهجوم والكلام ويرحلون، وأكون بهذا قد انتصرت عليهم.

سؤال : إذا كان المشروع الذي تريد إقامته عظيمًا، فيجب عليك أيضًا أن تُناقش شخصًا كبيراً، ليس كذلك؟

الإجابة : عمومًا، هذه هي نقطة الصراع، فخلال إنشائي لمستشفى في كل من مدن «اوكيناوا» و «فوكوكا» و «كيوتو» و «جيكاساي» و«ياماتو»، كان لابد أن أقترض المبلغ المطلوب لتكاليف البناء، لو المبلغ كان مائة مليون أو مائتين مليون ين، لكان الأمر هينًا، ويستطيع أي شخص أن يقترض هذا المبلغ إذا كان عنده ضمان وضامن، لكن عندما يكون المبلغ اثنان أو ثلاثة بليون ين، فإن الأمر يكون أصعب، فالبنك سيطلب مقابلة الشخص الطالب للقرض، وفي الحقيقة أنا أشعر بالدوار عندما أقابل مديرًا أو رئيس مجلس إدارة بنك كبير، لذلك، كي أكون بصيراً أو مدركًا للأمور، فأنا أطرح أسئلة على نفسي وأحاول الإجابة عليها.

- أنت، ألم تقل أن عمرك مائة وستة وثلاثون عامًا؟
- نعم
- إذن، أيًا كان عمر مدير البنك ذلك، فعلى الأكثر هو ستون عامًا؟
- نعم

عند ذلك، آمر نفسي بأن أتظاهر بأنني شخص عظيم، وأقول أتظاهر بأنني شخص عظيم بأن أحني رأسي، فإن مدير البنك في حقيقة الأمر شخص كبير وعظيم، أما أنا فأتظاهر فقط بأنني عظيم ولكن عندما يرى مدير البنك

رأسي منحنيـة، يلتبس عليه الأمـر ويصدق أنني فعلاً عظيم وأن رأسي منحنيـة مـن التواضع، فيقرضني المبلغ، أنا أعتقد أن الإنسان كائن عجيب، فعلى الـرغم مـن أن المثـل الذي يقول «إن سنابل الأرز كلما نضجت كلما تدلت رأسها»، ينطبق على سنابل الأرز لا ينطبق على الإنسان، فعندما كنت أتظاهر بأنني عظيم وأحني رأسي، كان النـاس يعتقدون أنني عظيم، في الواقع ذلك بسبب أن الإنسان مخلوق من الماء وعندما يحني رأسه، ينحدر الماء بالتدريج إلى الرأس، لذلك عندما يحنى الإنسان رأسه يبدأ في النضوج،

الإنسان الأصيل لا يتغير :

يقال منذ القدم إن الإنسان تتغير شخصيته عندما يصبح رئيس شركة أو عضـو مجلس شعب أو مدير إدارة مثلاً، لكن الإنسان الأصيل لا تتغير، مهما حصل على سلطة أو أصبح رئيسًا لشركة، عادة عندما يصبح أحد الأشخاص رئيسًا لشركة، فإنه يتكبر ويبدأ مخزون الماء في جسمه في النزول لأسفل ويصبح رأسه فارغًا لذلك قيل إن الإنسـان الـذي يتغير لا يكون أصيلاً، وذلك يؤكد ما قلته سابقًا من أنه عندما تتدلى رأس الإنسان يبدأ في النضوج، ولأن الناس تعتقد أنه يجب أن يحدث له ذلك، فبالتالي يجب عليك أن تتصرف على ذلك النحو، إن اعتقادي بأن عمري مائة وستة وثلاثون عامًا هو شيء جيد من وجهة نظري، وذلك لأنني إذا لم أعمل أربعة أضعاف الآخرين لم أصبح كذلك، ولن أستطيع أن أشعر بذلك، وإذا لم أعمل باجتهاد وبكل طاقتي، فلن أستطيع حتى

أن أجد الأعذار التي أقدمها للطرف الآخر، ولن ينفعني إن قلت إن عمري خمسمائة عام، ما دمت لم أقم بالعمل الذي يؤكد ذلك، يجب أن أتأكد أولاً أنني أعمل أربعة أضعاف الآخرين، حتى يمكنني أن أعتقد أن عمري كما أدعي.

استطعت التحايل على عدة بنوك هنا وهناك، لكن بما أنني قمت بسداد جميع القروض وبفوائدها، يمكن القول أيضًا أن البنوك هي التي تحايلت علي، ولكن وبما أنني الطرف الذي يذهب إلى البنك لطلب القرض، فمن الظاهر أنني الذي تحايلت عليهم، وعمومًا لا أستطيع الجزم من الذي تحايل على الآخر، مجموع البنوك التي قمت بالاقتراض منها ثلاثين بنكًا، منهم بنك «Nippon Kogyo Ginko» وبنك «Nippon Choki Shinyo Ginko»، بنك «Nippon Saiken Shiyo Ginko» وبنك «Nippon Chukin» وبنك «Daiichi Kangin»، بنك «Sumitomu Ginko»، بنك «Tozai Ginko»، بنك «Taiyo Kobe Ginko» وبنك «Sumitomo Shintaku Ginko» وغيرهم، واقترضت أيضًا من بنك «United Karunia Bank» وأيضًا عندما تجمع لدي المال حصلت على قرض بالفرنك السويسري من بنك «Shuttle First National Bank»، وكان الفرنك السويسري في ذلك الوقت يساوي نحو مائة وأربعون ينًا، والآن الفرنك السويسري حوالي مائة وعشرون ينًا، أليس كذلك؟ في ذلك الوقت ولأنه كانت هناك موافقة من وزارة المالية ألاّ يقرضوني سوى أربعة ملايين وخمسمائة ألف فرنك، وهو ما يساوي ستمائة

وثلاثون مليون ين ولكنهم اكتفوا بأن أعيده لهم خمسمائة وأربعون مليون ين فقط، هل كان ذلك كله بسبب حكمة رجل يبلغ من العمر مائة وستة وثلاثون عامًا أم أنها كانت مجرد ضربة حظ؟ ولقد كان ذلك حدثًا كبيراً بالنسبة لي، فقد اقترضت مالاً وفي نفس الوقت ربحت مالاً آخر.

الدافع إلى إنشاء المستشفيات :

سؤال : متى بدأت تقريبًا التفكير في إنشاء المستشفيات؟

الإجابة : كان هذا سنتين (1967- 1968 م)، فكرت في إنشاء مستشفى، ولم يكن عندي المال أو المقدرة في ذلك الوقت، ومنذ تخرجي وأنا أنتظر الفرصة المناسبة لتحقيق هدفي، لكني لم أكن أريد إنشاء مستشفىً صغيراً، وذلك لأنه أولاً كان من بين أصدقائي صديقًا والده يملك مستشفًا وكان صديقي سيرث هذا المستشفى وكان عندي رغبة بإنشاء مستشفًا أكبر منه، عندما أفكر في ذلك الآن أجد أنه كان هدفًا صغيراً ولكن في ذلك الوقت كانت مستشفى والد صديقي تبدو لي شيئًا كبيراً، على أي حال كان هناك سببٌ آخر وهو اعتقادي بأنه لا يمكن تقديم رعاية طبية مثالية إذا لم ننشئ مستشفًا عامًا يسمح باستقبال وإقامة المرضى، ومثل تلك المستشفيات الكبيرة لا يتم إنشاؤها بسهولة، كان عندي أيضًا هدفًا أن أقيم مستشفى يعتمد على القدرات الذاتية وليس مستشفى يسيطر عليه جماعة علمية واحدة أو مجموعة أطباء من خريجي نفس الجامعة، وكنت حتى بداية إنشائي لأول مستشفى شخص عادي يعيش

معتمدًا على راتبه فقط، ولم يكن عندي مدخرات أو إرث، وعلى الرغم من ذلك كـان أول مستشفى أنشأته تكلف مائة وخمسة وستون مليون ين وكانت بدايتي من الصفر تمامًـا، وعلى الرغم من أن تطلعـاتي تفـوق إمكانيـاتي منـذ اللحظـة التـي قـررت فيهـا أن أنشـئ مستشـفى يتسـع ثمـانون سريـرًا، بـدأت الأمـور تسـير عـلى نحـو مـا أريـد، وكـان إنشـاء مستشفى يتسع ثمانون سريرًا رقمًا مستحيلاً في ذلك الوقت، ولكن كل ذلك حدث بسـبب إيماني الراسخ منذ وقت دخولي الجامعة بأنه لا يوجد شيء مستحيل، وكان تصميمي عـلى أن أنشأ مستشفى يتكلف مائة وخمسة وستون مليون ين وأنا لا أملك هذا المبلغ ولا أي مدخرات ولا يوجد ضامن لي، وإذا قلنا دربًا من الجنـون، فهـو كـذلك بالفعـل، ولكـن إذا صممت على شيء ووضعت كل ثقلك في تحقيقه، فبالتأكيد سيتحقق.

سؤال : كيف حصلت على قرض ورأسمالك الشخصي صفر؟

الإجابة : في البداية كنـت لا أفقـه شـيئًا عـن الموضـوع، ولـذلك ذهبـت إلى عـدة أماكن وسألت عن عدة أشياء، الطريف أنني كنت أعتقـد أن البنـوك تأخـذ الأمـوال مـن الأشخاص الذين لديهم المال الكثير وتقرضـه للأشـخاص الـذين لـيس لـديهم مـال، لكـن اتضح لي بعد ذلك أن البنوك تأخذ المال ممـن لا يملكونـه وتقرضـه دفعـة واحـدة للـذين يملكونه، وفعلاً قالوا لي في البداية لـن نقرضـك لأنـك لا تملـك رصـيدًا أو مـدخرات، طبعًـا اعتقدت أنه لو كان عندي مدخرات ما كنت ألجأ إليهم ليقرضوني المال ولكـن هـذه هـي شروطهم، لذلك قمت

بالتأمين على حياتي بمبلغ مائة وثمانون مليون ين ثم ذهبت للبنك وقلت للبنك ـ للمسؤولين هناك ـ «أنا لا أقبل أن يضيع عليكم مالكم حتى لو كلفني ذلك حياتي وأنا قد وقعت على أوراق تجعل بنككم هو المستفيد من مبلغ بوليصة التأمين على حياتي، ووضعت ختمي على الأوراق، لذلك أرجو الموافقة على إقراضي المبلغ» فقالوا لي «يا سيد توكودا إن مبلغ بوليصة التأمين على الحياة لا يصرف إلا إذا مات المؤمن على حياته، فبعد أن تفتتح المستشفى ويمر عام أو عامان أو ثلاثة هناك احتمال أن يفشل المشروع ولو فشل المشروع وأنت حي ترزق، ألن تكون ضيعت علينا مالنا؟» فعلاً كما يقولون، لكن ولحسن الحظ، كان هناك بند في بوليصة التأمين ينص على أنه حتى في حالة انتحاري بعد سنة من التأمين، يصرف مبلغ التأمين، لذلك عندما قلت للمسئولين في البنك «إذا فشل المشروع بعد عام أو عامين سأصعد إلى أعلى مبنى المستشفى وأحنى رأسي وألقى نفسي»، فوجئت بهم يقولون لي «هذا اقتراح طريف» ثم وافقوا على إقراضي المبلغ الذي يكفي لبناء مستشفى يتسع ثمانون سريرًا،

سؤال : هل كان هناك سبب لاختيار مدينة «ماتسوبارا» في «اوساكا» لتضع فيها حجر أساس أول مستشفى من مستشفياتك؟

إجابة : نتيجة لعدة دراسات قمت بها، تبين لي أن مدينة «ماتسوبارا» هي أنسب مكان لإنشاء مستشفى جديد يخدم منطقة «اوساكا» وما حولها، على أي حال، هناك بعض المناطق التي تعاني من نقص في الرعاية الطبية في الحضر

وبحثًا عن مكان مناسب لإنشاء مستشفى في «ماتسوبارا» ولأنني كنت في ذلك الوقت طبيبًا مناوبًا، فقد قمت بنفسي في أوقات الراحة من العمل بالتجول مشيًا في المدينة بحثًا عن المكان المناسب، لم أبحث بنفسي فقط، بل زوجتي أيضًا كانت تذهب كل يوم للبحث عن المكان المناسب وأيضًا المرور على البنوك طلبًا لقرض، وقد قلت سابقًا إن ذلك بسبب إيمان زوجتي أن كل ما أقوله وأفعله صائب. عادة البحث عن مكان أو جهة تمويل وأنت لا تملك شيئًا في يدك هو شيء صعب وغير مرغوب القيام به، ولكننا أنا وزوجتي معًا كان عندنا القوة لنبدأ من الصفر، وأثناء بحثي عثرت على مكان مناسب وصالح لإقامة المستشفى بالقرب من محطة «كاواجياماي» على خط سكة حديد «مينامي اوساكا» التابع لشركة «كينتاتسو» لخطوط الأنفاق والسكك الحديدية، لم تكن أرضًا معروضة للبيع وكانت مساحة الأرض تصلح لإقامة مستشفى من خمسة طوابق، كانت قريبة بالدرجة التي يمكن رؤيتها من المحطة، وكان الموقع مناسبًا من ناحية المواصلات، وكنت متأكدًا من أن المرضى الذين كانوا يذهبون إلى مستشفيات بعيدة من قبل سيأتون إلينا، وقد قمت من جهتي بعمل حسابات تصورية حول عدد المرضى الذين سيأتون للمستشفى عندما يُفتتح، وعدد المرضى الذين سوف يقيمون فى المستشفى ومتوسط مبلغ التأمين الصحي وأيضًا تكلفة المعدات وتكلفة القوة البشرية وشراء الأدوية وما إلى ذلك، وقمت بعمل تصور محدد لاحتمالية الربح، ومن خلال النظر لجميع الجوانب والشروط المناسبة، وجدت أن هذه الأرض التي هي في الأصل حقل كرنب،

توافق جميع الشروط، وكنا في ذلك الوقت في بداية الربيع بالضبط وهو موسم نضج الكرنب بأحجام كبيرة، ولم أكن أعرف كيف سأشتري هذا الحقل، ولكي أجد صاحب حقل الكرنب، ذهبت إلى سيدة بالقرب من الحقل وسألتها أين يسكن صاحب هذا الحقل؟ فقالت لي «لا أعرف»، وعندما سألتها «متى يأتي لقطع الكرنب؟»، أجابت «في الصباح، في الخامسة والنصف يكون موجودًا»، لذلك استيقظت أنا أيضًا مبكرًا وركبت أول قطار إلى المكان، وفعلاً وجدت صاحب الحقل هناك، ولأنني غير قدير في بدء الحديث مع الناس، أخذت أحوم حول المكان، بالتأكيد شعر صاحب الحقل بالريبة لأن هناك رجل محترم يرتدي نظارة طبية يتطلع إلى المناظر بجوار حقل الكرنب من قبل الساعة السادسة صباحًا، وبادرني الرجل الحديث قائلاً «ماذا تفعل هنا؟»

- فقلت له : هل الأرض صلبة في هذا المكان؟
- قال : الأرض؟ لا يوجد مشكلة في الأرض هنا.
- قلت : هل تتحمل هذه الأرض إنشاء مبنى كبير؟
- قال : نعم، إذا أردت إنشاء مبنى يمكنك ذلك، أنت جئت إلى هنا من أجل الأرض؟
- قلت : في الواقع أنا أريد إنشاء مستشفى في هذه المنطقة، ألا يمكن أن تبيعني الأرض؟

- قال : هذه الأرض ورثتها عن أجدادي، وليس عندي نية لبيعها، لا أفكر في ذلك مطلقًا.
- قلت : أهكذا؟
- قال : لماذا تعتقد أن هذا المكان مناسب لمشروعك؟
- قلت : هذه المنطقة من أكثر المناطق في «أوساكا» لا يوجد بها مستشفيات واعتقدت أنكم تواجهون مشكلات بسبب ذلك، وكطبيب أريد إنشاء مستشفى حقيقية يتسع ثمانون سريرًا وتستطيع تقديم كل الخدمات تقريبًا، ومواصفات هذه الأرض تتلاءم مع الشروط تمامًا.
- قال : إذن أنت طبيب، أنا لم أكن أنوي بيع هذه الأرض لأنني ورثتها عن أجدادي، لكن إذا كنت ستبني مستشفى، دعني أفكر في الأمر.

وأخذنا نتبادل الحوار واتفقنا على أن يكون السعر الإجمالي للأرض ثمانية عشر مليون ين وطلب الرجل مليونا ين كمقدمة، ولكني لم أكن أملك حتى ينًا واحدًا، وارتبكت وقلت له «موافق»، وبعد رجوعي ولمدة خمسة عشر يومًا بدأت ادخار وجمع المال، وأخذت مليون ين وذهبت له وأعطيته إياه، وعندما سألني عن باقي المقدم قلت له بعد أسبوع، وبعد أسبوع كنت قد جمعت المال بالكاد.

وعندما قلت لزوجتي «الآن يمكن البدء في إنشاء المستشفى بالتدريج»، كانت تسمعني وهي شاردة الذهن، فهي تعرف أنني إذا قلت كلمة أنفذها، وكانت أمي أيضًا تعرف منذ صغري، أنني إذا قلت كلمة أو صممت على فعل شيء فسأسعى في تنفيذه، وإن وجود هاتين السيدتين في حياتي أعطاني قوة هائلة لكي أقوم بعملي.

معنى البداية من الصفر :

إن أول سلاح في المعركة أن تؤمن بأنك إذا صممت على شيء، فإنك تستطيع إنجازه، أما السلاح الثاني فهو إذا افترضنا أنني لم أكن متزوجًا من زوجتي الحالية، وكنت تزوجت من ابنة صاحب مستشفى في إحدى المدن مثلاً، كنت سأخدعها أيضًا وآخذ مهرها ببساطة وهو عادة نحو مائة مليون ين وأنشأ مستشفى، لكن تلك الزوجة كانت ستشعرني دائمًا بأن «هذه المستشفى رأسمالها من مهري»، وبالتالي عندما أقوم ببناء المستشفى التالي سوف تقوم بتحذيري من إنفاق المال في مستشفى قد تخسر، وبالنسبة لي أيضًا أشعر بالقلق من إنفاق المال في مستشفى قد تخسر، لذلك عندما أفكر في إنشاء مستشفى ثانٍ تكلفته ستمائة مليون ين، سأنتظر حتى أجمع المبلغ في يدي، أو على الأقل أجمع النصف وأقترض النصف الآخر، لكن لأنني بنيت المستشفى الأول من مستشفيات «توكودا» في مدينة «ماتسوبارا» من الصفر، استطعت أن أبني المستشفى الثاني والثالث والرابع أيضًا من الصفر وهكذا حتى الآن،

فمستشفيات «اوكيناوا» و «كيوتو» و «جيكاساكي» و «ياماتو» و «سابارو» كلها أنشأتها من الصفر، فإن طريقتي الخاصة في إنشاء المستشفيات أن تكون بداية من مبالغ ممولة من البنك، فالحياة ليست المال ولكن المشاعر والأحاسيس.

يوجد بعض الأشخاص عند عمل شيء يتحججون بعدم وجود المال، ولذلك فهم لا يستطيعون فعل ذلك الشيء، لكني أعتقد أنهم لا يملكون الرغبة في تحقيق هذا الشيء، في الواقع إن أي شيء نبدأه من الصفر يصبح له قيمة، لكن مع وجود المال يستطيع أي شخص استخدام هذا المال لتحقيق الأشياء.

الشيء الأهم هو أن المشاعر، عند عمل أصدقاء أو زملاء، وعند وضع المُثل أمر مهم، ولقد حصلت على تعليم جيد جدًا بالنسبة للمشاعر والأحاسيس، وكما هو معروف يعلموننا في الصف الثالث الابتدائي ويشحذوننا بقوة بقصص أحزان الضعفاء.

هناك شيء آخر وهو حصولي على تعليم كاف من أمي كإنسانة، ومن أبي أيضًا ومن جزيرة «توكونوشيما» ومن زوجتي أيضًا، لقد حصلت على تعليم إنساني عالي المستوى عن المشاعر والأحاسيس وهو سبب قوة روحي، طبعًا هناك الجانب المتمرد والسوقي من نفسي وشخصيتي التي تنتمي للطبقة المتواضعة، لكن في النهاية تتغلب قوة قلبي ومشاعري لتحميني.

تصرف عكس هواك :

سؤال : ما هي الأسباب التي جعلتك تنشأ عدة مستشفيات كبيرة الواحد تلو الآخر؟

الإجابة : في الواقع لا يمكن تقديم خدمات طبية جيدة إذا لم يكن المستشفى يتسع لأكثر من ثلاثمائة سرير، وعندما يصبح مستشفى بهذا الحجم يجب أن يكون فيه خمس أو ست أطباء مقيمين طوال الأسبوع بما في ذلك أيام العطلات الأسبوعية (السبت والأحد) وعطلة رأس السنة، وإذا وجد طاقم بهذا الحجم سنتمكن من إجراء العمليات الجراحية إذا دعت الضرورة بسرعة ويسر. لذلك كان أول مستشفى أنشأته وهو مستشفى «توكودا» يحتوي على ثمانون سريرًا وكان ذلك أقصى. حجم توصلت إليه في ذلك الوقت.

وعندما أنشأت مستشفى «توكودا»، وبالرغم من أنه كان يتسع ثمانون سريرًا فقط إلا أنه قيل عني أشياء كثيرة، أولاً : لماذا ينشأ «توكودا» مستشفى يتسع (ثمانون سريرًا) هل هو بهدف الربح؟

ثانيًا : كانت المشكلة عندهم هي لماذا ينشأ السيد «توكودا» مستشفى في «اوساكا» بالرغم من أن مولده ونشأته في جزيرة توكونوشيما؟، لقد استفاد وتمتع من أموال ضرائب الناس في جزيرة توكونوشيما حتى تخرج من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، وتمتع بأكل الأرز والبطاطا التي تُزرع في الجزيرة ولكنه لم يرد هذا الجميل ولم يترك وراءه سوى فضلاته الشخصية، ولا يوجد له

عذر في ذلك، علاوة على أنه يزاول المهنة ويتربح منها ويدفع ضرائبه في «اوساكا»، وبسبب مثل هؤلاء الأشخاص الذين يأكلون ويهربون دون دفع المقابل، لن تتحسن الرعاية الطبية في القرى والجزر المنعزلة.

عندما يُقال عني أنني شخص يأكل ويهرب، لا يسعني سوى أن أقول «نعم»، وألتمس لنفسي الأعذار.

فأنا عندما أنشأت أول مستشفى كانت وجهة نظري أنه بما أنني لا أملك القدرة المالية في الوقت الحالي، يجب أن أقبل بثمانين سريرًا على الرغم من قلتها، وعندما يكون عندي القدرة بعد ذلك سوف أنشأ مستشفى يسع ثلاثمائة سريرًا، لو وضعت مبادئ راسخة لمثاليات المهنة واتبعتها، فحتى لو كان المستشفى يتسع ثمانون سريرًا فقط، نستطيع تقديم خدمة طبية ممتازة، وبناءً على ذلك كتبت كمبادئ لمجموعة «توكوشوكاي» وهي أن يكون هناك «مستشفيات يطمئن فيها المريض على حياته»، و«مستشفيات تحافظ على صحة المريض ومعيشته»، وكتبت أيضًا كطرق لتنفيذ هذه المبادئ أن تكون مستشفياتنا «تعمل أربعة وعشرون ساعة في اليوم ودون عطلات طوال العام، ودون تلقي مبلغ تأمين عند دخول المريض ولا مبلغ فارق مساحة الغرف بالنسبة للغرفة الكبيرة ولا تكلفة مكيف الهواء باردًا كان أم ساخنًا، وتدفع عن المريض الغير قادر ماليًا نسبة الثلاثين بالمائة المطلوب من المريض دفعها كتأمين صحي، وتقدم إعانات

وقروض مالية للمرضى الغير قادرين على سد حاجات المعيشة بعد إصابتهم بالمرض، وممنوع منعًا باتًا تلقي أية هدايا من المرضى».

بالتأكيد هذه كانت مثالياتي ولكن في الواقع كان تنفيذ هذه المبادئ شيء صعب أو بمعنى آخر إن هذه المثاليات ليست هي مكنون قلبي، ولكن حتى لو كانت هذه المبادئ والمثاليات ليست متأصلة في نفسي، فكتابتها وحرصي على تحقيقها يجعلني أتمكن من تحقيقها، فالإنسان عندما يكتب شيئًا ويعلقه أو يضعه في مكان مرئي، غالبًا ما يكون هذا الشيء الذي كتبه مخالفًا لما في سريرته وغالبًا ما يكون شيئًا يستوجب المجهود الكبير لتحقيقه، ونستطيع أن نفهم ذلك إذا ذهبنا إلى المدرسة الثانوية، فالمدرسة الثانوية التي تكتب وتعلق كلمة «الحزم» تكون في الواقع مدرسة متسيبة.

إن معظم الطلاب يكتبون كلمة «المثابرة» ويعلقونها على الحائط، لأن الطالب الذي يعلقها لا يميل عادة إلى بذل المجهود أو يكون شخصًا متكاسلاً، إنما الشخص المجتهد يمكنه العمل والاستذكار بجد دون أن يكتب أو يعلق هذه الكلمة، فالطلاب الذين يكتبون كلمة «المثابرة» ويعلقونها، عندما يرفعوا رأسهم ليتطلعوا مثلاً للوقت في الساعة المعلقة على الحائط ويرون هذه الكلمة يتذكرون أنهم يجب أن يثابروا ويستذكروا خمس دقائق أطول، إذن كلمة «المثابرة» التي علقوها لم تأتي إلا بنتيجة خمس دقائق فقط.

أركـز في قـولي عـلى أهميـة أن يكـون عنـدنا مبـادئ ولكننـي شخصـيًا إذا قلـت الحقيقة، أريد أن أستريح وأن يكون العام بطوله أجـازة، أريـد أن ألعـب وأتسـلى أربعـة وعشرون ساعة في اليوم وأريـد أن أحصـل عـلى نسـبة الثلاثـين بالمائـة مـن المـرضى الغـير قادرين ماديًا أيضًا وأريد أن أقرض المرضى لسد حاجات المعيشة بفوائد وأريد أن أفحـص المرضى بالدور بدءًا بالمرضى الذين يعطون هدايا أكثر، هذا هو هواي ومكنون قلبي.

هل تعرف كيفية الحياة الناجحة؟ هناك طريقة واحدة فقط لتسير حياتك بنجاح على قدر إمكانياتك، وهي أن تفعل عكس هواك على طول الخط، لا تفعـل الشيـء الـذي تشعر أنك تريد فعله، بل افعـل الشيـء الصـعب عليـك فعلـه أو الشيـء الـذي لا تحبـه، عندما تريد مشـاهدة التلفزيـون أو عنـدما لا تريـد الاسـتذكار، افعـل عكـس ذلـك، وإذا فعلت دائمًا عكس ما تفكر فيه وعكـس هـواك، ستسـير حياتـك ببراعـة، يجـب أن تحـدد مبادئك على أساس أن تكون مخالفة لهواك، وإذا أدركت هذا مـن البدايـة، سيبتسـم لـك القدر.

خدمة أربعة وعشرون ساعة في اليوم :

سؤال : ألم يكن عبئًـا جسـمانيًا عـلى فريـق الأطبـاء أن تعمـل المستشـفى أربعـة وعشرون ساعة في اليوم؟

الإجابة : بالتأكيد عندما تصل لسن معين لا تستطيع جسمانيًا السهر طوال الليل، لذلك كنا ندرب صغار الأطباء وكان عندنا نظام النداء الأول والثاني والثالث، فمثلاً لو كان الفريق الواحد مكون من خمس أطباء، يكون النداء الأول من نصيب طبيبين مضى على تخرجهم سنة أو سنتان، أما النداء الثاني فإنه من نصيب طبيبين تمرسوا في المهنة أكثر من خمس سنوات، أما النداء الثالث فيكون من اختصاص طبيب واحد خبرته أكثر من عشر سنوات، يعني الشكل الهرمي، ونحن نطبق هذا النظام في مستشفيات «توكوشوكاي». فإذا حضر إلى المستشفى مائة حالة في اليوم فيمكن أن يباشر أطباء النداء الأول أكثر من تسعون، وعندما لا يستطيع أطباء النداء الأول الكشف على كل هؤلاء فيتدخل أطباء النداء الثاني، وإذا لم يستطع أطباء النداء الثاني السيطرة على الموقف، يتدخل طبيب النداء الثالث في الحال، وهذا العام قمنا بتعيين ستين طبيبًا من خريجي كليات الطب الجدد، نجعلهم يقيمون في المستشفى ونعلمهم وندربهم.

سؤال : سيد «توكودا»، يوجه إليك كثيراً سؤالٌ عن سبب عدم إنشاء مستشفاك الأول في «توكونوشيما»، على الرغم من وجود كثير من الصعوبات التي تواجهها الجزر المنعزلة في الحصول على الخدمات الأساسية مثل الرعاية الطبية وغيرها، فما سبب عدم إنشاء مستشفاك الأول في «توكونوشيما»

الإجابة : نعم دائمًا يوجه لي هذا السؤال كثيراً، ولكن حتى لو رجعت للجزيرة فأنا طبيب واحد، ربما أساعد في حل المشكلة إلى حد ما، ولكن هل أستطيع المساعدة في حل مشكلات الجزر الأخرى؟ وكذلك أنا أستطيع العطاء طالما صحتي وعمري يسمح بذلك ولكن ماذا سيحدث عندما أموت؟ إن مهمتي في الحياة أن أنشأ مستشفى عام في جزيرة «توكونوشيما». وذلك لأنني أول طبيب في جزيرة «توكونوشيما» منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، ولذلك فإن واجبي أن أنشأ مستشفى عام في موطني ولكننا نحتاج الى عشرين طبيبًا آخرين، والأطباء عادة لا يرغبون في الذهاب للقرى أو الجزر المنعزلة، لذلك فعندما أنشأ خمس أو ست أو عشر أو مئة أو ألف مستشفى في المدن سيتجمع عندي آلاف الأطباء للتعاون والعمل معنا وبعد أن يتدربوا ثلاث سنوات يمكننا أن نوزعهم على مستشفياتنا التي سننشأها في القرى أو الجزر المنعزلة ويمكن أن يُوزع الطبيب إلى مسقط رأسه أو قرية أو جزيرة قريبة من مسقط رأسه لمدة عام ثم يعود إلى مستشفاه بالمدينة وهكذا تدور الدائرة ويتداول عمل الأطباء بين المدن والريف وبذلك نستطيع تقديم رعاية طبية جيدة في كلتا الجهتين، واستنادًا لهذا المنطق أنشأت مستشفى «توكودا» لتكون أولى مستشفياتي، والمنطق الذي لا يتبعه عمل يكون مجرد سفسطة، أو هكذا يُقال لأنني لم أنفذ بعد، لكن باعتبار أنني سأضع حجر أساس مستشفى «توكونوشيما» في شهر مايو من العام الحالي سيعرف جميع الناس أن كلامي لم يكن كذبًا، وكي أدافع عن منطقي أنشأت مستشفى «توكودا» في شهر يناير عام

1973. ولكن لم يتجمع عدد كبير من الأطباء حينذاك لأن سعتها ثمانون سريرًا فقط لذلك كنت أنا بنفسي أستيقظ باكرًا وأفحص مرضى الطوارئ ثم أمر على المرضى من الساعة السابعة حتى التاسعة صباحًا وأقوم بفحص مرضى الاستقبال من التاسعة حتى الثانية عشرة ظهرًا وأفحص الأمراض الحرجة من الثانية عشرة ثم أعود لأفحص مرض الطوارئ وكان ذلك يتكرر باستمرار وكل يوم ولمدة أربعمائة يوم كنت أبيت بالمستشفى ولم أرجع لبيتي أو أتناول الطعام في بيتي ولا مرة، ولم أنم الليل في بيتي ولا مرة واحدة، ولذلك عندما كان أولادي يقولون أنهم يريدون تناول الطعام معي ولأن أولادي عددهم سبعة، فكنت أجعل السبعة جميعهم يأتون إلى المستشفى يوم الأحد لمرة واحدة في الشهر ونتناول الطعام معًا وكان المرضى يأتون أثناء تناولي الطعام أيضًا، من يحيا مثل هذه الحياة يصاب باضطراب عصبي يستدعي الحجز في المستشفى أو يرغب في الانتحار، لكن ولأنني كنت متدربًا على تحمل رتابة الحياة خلال حياتي وأنا طالب في الصف الثاني والثالث الثانوي وعامي الاستعداد لدخول الجامعة، كنت أنجح في الأشياء الصعب تحمل رتابتها، وتدريبات التحمل عندما تكون في سن المراهقة تكون جيدة ومفيدة.

سؤال : لقد أقمت عامين في مستشفى «توكودا» وبعد ذلك شرعت في إنشاء المستشفى الثاني على الفور، أليس كذلك؟

الإجابة : أو على الأصح، طلبوا منى إنشاء مستشفى آخر. وأنا أيضًا بـدأت أشـعر برغبة في إنشاء مستشفى ثانٍ بعدما بدأ مستشفى «توكودا» ينجح ويسـتقر، لكـن هنـاك أيضًا إحساسًا بأن أكتفي بهذا المستشفى وهـذا الجهـد، هـل تعـرف مدينـة «دايتـوشي»؟ هناك أغنية للمطرب «شوجيتارو» عنوانها «دعنا نـزور معبـد نـوزاكي في قـارب مسـقوف (قارب للرحلات السياحية والترفيهية)»، أنت طبعًا تعرف الأغنية .

المستشفى تقع بالقرب من معبد «نوزاكي كاننون» الذي تدور به أحداث الأغنيـة والذي كان يزوره اوسومهيساماتو «(بطلا قصة مشهورة)».

وكانت توجد أرض تتبع مجلس المدينـة بـالقرب مـن المعبـد وأقـترح عـليّ رئـيس المدينـة وعضـو مجلـس الشـعب عـن المدينـة أن أشـتريها بسـعر مخفـض وأبنـي عليهـا مستشفى، وكان سبب هذا الاقتراح أنه على الرغم من وجود «مستشفى المدينـة» إلا أنـه لا يعمل بعد أوقات العمل المحددة أو في الأجـازات والأعيـاد، لـذلك طلبـوا منـي إنشـاء مستشفى في المدينة، كنت أود أن أرفض ولكن طبيعته الإنسـان تجعلـه يشـعر بإحسـاس جميل عندما يفعل عكس هواه، وأي إنسان في طبيعته يفعل الشيء العكسي، ولكن عمل الشيء العكسي أيضًا يكون بنـاء عـلى قـرار يتخـذه الإنسـان نفسـه وذلـك يجعلـه يشـعر بشعور جيد.

اشعر أن صدري ينقسم إلى جانبين، الجانب الأيمـن والجانـب الأيسرـ في الجانـب الأيمن هناك «توكودا» الشخص البالغ الذي يريد أن يستريح ويدخر

أموالاً كثيرة ويأكل دائمًا الأكلات اللذيذة ويفكر ويتمنى الأشياء التي يتمناها معظم الرجال العاديين، فإنشاء مستشفى جديدًا عمل شاق ويجعل الإنسان يود الانتحار ولا يوجد ما يدعو فعل هذا الشيء الغبي بمشاقة المميتة. فأنا أريد أن أفعل مثل زملائي الأطباء الذين يمارسون المهنة، أريد أن أذهب للعب الجولف مرة في الأسبوع وأن أذهب لتناول الطعام في مطعم فاخر مرتين في الأسبوع، وأريد أن أذهب رحلة للخارج في نهاية وبداية العام الجديد وأريد أن أفعل ما يحلو لي، في الحقيقة إن رغبتي في الحياة بهذه الطريقة هي مكنون نفسي وهواي، لذلك فأنا أسأل نفسي هل أستطيع فعلاً ومع كل هذه الصعوبات أن أنشأ مستشفى جديدًا؟ ولكن الجزء الأيسر من صدري يوجد فيه «توكودا» طالب الصف الثالث الابتدائي، البريء، المستقيم والجميل الذي يأخذ جانب العدل، يوجد «توراو توكودا» صاحب الوجه المضيء مثل القمر، ألم يقل لي أبي إن الرجل الذي لا ينفذ كلمته لا يحق أن يكون رجلاً؟ ولذلك ولأنني سبق وقلت سأنشأ خمس وست وعشر ومائة وألف مستشفى، يجب أن أنفذ ما قلته، وهكذا يتعارك الجانبين الأيمن والأيسر من صدري، جانب يقول «لا، لا أريد هذا التعب»، ويزاحمه الجانب الذي يقول «يجب أن تفعل»، ويبدو أن الجانب الأيسر يفوز بشق الأنفس.

سؤال : لذلك أنشأت مستشفى آخر. ونتيجة لمبادئك ولتضحياتك، ظهرت أصوات من الأقاليم المختلفة تناشدك بأن تنشأ لهم مستشفيات، ولكن هل كنت تدبر التمويل اللازم لبناء كل مستشفى جديد من الصفر؟

الإجابة : نعم، ولأنني لم أكن أملك أي مال لتمويل هذه الإنشاءات رفعت مبلغ التأمين على حياتي إلى 800 مليون ين، على أن يصرف هذا المبلغ في حالة وفاتي في حادث، ولم يكن واردًا الموت بسبب المرض لأنني كنت أفحص وأدرس الأمر بنفسي- مع بناء كل مستشفى جديد وكنت أتأكد أنني لن أموت بسبب المرض لمدة خمس سنوات قادمة، ثم بعد ذلك أؤمن على حياتي، لذلك كان يجب أن يكون موتي بسبب حادث حتى يصرف مبلغ التأمين وحتى لا أسبب مشاكل للجهة التي أقرضتني المال بضمان مبلغ التأمين على حياتي، إنني أدرس وأفحص كل صغيرة وكبيرة، فأنا أتبع المذهب العلمي في كل شيء، وهكذا أنشأت في شهر ديسمبر عام (1975م) مستشفى في مدينة «دايتوشي» بسعة 200 سرير، وبعد ذلك سارت السفينة وأنشأت المستشفى التالي وهي «كيشي- وادا». وكان لا بد من رفع مبلغ التأمين على حياتي إلى 2730 مليون ين، وافتتحت المستشفى في شهر مايو عام (1977م) بسعة 380 سريرًا وكنت قد أمنت على حياتي وعمري ستة وثلاثون أو سبعة وثلاثون سنة وكان المبلغ الضائع على أقساط التأمين حوالي 700 ألف ين شهريًا، وما زال الوضع مستمرًا حتى الآن.

لذة لعبة المضاعفة كانت باعثي على الحياة :

وهكذا حققت ما أريده بالرهان على حياتي ونجحت المستشفيات، وراهنت بحياتي وأنشأت ثلاث مستشفيات بدأت بسعة 100 سرير ثم 200

سرير ثم 400 سرير. وكان إنشاء المستشفيات بالنسبة لي عمل شاق لدرجة أنني كنت أريد الانتحار، ولكن بما أنني راهنت بحياتي ونجحت بدأت أفكر في أن أدخل نظام الجملة، فمنذ قديم الأزل هناك مثل يقول «إن الشيء عندما يمر من حلقك تنسى سخونته» أي عندما ينتهي الشيء ويصبح ماضٍ تنسى كل الصعوبات التي واجهتها في ذلك الوقت، وأنا قد نسيت رغبتي في الانتحار، بل وأنشأت مستشفى «ياو» أيضًا في شهر يوليو من عام (1978م) وكانت تسع 300 سرير وقد نجح هذا المستشفى أيضًا وأصبح الموضوع مثيرًا وممتعًا بالنسبة لي، فأنا عندما قُبِلت بجامعة «اوساكا» دخلت مكانًا يرتفع عن قدراتي الفعلية مئة ضعف، ولأنه كذلك فقد كنت أود الانتحار من شدة المعاناة أثناء الاستعداد له، وأنا عندما ألعب لعبة المضاعفة أي أضاعف 100 سرير ثم 400 سرير، على الرغم من صعوبة الأمر ورغبتي في الانتحار وقتها إلا أنني عندما أنشأت مستشفى كبيرًا ثم بعده أنشأت مستشفى صغيرًا لا أشعر بتلك الرغبة في الانتحار بمعنى أنني لا أشعر بالإثارة أو اللذة ولا أشعر بباعث على الحياة، فالحياة بدون باعث أو هدف لا تستحق، ولكي نشعر بهدف لحياتنا، يجب أن نلعب لعبة المضاعفة مائتين، ثم ثلاثمائة ثم أربعمائة فسيصبح العدد الكلي ألف سرير ثم لو ضاعفت الألف إلى ألفين سأشعر بمضاعفة الصعاب للدرجة التي أود فيها الانتحار وعندئذ سأقرر أن أفعل ذلك وأبدأ في إعلان رغبتي في إنشاء مستشفى يتسع 2000 سرير مما يدفعني لتنفيذ ذلك.

فلقد أضفت مستشفى في «اوكيناوا» يتسع 600 سرير ثم في «فوكوكا» سعة 500 سرير ثم في «كيوتو» يتسع 600 سرير وفي «جيكاساكي» سعة 500 سرير ثم في «ياماتو» سعة 300 سرير، ذلك بالإضافة لمستشفيات في «نوزاكي» و«ياو»، عند ذلك علت الأصوات من كل مكان تناديني أن أنشأ لهم مستشفى جديدًا، ولأنني لم أملك الشجاعة على رفض طلبهم، أصبح مجموع الأسرّة حتى الآن 4230 سريرًا، وأنا أنوى مضاعفة هذا العدد بعد عام، وعندما أنشأت مستشفى «اوكيناوا»، كنت أذهب إلى هناك بالطائرة وكنت أحيانًا أتمنى أن تسقط بي الطائرة، لهذا الحد كانت العملية شاقة لأن الإدارة ودفع القروض وتدبير الخدمات الطبية كلها أشياء صعبة جدًا، واعتقدت أن كل هذه المشكلات ستحل بموتي، لكني لو أقدمت على الانتحار سيعتبرونني إنسانًا جبانًا ولكن إذا سقطت الطائرة، ربما سأجد من يقول، لقد فقدنا شخصية رائعة، لكنني مؤخرًا وبسبب أن المستشفيات التي سأنشؤها من «هوككايدو» في الشمال إلى «اوكيناوا» أقصى- جنوب اليابان ستزيد عن عشرون مستشفى، تضاعفت مسئولياتي وأصبحت لا أملك الوقت حتى لأفكر في الانتحار، بالإضافة إلى أن إدارة الإحدى عشرة مستشفى من مستشفيات «توكوشوكاي» قد بدأت تنجح وتستقر وأصبح هم الإدارة أخف، وفي وقت الانتخابات كان هناك مقال في إحدى المجلات كُتِب فيه أنه وبأمر من سلطة معنية فإن أفراد مكتب الضرائب قد دخل مستشفيات «توكوشوكاي» ويلازموهم، وقد ضايقني هذا الكلام كثيراً، ولكن تفتيش أفراد مكتب الضرائب لم يسفر عن أي

شيء، وفوجئت بالمسؤولين في مكتب الضرائب يتعاطفون معي قائلين إن «توراو توكودا» رجل مسكين ومدعى عليه، ولكن بفضل وجود رجال مكتب الضرائب وملازمته لمجلس «توكوشوكاي» في ذلك الوقت، أصبح المجلس أكثر التزامًا وتماسكًا، فنحن مستهدفون بالرغم من أننا لا نفعل أي شيء خارج عن القانون، لكن عندما تصل الأمور لهذا الحد فبالتأكيد سيزداد أفراد مجلس «توكوشوكاي» استقامة.

إن عذاب الجحيم الذي ذقته أًصبح هو الطاقة والقوة الحقيقية لي بعد عام أو عامين من التجربة ولأن كل من مستشفياتنا أصبحت متينة ومستقرة، وأستطيع أن أبدأ في إنشاء أكثر من عشر مستشفيات هذا العام.

وإن إنشاء المستشفيات الذي هو هدفي في الحياة بدأ يتخطى حدود اليابان، لأن إنشاء مستشفى أو اثنين لم يعد يبعث الإثارة في داخلي.

ومن الآن سأتوجه نحو العالم، لو أنشأت مستشفيات في كل أنحاء العالم، بالتأكيد سأشعر مرة أخرى بالرغبة في الانتحار ولكن حتى لو رغبت في الانتحار، فإن تحسين الأحوال الصحية والحياتية لأكثر من خمسة آلاف مليون شخص في العالم هو شيء رائع، ألا توافقني الرأي؟

الفصل السادس

العالم هو توكونوشيما .. إستراتيجية يابائنا والعالم

توكونوشيما مركز البوصلة :

سؤال : سمعت أن المبادئ التي أوصيت بها يا سيد توكودا وأصبحت مبادئ مجموعة توكوشوكاى أعجبت العالم وسوف يتم إقامة مستشفيات في كل العالم بنظام مجموعة توكوشوكاى، فأرجو أن تحدثنا عن خطتك المستقبلية لبناء مستشفيات في اليابان ووضع توكوشوكاى بالنسبة للعالم.

الإجابة : مجيئي من جزيرة توكونوشيما يعنى الكثير لأهل تلك الجزيرة، فمثلاً لقد جاء «تاناكا كاكوايه (اسم سياسى كبير) «من قرية نائية في محافظة «ني جاتا» ولقد وصل إلى أن أصبح رئيس الوزراء ولكن مهما كانت قريته نائية فإنها جزء من «ني جاتا»، «توكونوشيما» تقع في البحر وتبعد عن جزيرة كاجوشيما خمسمائة كيلو وإنها أقرب إلى تايوان من أوساكا وإن المسافة منها إلى كاجوشيما أكثر من ضعف المسافة من شمال جزيرة كيوشو إلى كوريا الجنوبية.

فمن يخرج من جزيرة صغيرة مثل هذه لا يستطيع أن ينساها، فلو استطعت أن أفعل شيء في الرعاية الطبيعة على مستوى العالم فأريد أن أترك ذلك لأهل مسقط رأسي ليفتخروا به، فسوف أحاول أن أترك لمسقط رأسي توكونوشيما شيئًا ذا منفعة، ألا وهو إصلاح منظومة الرعاية الطبية على مستوى العالم.

أما عندما يتحول الموضوع إلى المستوى العالمي (أي تحسين الأوضاع الطبية على مستوى العالم) فهذه مسألة أكثر صعوبة، غير أنني نفسي انتمى لجزيرة توكونوشيما وهى جزيرة صغيرة على العكس تماماً من ذلك العالم الكبير الذي نتحدث عنه، وكانت هي محل تفكيري بشكل دائم، و لذلك أبدأ إجابتي بالتركيز على تلك الجزيرة على الرغم من أن سؤالك هو بشأن العالم (المستوى العالمي)، فعندما أنشأت مؤسسة طبية بعد إنشاء مستشفى توكودا فقد فكرت بجدية بشأن المسمى الذي سأطلقه على تلك المؤسسة الطبية،

من المعروف المؤسسات الطبية الأخرى تختار الأسماء التي تطلقها على نفسها أسمى المعاني الأخلاقية مثل : الصفاء، الحب، الخير، وإذا استعرضنا كافة أسماء المؤسسات الطبية المنتشرة على مستوى اليابان نجدها كلها تحمل معاني جميلة.

وفي حالتي فكرت أن يكون الاسم الذي سأطلقه على المؤسسة الطبية التي أنشأتها اسماً أصلياً ومبتكراً وفي النهاية تم الاستقرار على أن يكون الاسم هو توكوشوكاى، وهو الاسم الذي يعبر عن نقطة انطلاقي، فهذا المكان يعبر عن النقطة المحورية التي يدور حولها تفكيري أو بمثابة البوصلة التي توجه سلوكي ومساري.

سؤال: ترى هل هناك اختلاف ما بين اللفظين (توكوشو) و (توكونوشيما)؟

الإجابة : يبدو أن كلمة «شوو» تحمل معنى الأرض أو الجزيرة، كما يشار بها أيضاً إلى الجزيرة الواقعة في وسط نهر ما، ولذلك فمع اختلاف بسيط في الحروف المستعملة تستخدم نفس الكلمة للإشارة إلى منطقتي كيوشو ومنشوريا وكذلك إلى المنطقة الأوقيانوسية (دول جنوب الشرق الأسيوي والمحيط الهادي)، ولكون كلمة شوو تستخدم أيضا للتعبير عن قارة أوروبا وقارات العالم الست فإن تلك الكلمة تعني أيضاً الأرض الكبيرة.

وربما لذلك السبب نجد أن كلمة توكوشو لها دلالة كبيرة.

وخلال فترة استعدادي لإعادة دخول اختبار الالتحاق بالجامعة كنت أقول لنفسي مواسياً : صحيح أنني راسب في الامتحان ولكن يكفيني أن انتمى إلى منطقة توكوشو.

فإذا استخدمنا اسماً مثل مؤسسة توكونوشيما في أوساكا أو مؤسسة توكونوشيما في كانساي فإن سكان توكونوشيما لن يحضرون الاجتماعات الخاصة بتلك المؤسسة ذات الاسم الصغير بسبب تميزهم بالخجل و الخوف.

فأهل الجزيرة يتوارون خلف الأنظار بمجرد رؤية الحرف المشير إلى كلمة (جزيرة) وذلك لشعورهم بعقدة النقص تجاه الأرض الأكبر، فإذا استبدلنا كلمة (الجزيرة) بالحرف «شوو» سيكون من السهل جذبهم.

ولذلك يتم استخدام اسم مجموعة توكوشوكاي بدلاً من أوكينوايرابو، وكذلك اسم جمعية يوشوكاي بدلاً من يورونكائي.

ونهدف من المُثل العليا التي نضعها نصب أعيننا بمؤسستنا الطبية أن يستطيع أي فرد في أي وقت وأي مكان الحصول على الخدمة العلاجية حتى لو كان في جنوب شرق آسيا أو صحراء أفريقيا أو المدن أو القصبات (المدن القلاعية بشمال أفريقيا) أو القرى أو الجزر المنعزلة، وفي سبيل تحقيق ذلك وجدت من الضروري اختيار اسم مجموعة توكوشوكاي بمعنى أنني لا أنسى نقطة البداية التي انطلقت منها وهى جزيرة توكونوشيما، كما أنني لا أجد اسماً غيره يجرى بعروقي ويعبر بدقة عن المشاعر المتدفقة في قلبي.

ما فكرت فيه عندما ألقيت نظرة على طوكيو :

بعد إنشائي للمستشفيين توكودا الواقع بمدينة «ماتسوبارا» ونوزاكى الواقع بمدينة «دايتوو» وتتراوح سعتهما من مائة إلى مائتي سرير سافرت إلى طوكيو، وهناك ألقيت نظرة على العاصمة طوكيو من فندق نيو أووتاني الكائن بمنطقة يوتسويا، كان ذلك بسبب الأمل الذي كان يراودني في أن يكون المستشفى التالية هنا، ولكن كان هناك سبب آخر وهو أنني كنت أريد أن أفكر أثناء وجودي بطوكيو بشأن الأوضاع الطبية في اليابان والعالم، كانت المباني العالية متراصة إلى جوار بعضها البعض على مدى البصر.

وتنهدت قائلاً : لقد قمت بإنشاء المستشفيين توكودا ونوزاكي وكرست نفسي وحياتي كلها من أجل ذلك، وهذان المبنيان صغيران بالمقارنة بمباني طوكيو الشاهقة، فإذا فكرت في إنشاء عدة مباني كبيرة مثلها فلن تكفي حياتي حتى لو مت وبعثت عدة مرات، فما هو الحل الأمثل لهذه المشكلة؟

إذا كنت قد عزمت على تغيير الأوضاع الطبية في اليابان والعالم فيجب أولاً إنشاء مقر رئيسي للمؤسسة بطوكيو ولذلك قمت بإنشاء المقر الرئيسي بطوكيو في منطقة «ناجاتا تشوو».

كانت لدى مستشفيان فقط إحداهما هي مستشفى توكودا والأخرى مستشفى نوزاكي وأنشأت المقر الرئيسي للمؤسسة الطبية في طوكيو وليس أوساكا، لقد أنشأت مكتبي في طوكيو باعتبارها العاصمة التي تتركز فيها كافة المؤسسات المهمة ولهذا السبب كانت لدى قناعة بأن مقر أوساكا يمكن إنشاؤه على الفور في أي وقت باختيار أي مستشفى هناك كمقر رئيسي لمنطقة أوساكا ولكن أهم شيء في البداية هو ضرورة وضع أو صياغة إستراتيجية على مستوى اليابان ككل، بعد ذلك أنشأت مستشفى كيشيوادا ومقر أوساكا ومستشفى ياو، ثم أنشأت مستشفيات «أوكيناوا» و«فوكوكا» و«كيوتو» وأخيراً بدأت الانشاء في منطقة كانتو وأنشأت مستشفيات «جيجازاكي» و«دايوا» و«سابورو» و«سايتاما».

سؤال: كأنك فكرت في غزو اليابان كلها؟

الإجابة : نعم هذه الأفعال كلها متشابهة، في الحقيقة لو أردت أن أقوم بثورة طبية دون أساس اقتصادي اعتمد عليه فلن أجلب لنفسي غير السخرية والاحتقار، كما أن هناك صعوبات وعراقيل كبيرة أمام القيام بها، ولهذا لا أجد اختلافاً بين المعركة التي كنت أخوضها وبين حكاية احتلال اليابان.

السيطرة على المدن التي توجد بها جامعات عريقة :

كنت أؤمن بأنني أستطيع تنفيذ أي هدف وسيمكنني تغيير الأوضاع الطبية في اليابان طالما عزمت بقوة وبذلت أقصى جهدي، ولأنني كنت أريد إنشاء مستشفى في توكونوشيما على وجه السرعة فقد فكرت في إنشاء مستشفى في أوكيناوا ثم في كاجوشيما ثم مستشفى عام في توكونوشيما التي تتوسطهما، ولكن لم أستطع إنشاء مستشفى في كاجوشيما التي تمثل ضلعاً رئيسياً في هذا المشروع.

إن سكان كاجوشيما ينظرون بتمييز شديد إلى سكان جزيرة «أمامي»، فالسجلات التاريخية التي لدينا تدل على أن ساتسوما «الاسم القديم لكاجوشيما» قامت بغزو جزيرتي «أمامي» و«توكونوشيما» وعاملت سكانهما من المزارعين معاملة سيئة، ونحن لا نعلم كم من الشباب في هاتين الجزيرتين لقوا حتفهم أثناء الانتفاضات التي قاموا بها ضد احتلال ساتسوما.

لقد سيطرت ساتسوما على جزيرة «أمامي» بالقوة المسلحة والكثرة العددية في الجنود المحاربين وكان هذا شيئاً فظيعاً، فمثلاً كان الجنود القادمون من ساتسوما حينما يجدون أحد أبناء الفلاحين يختلس عوداً من القصب ليأكله في الخفاء يعاقبون جميع أفراد أسرته بالجلد بالسياط مائة جلدة.

وقامت الحكومة المحلية الإقطاعية في ساتسوما بضم أراضى جزيرة «أمامي» وتعاظمت ثرواتها جراء الأرباح الطائلة التي جنتها من تجارة قصب السكر التي ازدهرت في الجزيرة حينئذ، وبفضل تلك الثروات تكونت لها الطاقة والقدرة على أن تصبح المحرك الرئيسي في أحداث حركة ميجى الإصلاحية.

وهكذا كانت زراعة قصب السكر في جزيرة «أمامي» تدر أرباحاً وأموالاً طائلة على خزانة ساتسوما لدرجة أنها استطاعت بفضلها تغيير الأوضاع السائدة في اليابان كلها، وبذات الدرجة من الأهمية حاولت ساتسوما بكافة السبل والوسائل أن تحتكر هذه الأرباح لنفسها، ولذلك فقد أعطى الحكام في الحكومة المحلية الإقطاعية في ساتسوما أنفسهم حق امتصاص ثروات جزيرة «أمامي».

وحتى الآن مازال سكان جزيرة «أمامي» ينظرون إلى إقليم كاجوشيما كأنه ساتسوما السابقة، وعلى الرغم من تغيير التسمية من ساتسوما إلى كاجوشيما إلا أن سكان كاجوشيما مازالوا حتى الآن ينظرون إلى شخصي

باستعلاء وتكبر طبقة الساموراى (أي المحاربين في عصر الحكومة الإقطاعية) متسائلين بدهشة «من يكون هذا الشخص الذي يدعى توكودا والقادم من جزيرة أمامي؟»

ولكن ما يمثل قلب إقليم كيوشو ليس كاجوشيما بل فوكوكا، ولذلك فقد قمت بإنشاء مستشفى في فوكوكا.

وعندما نقول الجامعات العريقة فإننا نقصد جامعات هوكايدو (في مدينة سابورو) وتوهوكو (في مدينة سينداى) وطوكيو وناكويا وكيوتو وأوساكا وكيوشو (في مدينة فوكوكا)، ولذلك فقد أنشأت حتى الأن خمس مستشفيات في خمس مدن من هذه المدن السبعة، وبالنسبة لمدينة ناكويا من المقرر أن يبدأ بناء المستشفى فيها خلال العام الحالي، كما أنني بدأت بالفعل بناء مستشفى في توكونوشيما التي كانت تواجهني فيها عقبات كثيرة من قبل، ولذلك لا أبالغ حينما أقول أنني انتهيت من تنفيذ 90% من إستراتيجيتي على مستوى اليابان، فإذا انتهيت من بناء المستشفيات العشر التي خططت لها حتى الآن فإن العشر المتبقية ستكون أسهل في الإنشاء، وبعد ذلك سيصبح إنشاء 20 مستشفى أخرى أمراً يسيراً جداً، عندئذ ستصبح مجموعة توكوشوكاي مثلاً يحتذي به في تقديم الخدمة الطبية اللائقة وستكون حافزاً كبيراً لتحسين الأوضاع الطبية على مستوى اليابان كلها، بل فوق ذلك من المفروض أن يصبح أسلوب مجموعة توكوشوكاى من الأمور البديهية المسلم بها.

وهذا هو ما أتمناه، فإذا أصبح شيئاً طبيعياً أن تفتح المستشفيات أبوابها أمام المرضى طوال الأربع وعشرين ساعة ولا تقبل أية هدايا من المرضى فهذا وحده سيعني أن أوضاع العلاج الطبي في اليابان قد تغيرت بدرجة كافية، ولكننا في الواقع نجد الأطباء الآن مازالوا بعيدين عن تبني هذا الأسلوب في سلوكياتهم إلا إذا أقيمت بجانبهم مستشفى تتبع مجموعة توكوشوكاي.

سؤال: في المعتاد بمجرد نجاح أسلوب معين يظهر فوراً من يقلده، وينطبق ذلك على كافة أنواع الحرف أو المهن، وبالنظر إلى ذلك الأسلوب الخاص مجموعة توكوشوكاى نجد أن المبادئ جيدة والإدارة تسير على ما يرام كما نسمع، ولكن بالرغم من ذلك لم يظهر هناك من يسيرون على دربكم، فلماذا؟ هل هناك نقاط معينة في عملكم شديدة الصعوبة؟

الإجابة : من الصعب جمع العدد اللازم من الأطباء، ففي حالة إدارة مستشفى بنفس الأسلوب الذي نتبعه لن يقبل الأطباء على العمل بها حتى وإن كانت تُدار بالطريقة العادية، وأعتقد أن ما يجعلني أستطيع إقناعهم والتأثير عليهم هو بسبب علمي بمثاليات الطبيب ونظرتي تجاهها باعتبارها أمراً طبيعياً، لذلك فأنا أخاطبهم دائماً قائلاً «إننا ما نقوم به شيء طبيعي و ليس شيئاً غير عادي أو لافتاً للنظر».

ولكن مهما ذكر شخص غيري هذا الكلام فربما يكون من الصعب إقناعهم بذلك، فالأطباء الذين أتحدث عنهم في مثل عمري واستطاعوا أن

يتجاوزوا العوائق والمصاعب حتى ينجحوا في امتحانات الدخول بكلية الطب ويتخرجوا منها وهي مصاعب لا تقل عن تلك الموجودة في الجامعات العريقة، وهم من صفوة المثقفين ولديهم فخر عال بأنفسهم ويشعرون بالضجر إزاء عملهم لمصلحة الغير ولا يحركهم حب المال.

ولذلك فالطبيب شخص له نظرة مثالية جداً، فمستوى التعليم الذي تلقاه ومكانته الاجتماعية ودخله المادي يتجاوز الأفراد العاديين، ولذلك فمن الطبيعي أن يتمسك جميعهم بالمثل الطبية العليا بصورة جادة.

وما قمت به هو أنني وفرت مكاناً ملائماً لهؤلاء الأطباء من أجل تحقيق المثل الطبية العليا التي ينشدونها، ويعمل معي من هم أفضل منيّ حيث يشغلون مناصب مدير المستشفى ونائب المدير والأطباء ومشرفات التمريض والممرضات وجميعهم يتميزون بالمستوى الرائع ويقومون ببذل أقصى طاقاتهم في تقديم الخدمة العلاجية دون أن يستريحوا ولو للحظة واحدة.

وهم يقولون لبعضهم البعض بصراحة «إذا كان السيد توكودا يريد أن ينشىء مستشفيات كهذه فليفعل ما يريده أما نحن فنريد أن نكرس أنفسنا حتى نقدم الخدمة الطبية المثالية»، كما أصبحت الشخصيات البارزة بالجامعات العريقة تعترف أيضاً بذلك.

لقد انضمت إلى فريق العمل بمستشفيات مجموعة توكوشوكاى شخصيات بارزة فمثلاً في مدينة سابورو عاصمة محافظة هوكايدو انضم لنا

الأستاذ المساعد في قسم الجراحة الأول بجامعة هوكايدو حيث أصبح يشغل منصب مدير مستشفى جمعيتنا بهوكايدو، لقد كان قد سبق تعيينه مديراً لإحدى المستشفيات الحكومية غير أن من يشغل ذلك المنصب في مستشفى كهذه يدخل ضمن مهام عمله إجراء مفاوضات مع النقابات العمالية وهو أمر لا يحتمله الأطباء، وعلاوةً على ذلك فالمشكلات المتعلقة بتلك النقابات لا تتوقف ومن أجل حلها لن يجد صاحب ذلك المنصب متسعاً من الوقت لإجراء العمليات الجراحية في أيام السبت والآحاد وفي غير مواعيد العمل الرسمية.

ولذلك فقد فضل هذا الأستاذ المساعد العمل في جمعيتنا بسبب رغبته في ممارسة الطب الحقيقي وهو حقاً طبيب وأستاذ رائع بمعنى الكلمة، وبعد ذلك انضم للعمل معنا أستاذ مساعد بكلية طب فوكوشيما كنائب لمدير المستشفى.

ويُقال أن العدد الكبير من الحالات المرضية التي يتم استقبالها في مستشفيات مجموعة توكوشوكاى تتيح الفرصة للأطباء إلى الاستفادة منها في كتابة الأبحاث العلمية ونشرها أثناء انعقاد المؤتمرات الطبية التي يشاركون فيها، ولذلك فقد أصبحت كليات الطب بالجامعات العريقة تسعى للتعاون معنا.

سؤال: لماذا لم تقم بإنشاء مستشفى في طوكيو؟

الإجابة : لقد أردت إنشاء مستشفى في طوكيو لكن أسعار الأراضي مرتفعة، فلم أجد أرضي بعد، حيث إن الأسعار باهظة وتفوق إمكانياتنا

بمراحل، غير أنه ربما يتم ضمان الحصول على الأرض اللازمة إذا وجدت طريقة بديلة، وإنني أريد إنشاء مستشفى كبيرة جداً في وسط طوكيو حتى أجعل سكانها يشعرون بالاطمئنان والراحة، ولكن على أية حال فهذا ليس بالأمر اليسير، والأفضل من ذلك العمل بجدية على إنشاء المستشفيات بضواحي طوكيو، وذلك حيث تكثر المشكلات المتعلقة بالعلاج في مختلف مدن الضواحي، ومن المقرر أن يتم البدء خلال العام الحالي في إنشاء مستشفيات في سنداى وتشيبا وناكويا وكوبيه وايباراكي و نياكياوا (تقع الأخيرتان في أوساكا وتوكونوشيما) بالإضافة إلى المستشفى الثاني في سابورو، ومن المقرر أن تبلغ سعة هذه المستشفيات الثمانية 3000 سرير غير أنه من المقرر أيضاً إنشاء عدد إضافي من المستشفيات، وإذا سارت الأمور على ما يرام من الناحية الإدارية فسوف يشعر سكان الضواحي بالسعادة وربما نتمكن من توفير الإحساس بالاستقرار للكثير منهم إذا سرنا بنفس المعدلات كل عام، لقد أمكننا أخيراً بصعوبة شديدة إنشاء المستشفيات في كافة أنحاء اليابان على شكل خط واحد يربط بين المستشفيات من هوكايدو في الشمال حتى أوكيناوا في الجنوب.

وكما سبق لي الذكر فبعد حل مشكلة توفير الأطباء اللازمين للعمل في المستشفيات أصبح بالإمكان إنشاء المستشفيات بخطى سريعة وفقاً لحاجة ومطالب سكان هذه المناطق و المحليات.

بعد ذلك وكما ذكرت في بداية هذا الكتاب ظهرت إمكانية إنشاء مستشفى عام حتى في جزيرة منعزلة مثل جزيرة «أمامي»، ورويداً رويداً يصبح هذا الاحتمال أقرب إلى الواقع، وبعبارة أخرى أصبح بالإمكان إنشاء مستشفى في أي مكان، ولاشك أن الثورة الطبية التي أريد القيام بها ستتقدم بخطى سريعة من الآن فصاعداً، بالنسبة لي يعتبر ذلك الأمر مسألة طبيعية ونتيجة كنت أتوقعها ولكنه ربما يكون غريباً بالنسبة للآخرين ويثير دهشتهم، وبمجرد البدء في بناء المستشفى فإني أترك الأمور المتبقية إلى العاملين بها ويتحول اهتمامي إلى المستشفى التالية التي سأبدأ في تأسيسها، فإذا تقرر إنشاء عشر-مستشفيات جديدة الآن تصبح المهمة التي ينبغي عليَ التفكير في إنجازها هي تأسيس العشرين مستشفى التالية.

وعندما كان رصيدي من المستشفيات صفراً كان إنشاء مستشفى واحدة أمراً شاقاً جداً بل الأكثر مشقة حتى الآن، وبعد نجاحي في إدارة مستشفى توكودا في مدينة ماتسوبارا ولما شرعت بعدها في إنشاء مستشفى نوزاكي في مدينة دايتو كانت الأمور تسير بيسر وسهولة.

وفي ظل النجاح الذي تحقق في إنشاء هاتين المستشفيين أي توكودا ونوزاكي كان إنشاء المستشفيين التاليين أسهل من ذي قبل، وفي ظل وجود أربع مستشفيات في أوساكا كان إنشاء المستشفيات في أوكيناوا وفوكوكا وكيوتو وتشيجازاكي أسهل مما سبق، ونظراً لأن لدي حالياً إحدى عشرة

مستشفى فمن السهل إنشاء عشر مستشفيات أخرى، فإذا وصل عدد المستشفيات التي لدي إلى عشرين مستشفى فسيكون إنشاء عشر مستشفيات أخرى أكثر سهولة، وبعد ذلك إذا وصل عدد المستشفيات التي لدي إلى ثلاثين مستشفى فسيكون إنشاء عشر مستشفيات أخرى سهلاً أكثر فأكثر.

إنني متفائل بتحقيق النجاح، فيبدو أن وقت جني الثمار قد حان تقريباً.

أول مستشفى خارج اليابان ستكون في الصين :

سؤال : تتجه أنظار الكثيرين في العالم إلى الأنشطة التي تقوم بها مجموعة توكوشوكاي فأين ستُقام أول مستشفى خارج اليابان على غرار مستشفيات جمعيتكم؟

الإجابة : لا أستطيع أن أحدد الآن أين ستُقام تلك المستشفى ولكني أميل للاعتقاد بأن الصين ستشهد ميلاد أول مستشفى من هذا النوع، لقد قمت بزيارة الصين في مرحلة متأخرة جداً أي في عام 1980 وألقيت محاضرات في بكين وشنغهاي بدعوة من الحكومة الصينية، وقد استمع لي في تلك المحاضرات الأفراد المتخصصين في العمل الطبي في بكين من بينهم مديرو مستشفيات ونوابهم وأمناء عموميون ومشرفات تمريض ومتخصصون في أقسام الصحة العامة.

ورداً لهذه الدعوة دعيت 15 شخصاً من بكين لزيارة جميع مستشفيات مجموعة توكوشوكاي، وقد أبدوا تفهمهم وإعجابهم الشديد بأسلوب مجموعة توكوشوكاي وارتأوا ضرورة أن يحتذوا به على الأقل في مجال الخدمة الطبية في الأقاليم أولاً إن لم يكن على مستوى الدولة كلها.

وفي عام 1982 تلقينا دعوة للزيارة من الجانب الصيني، وفي العام التالي أي عام 1983 دعونا من جانبنا ثلاثة أطباء من بكين وشنغهاي حيث تلقوا تدريباً لدينا لمدة ثلاثة أشهر عادوا بعدها إلى بلدهم.

وفي عام 1984 قام بزيارتنا مسؤولون صينيون كبار من بينهم محافظون، وأبدوا جميعاً إعجابهم الشديد بأسلوب مجموعة توكوشوكاي وأعربوا عن رأيهم في تطبيقه في بلدهم، ولذلك فقد طلبوا السماح لعدد خمسة أطباء من كل محافظة بالدراسة والتدريب في مجموعة توكوشوكاي، وبناء على ذلك فقد اتفقنا على تدريب أطباء تلك المحافظات بالتناوب فيما بينهم لمدة ثلاثة شهور في كل دورة وبلغ عدد الأطباء الحاصلين على تدريب لدينا حتى الآن 20 طبيباً.

سؤال : هل يتلقي هؤلاء الأشخاص تدريباً عملياً في مستشفيات مختلفة تابعة لمجموعة توكوشوكاي؟

الإجابة : نعم هذا صحيح، فنحن نرسلهم إلى فوكوكا وتشيجازاكي وفي نفس الوقت نتيح لهم زيارة مستشفيات جيدة في مختلف أنحاء اليابان، ونحن نفعل دلك بمنتهى الإخلاص، ولذلك فإني أتوقع أن تقام في الصين

مستشفى على غرار مستشفيات مجموعة توكوشوكاي بعد خمس أو ست سنوات من الآن، وهناك طلبات من دول أخرى في مختلف أنحاء العالم مثل البرازيل والمكسيك ومدغشقر والجزائر وتايلاند وغيرها ولكني مازالت ليس لدي خبرة حتى الآن في إنشاء مستشفيات خارج اليابان، هذا يعنى أنني سوف أبدأ في الإنشاء في الخارج من الصفر كما فعلت في اليابان أيضاً، ولكي أنجح في البناء من الصفر من الضروري وجود قاعدة صلبة أقف عليها، وحالياً أرفض قبول تلك الطلبات نظراً لعدم قدرتي على الاستجابة لها في ظل عدم توافر الأموال الكافية، ولكني أرغب في إنشاء مستشفى في الصين على غرار مجموعة توكوشوكاى عندما تتوافر الظروف الملائمة.

وإذا ذكرنا الصين فنحن نتحدث عن دولة تعتبر قائدة للدول النامية، فإذا نجحت الصين في شيء فإنها ستضرب المثل للآخرين لكي يحذوا حذوها.

ما يجعلني أيضاً أفكر في الصين هو أنني تعرفت على المحافظين هناك وتحدثت معهم مباشرة، وقد تلقيت طلباً من محافظة كانان الصينية لكي أنشيء مستشفى هناك، وقد رددت عليهم طالباً منهم أن ينشأوا أولاً مصنعاً لأدوية الأعشاب الطبية الصينية في محافظة كانان ثم يقيمون تلك المستشفى بواسطة الأرباح التي سيحققها هذا المصنع، وعلى الرغم من أننا نطلق عليها اسم (محافظة كانان)، إلا أن عدد سكانها يبلغ خمسة وسبعون مليون نسمة ومساحتها تعادل مساحة دولة، كما أن عدد السكان المذكور أي خمسة وسبعون

مليون لا يشمل إلا الأشخاص المسجلين في السجلات الرسمية فقط، أما العدد الحقيقي فقد يصل إلى مائة مليون نسمة.

فحتى إذا نقلت جميع المستشفيات التي لدي الآن إلى مثل هذا المكان فإنها لن تجدي شيئاً، على أية حال فإن إنشاء مستشفى هناك يعتبر أمراً صعباً للغاية، وإذا نظرنا للعالم من حولنا نجد أن المناطق التي تعاني من نقص الخدمات الطبية ما تزال كثيرة وغير محدودة كما أنها يعيش فيها أعداد هائلة من السكان لا يمكن تصورها.

وعندما كنت تلميذاً في المدرسة الابتدائية أصيب صديق لي بجرح بسيط في عينه، وتلوث الجرح بالميكروبات فتورمت عيناه وبسبب فقره وعدم وجود مال لدى أسرته فلم يستطع أن يجد طبيباً يكشف عليه ويعالجه، ولذا فقد ازداد حجم الورم حتى اتسعت عيناه اتساعاً شديداً وتضاعف حجمها ثم مات في نهاية الأمر، لقد شاهدت هذه المأساة بنفسي، إن هناك آخرين غيره ممن هم في مثل حالته في كثير من الأماكن حول العالم، هذه الأوضاع تستحق أن يغضب ويثور من أجلها الأطباء ورجال السياسة وعامة الناس في المجتمع.

لا ينبغي علينا أن ينحصر تفكيرنا على ما يجري في اليابان فقط، فهذه المشكلة لم تعد مجرد مشكلة طبية فقط بل أصبحت مسألة إنسانية وفكرية ومشكلة سياسية دولية.

والأغرب من ذلك أن الجميع لا يرغبون في التفكير بجدية في حل هذه المشكلة.

ما يجب أن نتعلمه من أمريكا:

سؤال : لقد زرت أمريكا في مرحلة مبكرة في بداية حياتك، أليس كذلك؟

الإجابة : نعم هذا صحيح وكانت الزيارة الأولى لي إلى أمريكا عندما أنشأت مستشفى (كيشيوادا) فتجولت فترة طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية كما زرت أيضاً دول جنوب شرق أسيا وتعرفت على الأوضاع الطبية فيها.

أيضاً تصادفت تلك الزيارات مع الفترة التي وضعت فيها إستراتيجيتي تجاه طوكيو، وعندما قمت بزيارة هاتين المنطقتين تمعنت النظر في الدرب الذي أسير عليه، في أمريكا وجدت الكثير من الأمور التي ينبغي علىّ تعلمها عن النظم الطبية عموماً، فالولايات المتحدة الأمريكية تعتبر فعلاً أكثر دول العالم تقدماً.

وخلال تلك الزيارة الأولى تعرفت على نائب مدير مركز (كوينز) الطبي في هاواي وأبلغني إعجابه الشديد بما أقوم به، كما أبدى رغبته في عقد اتفاقية تآخى بين مركزه الطبي ومستشفيات جمعيتنا، وهذا المركز مستشفى ضخم

جـداً، وقـد أثـار هـذا العـرض دهشـتي لأني أعـرف أن الكثـير مـن الأطبـاء ومـديري المستشفيات اليابانيين يزورون هذا المركز فلماذا حصلت أنا بالذات على إعجابـه؟ ولكنـي في ذلك الوقت لم أكن أمتلك غير ثلاث مستشفيات صغيرة ولم أكن أعتقد أنها ترقـى بـأي حال إلى مستوى التآخي مع هذا المركز الرائع،

ولذلك فقد أجبته قائلاً «أرجو أن تنتظر قليلاً، فلنعقد اتفاقية التآخي فـيما بيننـا بعد أن أنشـئ مستشـفيات أوكينـاوا وفوكوكـا وكيوتـو وتشـيجازاكي»، وبعـد تأجيـل هـذا الموضوع بعض الوقت تم عقد اتفاقية التآخي بين مستشفياتنا، ومنذ ذلك الوقـت وحتـى الآن ونحن نحرص على تبادل الزيارات فيما بيننا حيث ندعو لزيارتنا أشخاصاً من الجانب الأمريكي للتعلم منا كما نوفد أفراداً من جانبنا للدراسة هناك.

في أمريكا تعلمت الكثير من الأمور وخاصـة فـيما يتعلـق بكيفيـة إعـداد الأطبـاء وتعليمهم.

يقتضى نظام التعليم الطبـي المطبـق في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أن يلتحـق الطالب الراغب في دراسة الطب أولاً بأحـد أقسـام العلـوم في الجامعـة وبعـد تخرجـه في ذلك القسم لابد أن يحصل على خطابات ترشيح من ثلاثة أساندة من كليته حتى يتسنى له خوض اختبار دخـول كليـة الطـب، وبعبـارة أخـرى تعتـبر الدراسـة في كليـة الطـب في مستوى مرحلة الدراسات العليا، وفي تلك الكليـة يـدرس الطالـب العلـوم الطبيـة دراسـة جادة لمدة أربع سنوات

ويخصص العامان الأخيران فيها للتدريب العملي، بالإضافة إلى ذلك لابد أن يخضع الطالب بعد تخرجه لنظام الإقامة أو المبيت في المستشفى بالتناوب.

ويتضمن هذا النظام أموراً شاقة لا يمكن تصورها في اليابان، فيوضع جدول زمني يوزع الأطباء بموجبه للإقامة في المستشفى لمدة 36 ساعة ويحصل الطبيب على أجازة مدتها 12 ساعة فقط بينما يعمل ويدرس خلال الأربع وعشرين ساعة المتبقية، وبذلك يبلغ عدد أيام الإقامة في المستشفى 20 يوماً في الشهر.

في اليابان عندما يعمل أحد الأشخاص ساعات طويلة نوعاً ما فإن الناس يطلقون عليه إخطبوط الحجرة (تعبير يدل على الشخص الموجود دائمًا في مكان العمل لا يغادره لانشغاله بالعمل فقط وهو بذلك يشبه الإخطبوط الذي يعيش في جحر لا يستطيع الخروج منه) وفي الحقيقة يعتبر نظام الإقامة في المستشفى المطبق في أمريكا كأنه جحر الإخطبوط بعينه، فخلال فترة مناوبة الطبيب لابد أن يحمل معه دائماً جرس استدعاء يضعه في جيبه وعندما يدق هذا الجرس ينبغي عليه أن يسرع فوراً إلى المريض الذي يُستدعى إليه.

وعندما نشاهد الفيلم التليفزيوني «بينكيسي» نرى في بعض مشاهده ذلك الطبيب المقيم الذي يتم استدعاؤه بين الحين والأخر بواسطة جرس الجيب للكشف على المرضى بينما كان يستمع إلى نصائح كيسي، ولا يصبح خريج كلية الطب طبيباً معترفاً به إلا بعد إتمام فترة الإقامة في المستشفى.

وإذا فكرنا في الأسباب التي تدعو لتطبيق هذا النظام القاسي والمرهق للطبيب نجد أن من بينها تلك المكانة الاجتماعية العالية التي يحظى بها كل من يحمل لقب طبيب، فهو يصبح إنساناً محترماً من الجميع، ويتم تطبيق هذا النظام حتى لا يُترك أي احتمال لوقوع الطبيب في خطأ أثناء تشخيص المرض، إن الطبيب يحمل رسالة سامية ومن واجبه أن يسرع لإنقاذ مرضى الحالات الحرجة في أي وقت، ولذلك اقتضت الضرورة تطبيق هذا النظام من أجل تعليم الأطباء أن يسرعوا فوراً في أي وقت للكشف على المرضى وغرس هذه الفكرة في نفوسهم.

لا يمكن للطبيب أن يحدد وقتاً معيناً لإجراء الكشف على المرضى وفقاً لظروفه الخاصة، هذه هي طريقة التفكير الأساسية التي يجري بموجبها تعليم وإعداد الأطباء في الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في اليابان فجميع الطلاب يصبحون أطباء ويعاملون من هذا المنطلق فور نجاحهم في امتحان يجرى على مستوى الدولة لمنح تراخيص العمل للأطباء بعد تخرجهم من كليات الطب، ويلقى هؤلاء الأطباء اهتماماً وتدليلاً كبيراً من كافة الناس المحيطين بهم والذين يتعاملون معهم مما يدفعهم إلى أن يعتقدوا لا شعورياً أن الترفيه عن أنفسهم أهم من حياة المرضى.

التكلفة المنخفضة في مجموعة توكوشوكاي محط الأنظار :

عندما نتحدث عن أمريكا فإننا نتذكر ما تتميز به من تقدم في مجال البحث العلمي حيث يتم التشجع على إجراء الأبحاث المختلفة ولاسيما في المجالات الطبية وإدارة المستشفيات.

ويتميز أسلوب إدارة المستشفيات في الولايات المتحدة بخصائص الجودة العالية والتكلفة المرتفعة، وبعبارة أخرى يحتاج العلاج الطبي إلى إنفاق أموال كثيرة من جانب المرضى، غير أن جودة هذا الكشف عالية أيضاً، ولكن هذا الوضع من شأنه تفاقم تكاليف العلاج بما لا يحتمله المرضى ولذلك فقد بدأت بعض الشركات في دراسة أنسب الأساليب التي تكفل لها خفض التكلفة.

وقد أبدت شركتان معاً اهتماماً كبيراً بأسلوب الإدارة التي تطبقه مجموعة توكوشوكاي التي قمت بتأسيسها، وهما مؤسسة المستشفيات الأمريكية وشركة العلاج الداخلي الأمريكية اللتان تمتلكان سلسلة مستشفيات في جميع أنحاء أمريكا، وكنت أتمنى انتهاز هذه الفرصة الطيبة لكي أتعاون مع الجانب الأمريكي، وقد وجه لي رئيسا الشركتين الدعوة لزيارة أمريكا في شهر أبريل نيسان عام 1979، وأثناء اللقاء الذي جمعنا قالا لي «إننا نريد إنشاء مستشفيات في جميع أنحاء اليابان بالاستعانة بخبرتك يا سيد توكودا وسيوفر

الجانب الأمريكي التمويل اللازم كله»، وقلت لهما «إننا نختلف في المبادئ والأفكار، فأنتم رجال أعمال أما أنا فأحلم ببناء مجتمع يستطيع كل فرد فيه أن يحصل على أفضل خدمة طبية في أي وقت وأي مكان ومهما كانت مكانته الاجتماعية حتى لو كان من أبناء الفلاحين البسطاء، إن هدفي ليس كسب المال»، وعندما ذكرت لهما ذلك أبديا تفهماً لموقفي واتفقا معي في الرأي على أن الظروف تأبى تنفيذ مثل هذا المشروع وليس بيدنا ما نستطيع أن نفعله.

مثال على كيفية حساب تكلفة إنشاء مستشفى :

أريد أن أتحدث قليلاً هنا عن نقطة مهمة للغاية وهى تكلفة إنشاء مستشفى فهذه المسألة تؤثر بطبيعة الحال على المرضى لأنهم هم الذين سيدفعون في النهاية مصروفات العلاج.

سأعطي لكم مثالاً من الواقع وهو(مستشفى كوشيجايا للمواطنين) - مستشفى حكومية - والتي تبلغ سعتها 300 سرير طبي، أقيمت هذه المستشفى على مساحة ستة عشر ألف متر. وتكلف إنشاء هذه المستشفى سبعة مليارات ين، بينما أنشأت مجموعة توكوشوكاي مستشفى بنفس السعة أي 300 سرير ولكن على مساحة ستة آلاف وستمائة متر بتكلفة 1600 مليون ين فقط، وتم بناء هاتين المستشفيين في نفس الوقت خلال عامي 1978 و1979، ويبلغ فارق تكلفة الإنشاء الأولية بينهما 5400 مليون ين، وإذا بحثنا في أسباب وجود هذا الفارق الكبير في التكلفة نجد أنه بسبب اختلاف مساحة الأرض

بينهما فمساحة المستشفى الأولى 16500 متر بينما لا تتجاوز مساحة المستشفى الثانية 6600 متر فقط.

ففي حالة المستشفيات الحكومية نجد أنها تحتل مساحات كبيرة دون ضرورة حقيقية فتضيع الأموال فيما لا طائل منه، فمثلاً تخصص غرف منفصلة لكل من مدير المستشفى ونائبه ورؤساء أقسام الجراحة والباطنة والأطفال والعيون الخ، كل على حدة ويصل مجموع غرف رؤساء الأقسام وحدهم إلى سبعة عشر غرفة تفرش جميعها بالسجاد الفاخر.

أما في مستشفياتنا فلا توجد أية غرف مخصصة لرؤساء الأقسام، ولذلك فعندما نزور مستشفى حكومية نجد رئيس القسم يبدأ يوم عمله بعد وصوله للمستشفى بقراءة الصحف اليومية على مهله في غرفته ثم يبدأ في الخروج من مكتبه للكشف على المرضى في حوالي الساعة التاسعة والنصف، ولكن المفروض أن الطبيب يبدأ الكشف على المرضى بمجرد وصوله إلى المستشفى، وأنا وآخرون غيري نعتقد أنه ينبغي عليه قراءة الصحف في بيته.

فوق ذلك يتم تزيين هذه الغرف أو المكاتب بالسيراميك كما يستخدم الرخام أيضاً، ولذلك يتكلف كل تسوبو (وحدة قياس يابانية تعادل 3,3 متر) 900 ألف ين، وتكلف مساحة 1947 متر 4500 مليون ين، أما في حالة مستشفيات مجموعة توكوشوكاي فيكلف كل تسوبو 400 ألف ين ولذلك تتكلف مستشفى مساحتها 792 متر 800 مليون ين.

وهكذا إذا كان الفارق في التكلفة الأولية 5400 مليون ين فسوف تزداد الفوائد البنكية على الأموال المقترضة من البنوك لتمويل الإنشاء لتصل إلى 500 مليون ين في العام الواحد أي ما يعادل أربعون مليون ين تدفع شهرياً كفوائد للبنوك، ولكي تسدد المستشفى هذه الأموال الطائلة فإنها لابد أن تفرض مصروفات علاج باهظة تقوم بجبايتها من المرضى، أما في مستشفياتنا فلسنا مضطرين إلى دفع تكاليف كبيرة ولذلك فنحن لا نلقي عبئاً مالياً ثقيلاً على كاهل المرضى بل نجعلهم يشعرون براحة كبيرة.

وإذا افترضنا أننا سنستخدم أجهزة تكييف وتدفئة في هذه المساحة أي 16500 متر فسنجد أن تكلفة التكييف والتدفئة فقط ستبلغ خمسة ملايين ين في الشهر الواحد، أما إذا كانت المساحة 6600 متر فسيكفي مليونا ين لتغطية هذه التكلفة، ولذلك ستكون تكلفة التشغيل أرخص، ولهذا السبب يتوقع النجاح لإدارة أي مستشفي تقيمها مجموعة توكوشوكاي بغض النظر عن طبيعة القائمين على إدارتها.

يبدأ الأطباء العاملون في مستشفيات مجموعة توكوشوكاي المرور على المرضى منذ الساعة السابعة صباحاً كما هو الحال في مستشفى تشيجازاكى، ويبدءون جولتهم بالمرور والكشف فقط على مرضى الحالات الحرجة من الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة، فيقوم حوالي عشرون طبيباً بالمرور والكشف على خمسة مرضى بتفان وإخلاص، ولذا فإن المرضى وأسرهم يشعرون بالسرور

والرضا، ومن الساعة الثامنة حتى التاسعة يعقد الأطباء اجتماعاً لمناقشة أوضاع مرضى الحالات الحرجة، ومن الساعة التاسعة يبدءون عملهم العادي حتى التاسعة مساءً، فوق ذلك يبيت الأطباء في المستشفى بمعدل مرة كل ثلاثة أيام، وفي مستشفى دايوا على سبيل المثال يتفانى الأطباء في خدمة المرضى إلى درجة أنهم لا يعودون إلى منازلهم إلا يوماً واحداً كل ثلاثة أيام، فهم يجتهدون في عملهم ويبذلون ثلاثة أو أربعة أضعاف جهد الفرد العادي.

ففي جمعيتنا نحن أولاً ننشئ مستشفيات بسيطة ونقوم بخفض التكلفة الأولية وبالتالي نخفض تكلفة التشغيل أيضاً إلى أدنى درجة ممكنة، ثانياً نهتم بنظافة المستشفى اهتماماً بالغاً بحيث لا توجد ذرة تراب واحدة في أي مكان بالمستشفى، ثالثاً نبذل أقصى ما يمكننا من جهد، هذه هي الخصائص الثلاثة التي تتميز بها مستشفياتنا، وإني أكاد أجزم بأنه لا توجد أية مستشفى تضارع مستشفياتنا في أي مكان في العالم.

الوعي في الدول النامية :

لا يمكن بناء مستشفى في دولة فقيرة كاليابان وفقاً للأسلوب الأمريكي، وفي الواقع لا يمكن إنشاء مستشفى كهذه في الدول النامية الأكثر فقراً من اليابان، ولذلك قال لي الأمريكيون «لا يوجد من يستطيع تحسين أوضاع العلاج في الدول النامية غيرك أنت يا توكودا» فقلت لهم «نعم فإنني

عازم على إصلاح الأوضاع العلاجية في العالم»، وهكذا فقد رجعت من أمريكا إلى اليابان وأنا أحمل في جعبتي طموحات كبيرة.

ولكنني لن أذهب فوراً وببساطة إلى جنوب شرق أسيا لبناء مستشفى هناك، فهذا الأمر أيضاً يحتاج إلى وضع إستراتيجية دقيقة كما حدث في اليابان، فإذا ذهبت الآن لإنشاء مستشفى في إحدى دول جنوب شرق أسيا فإنني سألقي معاناة شديدة كما ستخالج الناس هناك شكوك حول النوايا الحقيقية وراء هذا العمل.

وعلى الرغم من أنني أريد إصلاح الأوضاع الطبية في العالم إلا أنني لابد أن أحدد أهدافي أولاً، ونظراً لأن العمل الطبي يمس صحة الناس وحياتهم فلابد من صياغة تلك الأهداف بحرص شديد، فعند بناء مستشفى في دولة أجنبية، فإن أهم ما ينبغي مراعاته هو المشاعر التي تكنها شعوب هذه الدول تجاه اليابان، وأعتقد أنه ينبغي صياغة الأهداف بناء على تفكير عميق على هذا الأساس.

ولا ينبغي أن نصغر حجم الأهداف التي نضعها بل لابد أن نحدد لأنفسنا أهدافاً تتجاوز قدراتنا الحقيقية عشرة مرات أو مائة مرة، ونحن في معظم الأحوال لا نعرف مقدار القدرات الحقيقية التي نمتلكها، فقد نظن أن قدراتنا الحقيقية عشرة درجات بينما تكون في الحقيقة مائة درجة، وقد يظن شخص أن قدراته الحقيقية عشرة درجات بينما تكون في الحقيقة ألف درجة.

ومعظم الأفراد يعتبرون قدراتهم الحقيقية شيئاً طبيعياً ويقللون من شأنها، ولذلك فمثل هؤلاء الناس يجعلون حياتهم محصورة في نطاق ضيق، لهذا يجب أن يكون مبدأنا الأساسي هو أن نحدد لأنفسنا أهدافاً تتجاوز قدراتنا الحقيقية عشرة مرات أو مائة مرة، إن الأهداف التي يمكن لنا تحقيقها دون جهد كبير لن تكون ممتعة بالنسبة لنا، أليس كذلك؟

بعد تحديد الهدف لابد أن نبنى إستراتيجيتنا، كذلك لابد أن نضع تكتيكات دقيقة على ضوء هذه الإستراتيجية، ولابد أن تكون الإستراتيجية دائماً إيجابية ومنطقية وتنظر للمستقبل، ولابد عند وضع التكتيكات أن نهتم للغاية بكافة التفاصيل الدقيقة وأن نفعل ذلك بتروي وتعقل ونبذل أقصى جهودنا، فينبغي علينا أن نحدد بوضوح ثلاثة عناصر وهى الأهداف و الإستراتيجية والتكتيكات (طريقة تنفيذ الخطة).

ويجب ألا نقع في الخطأ عند وضع الإستراتيجية والتكتيكات أو نخلط بينهما، فلابد أن نفعل ذلك بتمهل وبفهم واعٍ وعميق على الدوام، وعندما أقول إنني سأقوم بإصلاح أوضاع العلاج الطبي في العالم فما هي الإستراتيجية العالمية التي وضعتها لذلك؟

إن طريقة صياغة الإستراتيجية أمر سهل للغاية، لنفترض أن عشرة أشخاص أرادوا اختلاق مشاجرة معك، في تلك الحالة ستكون مخطئاً لو فكرت في مصارعتهم جميعاً الواحد تلو الآخر، بل ينبغي عليك البحث عمن يتزعمهم

وأن تتجه مباشرة إلى هـذا الـزعيم وتشـبعه ضربـاً دون أن تلتفـت للآخـرين، فـإذا وقـع الزعيم فسوف يرتدع الآخرون ويرتعدون من الخوف، فـإذا مـا حـاولوا الفـرار يمكنـك أن تضربهم وتسقطهم من الخلف، وبتلك الطريقة يمكنك تسوية هذه المسألة، لذلك فـالمهم هو إسقاط الزعيم، أي أن توجه ضربتك إلى القلب مباشرة.

وهذا هو ما يشرحه ميـاموتو موسـاشى في كتابـه «العنـاصر الخمسـة المهمـة في الكون» (المترجم : أي الأرض والماء والنار والهواء والسماء) وأيضاً في المبارزة مـع يوشـيؤكا ميتشيبا كان يقوم أولاً بإسقاط زعيم خصومه فيهدم روحهم المعنوية.

الإنشاء أولاً في أمريكا والصين والاتحاد السوفيتي :

إذا أردت إصلاح أوضاع العلاج الطبي في العالم فلابد أولاً أن أنشـئ مستشـفى في أمريكا لأنها تعتبر بمثابة قلب العالم ثم يمكنني بعد ذلك أن أفكـر في إنشـاء مستشـفيات في جنوب شرق أسيا، أما إذا ذهبت إلى جنوب شرق أسيا لإنشاء مستشفى هناك قبـل أن أنشـئ مستشـفى في أمريكـا فسـوف يشـير النـاس هنـاك إليّ قـائلين «هـاهو الحيـوان الاقتصادي قد جاء إلينا» (المترجم : الحيوان الاقتصادي تسمية كـان سـكان جنـوب شرق أسيا يطلقونها على اليابان).

فالشركات التجارية اليابانية العاملة في مجال التصدير والاستيراد تحقق مكاسب كبيرة هناك، وحينما يراني الناس هناك سيجدون تشابهاً كبيراً في ملامح الوجه بيني وبين موظفي تلك الشركات ولهذا السبب سيعتقدون أنى بلا شك حيوان اقتصادي، وهذا بالطبع شيء غير صحيح مطلقاً.

أما إذا قمت أولاً بإنشاء مستشفى في أمريكا وذكرت لهؤلاء الناس في جنوب شرق أسيا أني حصلت على أوسمة وشهادات تقدير من عمدة ولاية أمريكية أو من الرئيس الأمريكي نفسه فسيرحبون بي ترحيباً كبيراً وسيقولون لي «لابد أن تأتي إلى بلدنا أيضًا»، فإذا ذهبت هناك بعد إنشاء مستشفى في أمريكا فلن أحتاج إلى تقديم تفسير أو تبرير لأهدافي، وتعتبر التقنيات والنظم الطبية الأمريكية الأعلى مستوى في العالم ولذلك إذا تمكنت من إنشاء مستشفى في أمريكا نفسها فسيكون أمراً طبيعياً أن أحصل على الثقة من جانب الكثير من دول العالم، فعندما يقوم الفرد بنشاط ما في أعلى المستويات المعترف بها سواء في الدوائر العلمية أو الاقتصادية فإنه يجنى ثماراً طيبة من كافة النواحي ولا يختلف الأمر عن ذلك في مجال الطب أيضاً.

فإذا فكرنا بهذه الطريقة سنجد أن الشخص المؤسس الذي يرغب في إنشاء مستشفيات في كثير من الدول النامية في جنوب شرق أسيا سيجد ترحيباً أكبر نسبياً من قبل شعوب تلك الدول إن كان قد أنشأ بالفعل مستشفيات مماثلة في أمريكا.

وإذا قام هـذا الشـخص المؤسـس بإنشـاء مستشـفيات أخـرى في الصـين والاتحـاد السوفيتي بجانب المستشفيات التي أنشأها في أمريكا فإنه سيجنيى ثماراً أفضل، فكل مـن هذه الدول تعتبر قوى عظمى في العالم وتؤثر بشدة في تشكيل تاريخه، فمن أجل تحقيق ما أهدف إليه من نشر المثاليات الطبيـة في جميـع أنحـاء العـالم فـإن البـدء أولاً بإنشـاء مستشفيات في هذه الدول يصبح نقطة مهمة من الناحية الإستراتيجية.

وبطبيعة الحال فإني على دراية تامة بأن كل دولة من تلك الدول التـي أسـتهدف إنشاء مستشفيات فيها تختلـف عـن الأخـرى مـن حيـث الأوضـاع الداخليـة أو الظـروف الاقتصادية السائدة فيها.

ولكـن مـا أراعـي التأكيـد عليـه عنـد وضـع إسـتراتيجيتي هـو أننـي إذا أنشـأت مستشفيات في أمريكا والصين والاتحاد السوفيتي وحققت نجاحاً هنـاك فسـوف يمكننـي بسـهولة إنشـاء المستشـفيات في الـدول الأخـرى لأننـي لـن أصـبح في حاجـة إلى تقـديم تفسيرات أو تبريرات إضافية، ولذلك فإنني لا أستبعد إمكانية قيامي بإنشاء مستشـفيات في مائة دولة بعد عشرين عاماً من الآن.

نظام العمل القائم على روح الإخلاص والتفاني في بذل الجهود :

ولكن مستشفيات مجموعة توكوشوكاي لا تُنشـأ دون الأطبـاء الـذين يتمسـكون بالمثل الطبية العليا، فمن المستحيل أن تُنشأ مثل هذه المستشفيات

بواسطة التصميمات والرسومات الهندسية فقط، وقد حققت هذا النجاح الكبير في اليابان بفضل روح التعاون والتعاطف السائدة بين العاملين في المستشفيات، وبعبارة أخرى فإن الأسلوب الذي تتبناه مجموعة توكوشوكاي هو وضع نظام يرسخ روح الإخلاص والتفاني في بذل الجهود مما يؤدى إلى النجاح في العمل، وهذا الأسلوب يحقق فوائد كبيرة فعلاً.

ويرجع السبب في عدم إمكان تطبيقه أو تقليده في أي مكان أخر أو على يد أي أحد أخر إلى مسألة الروح، وعندما أؤكد على هذا السبب الروحي أو النفسي- فإن ذلك التأكيد ليس من باب الدعاية أو الترويج كما قد يظن البعض الذين قد لا يعلمون الحقيقة.

فإن كان الأطباء متمسكين حقاً بالمثل الطبية العليا فسوف يستطيعون تقليد هذا الأسلوب الذي أنتهجه وسينجحون في العمل بموجبه، فإذا تساءلنا لماذا لا تظهر مستشفيات على غرار مستشفيات مجموعة توكوشوكاي أو يزداد عددها كما يحدث في حالة المحلات التجارية التي تنتشر الآن وتفتح فروعاً جديدة لها كل يوم؟ الحقيقة إن السبب في ذلك إنما يرجع إلى ضرورة تمسك الأطباء بالمثل الطبية العليا تمسكاً كاملاً كما نفعل نحن، فلست أنا وحدي صاحب الفضل في هذا النجاح وإنما تحقق بفضل جهود وصلوات الأطباء وجميع العاملين في مستشفيات جمعيتنا.

لـذلك فـإن مجموعـة توكوشـوكاي نفسـها سـوف تفشـل إذا أهملـت أو نسـيت التمسك بتلك الأهداف والمثل العليا، ونفس الأمر ينطبق عـلى مختلـف دول العـالم فلـن يمكن تطبيق هذا الأسلوب في مكان لا يتمسـك بهـذه المثـل العليـا، إن إنشـاء مستشـفى تقوم على أساس الإخلاص التام هو في حد ذاتـه هـدف الثـورة الطبيـة التـي أدعـو إليهـا، فأهم شيء هو توافر نفس الروح التي يعتمد عليها النظام المطبق عندنا.

ومضمون هذه الروح ليس شيئاً خاصاً يصعب فهمه عـلى الآخـرين بـل هـو أمـر عادي جداً، فالطبيب الذي اختار مهنة علاج الأمراض التي يشكو منها الناس ومساعدتهم على الشفاء يحظى باحترام الناس جميعـاً منـذ الوهلـة الأولى، وهـم يعلقـون عليـه أمـالاً كبيرة باعتباره الشخص الذي يستطيع إنقاذ الإنسان عندما تكون حياتـه معرضـة للخطـر، ولكن في نفس الوقت كان الأطباء في الماضي يتمسكون بالأخلاقيات الطبية وأساسها سرعة الاستجابة لنجدة أي مريض يستغيث بهم في أي وقت، ولهذا السـبب ظـل الأطبـاء حتـى الآن يتمتعون باحترام جميع الناس في كل مكان.

إن الشرط الأساسي الذي يجب توافره في الشخص الذي يتخذ الطب مهنة له هـو أن يسرع إلى الكشف على المرضى في أي وقت يستدعونه فيه، ومـا نقـوم بـه في جمعيتنـا ليس شيئاً خاصاً أو صعباً وإنما كل ما نفعله هو مجرد الاهتمام

بهذا الشرط الأساسي، وأعتقد أنه ليس هناك في هـذا الأمـر مـا يـدعو إلى التفـاخر أو أي شيء من هذا القبيل.

ولكن لو كانت مجموعة توكوشوكاي التـي تطبـق هـذا الأمـر تعتـبر نـادرة الآن، فإننا يمكن أن نقول إن وجـه الطـب أصـبح مشـوهاً في هـذا العـالم، فـإذا نظرنـا لأوضـاع مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة نجد أن كلمة (طبيب) أصبحت مرادفة لذلك الشخص الغنـي الذي يحصل على دخل مرتفع، فقد أصبح هذا هو أول شيء يخطر ببـال الإنسـان عنـدما يسمع تلك الكلمة، إذا نظرنا للتاريخ سنجد أن هذا الوضع في حد ذاته يعتـبر شـيئاً نـادراً وغريباً.

إن تشوه وجه الطب بهذا الشكل هو مـا يجعـل الـبعض يظـن خطـأ أن المبـادئ التي تدعو إليها مجموعة توكوشوكاي شيئاً خاصاً أو صعباً.

الفصل السابع

يا شباب فليكن عندكم خيال

الأهداف تبدأ من الخيال :

سؤال : يبدو على شباب هذه الأيام أن ليس لديهم أهداف واضحة، فهل هناك ما ينقصهم، وما هي النصيحة التي توجهها إليهم؟

الإجابة : إن ما ينقص شباب هذه الأيام هو الخيال، الخيال هو القوة المحركة للحياة والتي تجعل الإنسان يعتلي بذاته، وإن الحبل الذي يستطيع أن يجذبك إلى أعلى هو في داخل نفسك، فيجب أن نعيش الحياة على أنها حلم كبير، يجب أن يكون لنا طموحات كبيرة، فإن الإنسان الذي يضع لنفسه أهدافًا واقعية باستمرار يحيا حياة عظيمة.

ولذلك يجب أن نضع أهدافًا ليوم ولأسبوع ولشهر ولنصف عام ولعام ولثلاثة أعوام ولخمسة أعوام ولعشرة أعوام ولعشرين عامًا وثلاثين عامًا، وأن نتجه إلى تحقيق الهدف القريب بروح التحدي وذلك بالتفكير فقط في هذا الهدف وبذل أقصى طاقة من أجل تحقيقه،

وتتحدى من؟ تتحدى إمكانياتك الذاتية، تتحدى ضعف نفسك أنت، وأن تقاتل روح التكاسل التي في داخلك.

وأن تبذل أقصى ما في وسعك لتحقيق هذا الهدف، وإن فكرت فقط في هدفك وبذل كل ما يمكنك فإن أهدافك سوف تكبر ولن تصغر أبدًا.

ولذلك فإن ما ينقص شباب هذه الأيام هو الخيال والأحلام الكبيرة والطموحات الكبيرة والجرأة على محاولة تحقيقها.

وأي حلم مشروع، أن تصبح مغني أو ممثل أو بطل ملاكمة على مستوى اليابان، المهم أن يكون هناك حلم، فإن وجود حلم شيء رائع، فلتحلموا أحلامًا كبيرة بأي شيء وليكن عندكم آمال كبيرة وليكن عندكم خيال واسع.

ولكن هناك شيئًا مهمًا يجب أن يوجد، ألا وهو تحويل هذا الخيال الواسع والحلم الكبير والطموحات الكبيرة إلى واقع ملموس، يجب أولاً أن نحول الحلم إلى هدف يمكن تحقيقه، ولكي يحدث ذلك يجب أن نفكر فقط في هذا الهدف ونتحدى إمكانياتنا بقوة ونقاتل ما في داخلنا من تكاسل وتراخ.

الأحلام الكبيرة والخيال والآمال رغبات كبيرة، ولكن الأهداف الواقعية رغبات صغيرة، ليس هناك مشكلة أن ترغب في أشياء صغيرة مثل المال أو المنصب أو التكريم ولكن بجانب ذلك يجب أن يكون عندك خيال واسع، ويجب أيضًا ألا تلهيك تلك الرغبات الصغيرة فتتباهى بها وتغفل عن الأهم.

سؤال : لماذا اختفي الخيال على الرغم من أنه كان موجودًا وقت أن كانت اليابان دولة فقيرة؟

الإجابة : هذا بسبب أن القائد سيئ، وكذلك طبقة المثقفين سيئة، فإن أقصى ما يحلم به السياسي هو أن يصبح رئيس وزراء، وإنه ليس بإنسان من يرغب فقط في أن يصل إلى ذلك المنصب، فإن القائد يجب أن يكون له خيال ويجب أن يكون له رغبات كبيرة، ولأن السياسي لا ينظر إلا إلى الرغبات الصغيرة فهو سيئ.

فبعد أن يصبح عند الشخص خيال يتبلور عنده أكبر هدف، فغالبًا يكون هدف الموظف حديث الالتحاق بشركة أن يصبح يومًا ما رئيسها وهذا شيء سيئ، وبالنسبة للكتاب فإنهم يعتقدون أنه لا مانع في كتابة أشياء كاذبة طالما أن كتبهم تُباع ولكنه تفكير سيئ، فلو فكرنا في صنع المال فهل نستطيع أن نبنى ثقافة! وما يُقال عن الثقافة يُقال عن الرعاية الطبية، من المؤسف أن الإنسان دائمًا ينظر تحت قدميه، لأنه مشغول طوال اليوم بتحقيق رغباته الحياتية للجسد وللروح، مثل رغبته في الحصول على الماء والطعام والجنس، ولذلك مهما حاولت أن توجه نظره لما يجب فعله فلن يستجيب.

والخيال يعنى رؤية المستقبل والقدرة على توقع ما قد يحدث فيه، نستطيع أن نصور الخيال على أنه شيء ليس في أيدينا ولكن لكي نجعله واقعًا ملموسًا يحتاج إلى كثير من الاجتهاد، ولكن مع الانشغال بالرغبات اليومية الحياتية لا

يمكن تحقيقه، ولكي تحول الخيال إلى واقع ملموس فيجب أن تضع هدف ممكن تحقيقه لكل يوم ولكل شهر ولكل عام وأن تكون رقيب على نفسك وألا تتهاون وأن تبذل المجهود المناسب الذي يوصلك إلى النجاح في تحويل الخيال إلى واقع.

ونستطيع أن نفكر في الموضوع بطريقة عكسية منذ لحظة وجود الخيال حتى الوقت الحالي، ماذا يجب أن يتغير في يوم غد؟ وماذا يجب أن يتغير بعد ثلاثة أيام؟ فالإنسان ممكن أن يتغير كثيراً في مدة ثلاثة أيام، فإذا بذلت مجهودًا كبيراً لمدة ثلاثة أيام في إصلاح دراجة أو إصلاح مواسير المياه أو في تعلم كيفية كتابة خطاب باللغة الإنجليزية فمن الممكن أن تتغير كثيراً.

إذًا فماذا يحدث إن لم تكن ثلاثة أيام بل شهرًا أو عامًا! فإذا كانت ثلاثين عامًا فبالتأكيد سوف تصبح أستاذًا كبيراً فيما تفعله، ولكن تنام وتأكل وترتاح بطريقة عادية مثل أغلبية الآخرين فمن العسير جدًا أن تصبح أستاذًا كبيراً فيما تفعله، فيجب أن تعمل طوال العام.

وفترة الشباب تعنى أنه إذا لم يكن أقصى حلم للشاب حلمًا جميلاً فسوف يتعكر صفو ذلك الحلم ولن يستطيع الاستمرار في الاجتهاد لتحقيق ذلك الحلم، ولذلك يجب على الشاب أن يجعل حلمه يتوهج وذلك بأن ينفض عن نفسه الكسل والتهاون وكل ما هو سيئ ويتجه نحو تحقيق ذلك الحلم بكل ما أوتي من قوة.

والشباب ليس المال (الماديات) بل هو المشاعر (الروحانيات)، وإن الحياة سوف تكون خسارة إذا أمضيتها في كسب المال أو التمتع بملذاتها، والجنس رغبة جسدية وقتية فلا يجب أن نمضى حياتنا نفكر فيه، كما أن تقضية الوقت في ممارسة ألعاب التسلية أو مشاهدة الرياضة إهدار لوقت الشباب الغالي.

والشباب هو فترة النشاط لتكوين خيال، فترة تحدى الذات، وإذا أردت أن تمارس الجنس فيكفي أن تذهب للمرحاض وتقوم بذلك لنفسك، فليس من المهم أن تستخدم الوقت الكثير في مثل تلك الأمور.

ولكن لا يجب أن تمارس الجنس دون حب، فلا يجب أن تشعر بالرضا وأنت تمارس رغبة حيوانية أنت مضطر لفعلها، يجب أن تفكر بعمق في الحياة طالما أنت حي، وألا تبدد أي وقت في تفاهات طالما أنت حي، إن فترة الشباب فترة رائعة ولذلك يجب أن تستخدمها في أشياء رائعة، ومن غير الرائع أن تستخدمها في تحقيق رغبات صغيرة.

الصعوبات تبنى إنسانًا قويًا :

سؤال : يا سيد توكودا لقد تزوجت وأنت طالب وأصبحت عائلاً للأسرة اقتصاديًا، ولقد التحق ثلاثة من أخواتك الأصغر بكليات الطب، ألم يكن ذلك شاقًا عليك؟

الإجابة : لا أفكر كثيراً في أنني ضحيت من أجل أخـواتي الأصـغر، أولاً كنـت أقـوم بالعمل كمدرس خصوصي مرتين في اليوم، من الساعة السادسة حتى الساعة الثامنة ومـن الساعة الثامنة والنصف حتى الساعة العاشرة والنصـف، وفي أيـام الأجـازات مثـل أجـازة الصيف وأجازة الربيع كنت أقوم بالتدريس كمدرس خصوصي بـدلاً مـن أصـدقائي الـذين يعودون إلى مساقط رءوسهم من الصباح حتى المساء دون توقف، فقـد كانـت الأجـازات وقت الذروة لي كمدرس خصوصي.

وقد كان هناك في تلك الفترة مكتب عمل يقوم بتشغيل الراغبين في العمل وكنت أحصل على عمل من ذلـك المكتـب مثـل حمـل أسـياخ الحديـد أو أي عمـل آخـر، ولقـد استطعت أن أجعل زوجتي وأخي الأصغر يلتحقـا بالجامعـة والبقيـة يلتحقـون بالمـدارس الثانوية والإعدادية بالرغم من أنني كنت طالبًا.

وجعلت أصغر أخواي يعيدا الصف الخامس والسادس الابتدائي ويواصلا الدراسـة حتى أدخلتهم كلية الطب، ومـن الطبيعـي أن يكونـا قـد عانـا ولكـن لـكي يـتحملا أعبـاء المحافظة على حياة البشر يجب أن يخرج كلا منهم طاقته الكامنة ثـم بعـد ذلـك يـدخل كلية الطب، لقد استطعنا نحن الأربعـة أخـوان أن نـدخل كليـات الطـب ونصـبح أطبـاء ولذلك أشعر تجاه والدي بأنني تحملت المسئولية بعده وقمت بما كان يجب القيام به.

فلم يكن ما قمت به تضحية، بل على العكس بفضل تحملي مسئولية أخواتي فقد كبرت، فلقد عملت حتى في أيام الآحاد والعطلات ورأس السنة، لقد اجتهدت، ولأني تحملت المشاق فلم يكن عندي وقت للتراخي والكسل، أحيانًا لم يكن هناك مفر من التغيب عن الذهاب إلى المدرسة، ألا يُقال إن الإنسان عندما يعتنق دين يتحمل مشاق القيام بفروض ذلك الدين بما في ذلك إخراج الأموال! ألم يقم بوذا بعمل الفروض الشاقة لدرجة أنه ترك بيته وأسرته!

ولكنني لم أخرج المال ولكنى تحملت فروض شاقة، فلقد عملت من أجل عائلتي ولم أتركها وأدخلتهم جميعًا المدارس والجامعات، فلقد كان ذلك قيام بفروض شاقة بطريقة فيها منفعة ودون دفع مال.

وفي بعض الأحيان لم يكن عندي النقود التي أركب بها المترو لكي أذهب من أجل اقتراض المال، لم تكن زوجتي تستطيع حتى شراء الدجاج لتناوله كطعام، بل كانت تشترى جلد الدجاج وتصنع منه حساء ولقد كان لذيذ الطعم ولقد كان هناك قليل من اللحم متعلق فيه، وكنت ألحسه إلى أن أشعر بالملل فأشعر بعد ذلك بأنني تناولت ما يكفيني.

ولكن عندما أقارن ذلك بالدراسة التي كنت أكرهها فقد كان ذلك شيئًا يسيراً جدًا، وكذلك العمل كمدرس خصوصي والعمل عن طريق مكتب العمل كانت أشياء يسيرة جدًا.

سؤال : أصدقاؤك يذهبون في رحلات ويتركون لك العمل بـدلاً عـنهم، ألم يشـعرك ذلك بالأسى؟

الإجابة : كنت أعيش وأنا أفكر فقط في التخـرج مـن الكليـة والشيـء الـذي كـان سوف يجعلني أشعر بالرضا هو أن أتخرج من الكلية، فإن يذهب شخص في سفر كرحلـة أو يقوم بشيء آخر فهذا أمر ليس لـه علاقـة بي، فلقـد كنـت أفكـر في التخـرج أكـثر مـن التفكير في الرحلات، والآن لا أفكر في القيام برحلات ومع ذلك فكل يوم أبيت في محافظة مختلفة، وكل يوم أبيت في فندق مختلف وسنويًا أركب الطائرة مالا يقل عـن 365 مـرة، فليس هناك من يقوم برحلات أكثر منـى، فمـثلاً اليـوم جئـت مـن هوكيـدو إلى صـانداى بالطائرة وبعد ذلك سوف أذهب إلى طوكيو وغدًا صباحًا سوف أركب الطائرة إلى أوسـاكا في الساعة السابعة وأعمل ساعتين في أوساكا ثم أذهب إلى توكونوشـيما متوقفًـا ترانزيـت في كاجوشيما، أي سوف أركب الطائرة ثلاثة مرات، وسوف أنام في فنادق مختلفـة، وبعـد عشر سنوات ربما أنام كل يوم في دولة مختلفة، وإذا كنت فعلت مثل أصدقائي وأنا شاب، فقمت بالرحلات فلم يكن أمامي إلا أن أفتح عيادة وأظل مقيـدًا بمكـان تلـك العيـادة لا أبرحه أبدًا.

أردت أن أتحرر من المال :

الحرية هي التي تجعل الإنسان يجتهد، الآن أنا حر وإذا لم أجتهد فسوف تتقلص حريتي في المستقبل على قدر عدم اجتهادي.

وما ينطبق على الحرية ينطبق على المال، فأنا لم أفعل كل هذا من أجل المال، ولقد كانت هناك شكوك وخصوصًا من وسائل الإعلام بأنني أفعل ذلك من أجل المال ولكن أعتقد أن الجميع علم أن تلك الشكوك لم تكن في محلها، وذلك لأنني قد حولت مجموعة توكوشوكاي إلى جمعية تعاونية عامة، أي أعطيتها للدولة وبالتالي ليست من ممتلكاتي الشخصية، لم أعد في استطاعتي أن أورثها لأبنائي ولذلك لا يستطيع أحد أن يقول إنني أعمل من أجل كسب المال، وعندما ناقشت مع زوجتي أمر إعطاء الجمعية للدولة قالت لي «عندما تموت سوف يرث الأولاد أموالاً أكثر من حاجاتهم وسوف تكون مشكلة لهم في كيفية إنفاقها، من فضلك أعطها للدولة بسرعة».

لقد كنت أعانى بسبب المال، أنا بخيل، فإذا دخلت مطعم مكرونة أحتار بين طلب مكرونة سادة أم مكرونة سكري الطعم.

وعندما أشترى صحيفة أفكر في الصحيفة الأرخص، ولقد كان ذلك يجعلني أعانى وأشعر بالإرهاق.

أردت أن أتحرر من المال، فلقد كان حلمي أن أعمل دون التفكير في المال، ربما ذلك بسبب فترة شبابي التي قضيتها فقيراً جدًا.

والآن أنظر إلى نفسي أجد أنني لا أقرر بنفسي أين أسافر وماذا أتناول من طعام، بل تركت ذلك للآخرين ليقرروه، وبذلك لم أعد أشعر بالضيق من

التفكير في المال، ولذلك وفي غمضة عين استطعت أن أعطى الدولة ممتلكات تقدر بثلاثين بليون ين.

إنه أمرٌ عجيبٌ أن يتحرر الإنسان بالتخلص من المال، ومن الآن فصاعدًا سوف أكون أكثر حرية من نواحي كثيرة، فسوف تزيد الأشياء التي أستطيع تقريرها بنفسي- وسوف يساعدني ذلك في أن أكبر أكثر وأكثر وأحقق أكثر وأكثر.

فلنحيا حياة كبيرة :

إن الإنسان في الأصل يستطيع أن يصبح أي شيء، وهذا الكلام لا ينطبق عليَّ فقط بل ينطبق على جميع البشر، فمن الممكن أن يصبح رئيس وزراء أو أستاذ جامعي أو ممثل سينمائي أو حتى إله.

ولكن عندما نويت أن أصبح طبيبًا ودخلت كلية الطب وجدت أنه هناك إنسان لا يستطيع أن يصبح شيئًا آخر غير طبيب، وبالتالي فإن مجاله يصبح ضيقًا، وعندما يصبح طبيبًا ويتخصص في الباطنة فإن مجاله سوف يضيق ليقتصر- على الأحشاء، وبعد ذلك يتم إنشاء مستشفى توكوشوكاي بالقرب منه فيُفلس، وهكذا فإنه يوجد أشخاص تضيق مجالاتهم يومًا بعد يوم.

ولكن الفنانين وأنا توراو توكودا لسنا كذلك، فأنا لم أستطع فعل شيء غير القيام بأعمال الحقل، ولكنى قررت أن أصبح طبيبًا بسبب حادثة موت

أخي الأصغر، وفوق ذلك استطعت أن أدخل كلية طب جامعة أوساكا، وأصبحت طبيبًا بجانب القيام بأشياء كثيرة أخرى، وشاركت في حركات طلابية كثيرة، وأنشأت مستشفيات عديدة، وأخيراً استطعت أن أصبح سياسيًا، وأشعر أنني من الممكن أن أصبح رئيس وزراء، وربما في الفترة القادمة سوف أنافس بوذا نفسه.

وبالنسبة لي فإنني أعتقد أن الحياة تتفتح لي تدريجيًا، لا أقول إنني نموذج يحتذي به ولكن يجب أن يستغل الإنسان الحياة التي تتفتح له أكثر مع مرور الوقت.

وإنني لا أعتقد أنه على كل إنسان أن يُنافس بوذا والمسيح، فإنه شيء جيد أن نقاتل الأشرار من أجل الضعفاء، وبالحب والروحانيات نُنافس بوذا والمسيح.

إن بوذا والمسيح قديسان استطاعا الوصول إلى أقصى المراتب الروحانية وأنا لا أستطيع الاقتراب من مكانتهما، فهم بشر ولكن استطاعا أن يصلا إلى مرتبة الإلوهية ولذلك مازال هناك عدد هائل من الناس يؤمنون بهما.

وأنا أقول ذلك لأنني أعلم قدر عظمتهم، إذا جعلت هدفك أعلى شيء فبالتأكيد سوف تستطيع فعل شيء جيد.

فلو نافسناهم في التضحية بالحياة فسوف يتم إنقاذ كثير من الضعفاء، فلو استطعنا أن ننظر إلى الحياة بأفق واسع فستكون النتيجة أننا سوف نستطيع تحقيق كثير من الأشياء الجيدة.

إن شكا (أي بوذا) كان أمير في عائلة شكا، ولكن بالنسبة لى فقد ولدت في عائلة مدقعة الفقر ولذلك فقد عانيت الكثير وأنا طفل عن بوذا نفسه، وفوق ذلك لم أحصل على أجازة من عام 1955م بما في ذلك أيام الاحتفالات والأعياد و ورأس السنة والآحاد.

أحياناً أشعر بأنني أريد أن أحصل على أجازة في أيام الأعياد والاحتفالات من أجل أولادي لكنني لا أستطيع فعل ذلك، لو حصلت على أجازة فسوف يسعد ذلك زوجتي وأبنائي ولكنني لا أستطيع ذلك.

ربما أشق على نفسي في العمل مثل رجال الدين الذين يقومون بتأدية فروض شاقة، وأشعر أنني بالنسبة لحجم تلك الفروض الشاقة ونوعيتها لست أقل من بوذا والمسيح، وإن اعتقادي هذا يشجعني على العمل أكثر وأكثر.

فالمسيح كان يحصل على أجازة يوم الأحد، حيث إن يوم الأجازة لمعتنقي ذلك الدين هو الأحد، ولذلك فأنا أستطيع أن أتفوق عليه، فإذا اجتهدت من الآن في القيام بالفروض الشاقة (أي العمل) بما لا يقل عما كان يقوم به بوذا والمسيح، فربما أصبح إله، فلقد كان كلاهما يقومان بإنقاذ أرواح الناس لأن

العلم لم يكن متقدمًا في ذلك الوقت، ولكنى أقوم بإنقاذ أرواح الناس وأجسادهم بواسطة الطب ولذلك ربما أكون قد تفوقت عليهما.

سؤال : المسيح وبوذا قاما بالعلاج بواسطة السحر أليس كذلك؟

الإجابة : نعم وأنا أيضًا أقوم ببناء المستشفيات من أجل العلاج، وهناك شيء آخر وهو أنهما كانا يسيران استنادًا على عصا ولكنى أتنقل بسرعة باستخدام الطائرات النفاثة ولذلك فإن مجال حركتي أوسع، وبالتالي قدرتي على الوصول بسرعة وإنقاذ الناس خمسة أضاف أو عشرة أضعاف قدرتهما، والآن تعداد البشر أكثر من وقت وجود المسيح وبوذا، ولذلك وجب أن أجتهد لأنه عندما لا نستطيع إنقاذهم لن يفيد طلب السماح من بوذا والمسيح، ألا تعتقدون ذلك؟ وعندما أغضب أتصور أن قلبي قلب إله فأشعر بالراحة .

على كل حال إن الحياة تعنى عدم وضع نهاية للمستقبل، يجب أن نعيش بأفق واسع إلى مالا نهاية ونستفيد من الحياة استفادة تامة إلى أقصى ما نستطيع، ولقد قال المسيح وبوذا «اجتهد لتعيش وافعل الخير وحبوا الناس» .

فلنقل أشياء كبيرة :

لقد تحدثت سابقًا عن أهمية وجود الخيال، والخيال هو الحديث عن أشياء كبيرة، وأن يكون هدفنا أكبر مائة مرة من إمكانياتنا، وقد قال الأستاذ كلارك ذلك قبل أن يترك جامع هوكايدو حيث قال «يا أولاد كونوا لكم

طموحات»، فهناك كثير من الناس يتحدثون عن أشياء كبيرة ولكن من بين هـؤلاء النـاس من يحققون في الواقع تلك الأشياء، فمنذ القدم لم يوجـد عظـيم ولا بطـل لم يقـل أشـياءً كبيرة.

ولذلك فقد تدربت منذ صغرى على قول أشياء كبيرة.

قال لي ابني الثاني وهو في الصف الثاني الابتدائي «سوف يخرج مـن هـذه العائلـة شخصان يحصلان على جائزة نوبل» ،

فقلت له «من ومن؟»

قال «أنا وبابا»

وهنا رأيت أنه يجب أن أمرنه، ولذلك قلت له «كـم مـرة تنـوى الحصـول عليهـا عشر مرات؟ عشرون مرة؟ ألا تباريني في عدد مرات الحصول عليها؟»

قال «نعم أباريك» ويبدو أنه كان يعتقد أن الشخص يستطيع الحصول على تلـك الجائزة مرة واحدة فقط، إن ولدى يقول أشياء كبـيرة، وأنـا أعتقـد أن البـالغين يجـب أن يقولوا أشياء كبيرة للصغار من أجل الصغار.

فإن إحدى الفوائد الجيدة التي تنتج عن قول أشياء كبيرة للأطفال أنهم يتوقفون عن فعل الأمور التافة، فعندما نحدد هدفًا ضعف إمكانياتنا مائة مرة، فإذا لم نحقق هـذا الهدف سوف نشعر بالخجل وسوف يعلم الجميع بذلك وعليه فإننـا سـوف نشـعر بقـوة بأهمية فعل ما قلناه مهما كان صعبًا، وحينئذ سوف نفكر

جيدًا فقط في كيفية فعل ذلك الشيء وأهمية أن نفعله، أي أن المغزى من قول أشياء كبيرة هو أن نفكر بجدية في أهمية تلك الأشياء وطريقة فعلها.

فلو فكر الطفل في أنه من الممكن أن يحصل على جائزة نوبل عشرين مرة فلن يفكر في فعل أشياء سيئة ولن يكون عنده ولا حتى ثانية واحدة للتكاسل.

ولكن لو قلنا للطفل «أنت ليس عندك ما يجعلك تحصل عليها» فسوف يصبح الطفل إنسانًا يعيش دون بذل مجهود.

معنى الاجتهاد الحقيقي :

سؤال : حدثتنا عن الخيال وفوق ذلك تحيق الأهداف بعد تحديدها، بجانب التعثر في كثير من الأمور، ولكنى أريد أن أسالك عن طريقة الاجتهاد.

الإجابة : لقد تحدثت سابقًا عن تناول الطعام بسرعة والإخراج بسرعة ورعشة الفقير (هز الركبتين)، إن تناول الطعام بسرعة والإخراج بسرعة ورعشة الفقير ما هي إلا طرق تبين الشعور بالأهمية القصوى للوقت، وإذا استخدمنا هذه الطرق لن يكون هناك ما نخشاه في حياتنا، فنستطيع أن نفعل كل شيء، لأن كل شيء متعلق بالوقت، فنحن لا نستطيع أن نصل إلى أهدافنا بطريقة ليست جادة، فنستطيع أن نصل إلى أهدافنا البعيدة عندما نبدأ بأهدافنا القريبة، من فضلك فكر في الكلام الآتي المثير للدهشة :

«إن أردت أن تصبح إنسانًا بدرجة يرضي اللـه سوف تصبح، بشرط ألا تتكاسل حتى ولو للحظة واحدة» نحن نقول كثيرًا أن الاجتهاد شيء مهم، ولكن هل تعرف المعنى الحقيقي لكلمة «الاجتهاد» فكر في معنى تلك الكلمة.

إن الكلمة اليابانية « doryoku اجتهاد» تتكون من ثلاثة مقاطع تعنى «امرأة» و «أربية (وهى منطقة تلاقى الفخذين)» و«قوة» وهى تعنى بذلك القوة التي تخرجها المرأة في الأربية لتدفع بها الجنين وقت الولادة، وطبعًا هناك حكمة تقول «من شاهد مرة واحدة أفضل ممن سمع مائة مرة» وأنا لم أشاهد عمليات ولادة بل قمت بعمل عمليات ولادة كثيرة جدًا وللعلم فإن أي ولادة خطر كبير، فتعرق المرأة فجأة وبغزارة وترتفع نبضات القلب وتسرع مما يؤدى أحيانًا إلى الموت، ويندفع الدم فجأة وبقوة بكمية حوالي لتر، وتظل تخرج قوتها في الأربية لمدة طويلة دون توقف، وإن الاستمرار في إخراج القوة دون توقف لمدة طويلة هو ما يُقال عنه «doryoku اجتهاد».

وكثيرًا ما نسمع من يقول «أنا اجتهد بطريقتي الخاصة» ولكن هذا شيء غريب فليس هناك متسع من الوقت ليجتهد الإنسان بطريقة خاصة، فهذا ليس اجتهاد، فعندما تركز المرأة في إخراج قوتها في الأربية فإنها تتصبب عرقًا سواء كانت الولادة الأولى بالنسبة لها أم سبق لها الولادة، وليس صحيحًا على الإطلاق أن نعتقد أن الولادة سهلة لمن سبق لها الولادة، بل على العكس، فأحيانًا تموت من تلد لأنه سبق لها الولادة، فكثير ممن سبقن لهن الولادة يمتن،

وفي الحقيقة إن الولادة أصعب لمن سبقت لها الولادة عن من لم تسبق لها الولادة، وذلك لأن من سبقت لها الولادة تتكاسكل عن بذل المجهود.

ولذلك فالاجتهاد يعنى أن تتصبب عرقًا وتنزف دمًا، وإن سقوط الدم ثم توقفه لا يدل على الاجتهاد، بل إن استمرار النزيف هو الدليل على الاجتهاد.

وإذا استطعت أن تتفوق بطول الوقت والدراسة وبنوعية العمل فسوف يتسع الفارق بينك وبين من لا يفكر في ذلك، فليس هناك طريق وسط لتعيش الحياة، وليس هناك طريق وسط لكي تدرس، فإما أن تجتهد أم لا وليس هناك إلا أن تجتهد، ألا تعتقدون ذلك.

سؤال : هناك من يجتهد ولكن لا يتغير وضعه مثل الآخرين، أليس هناك اختلاف في إمكانيات (ذكاء) شخص عن آخر؟

الإجابة : ليس هناك علاقة بين الإمكانيات والعمل، فعلم وظائف المخ يقول إن المخ يتكون من أربعة بلايين خلية وأن الإنسان لا يستخدم سوى ثلاثة في المائة من تلك الخلايا ولا يستخدم الباقي.

وإذا استخدمت الثلاثة في المائة في العمل أو الدراسة واستخدمت الباقي من الخلايا في تعلم فن الخط فسوف تصبح خطاطًا ممتازًا.

وإذا استخدمت الباقي في تعلم فن الرقص فسوف تصبح راقصًا ممتازًا، أو إذا استخدمته في تعلم لعبة الجودو فسوف تصبح لاعبًا ممتازًا.

فمن الممكن أن تصبح ممتازًا في فعل كثير من الأشياء، لكن إذا لم تستخدم ذلك المتبقي من تلك الخلايا فسوف تضمر، فتذكر أنك لا تستخدم سبعة وتسعين في المائة من خلايا مخك.

كيف تصبح عبقريًا :

سوف أتحدث عن ذلك من ناحية علم النفس، فلنفترض أن هناك خريج من جامعة طوكيو درجة ذكائه مائة وخمسين وأنه التحق بالعمل في وزارة المالية وأنه يأخذ راحة أيام السبت والأحد والأعياد، فهو بذلك يدخل ضمن مجموعة البشر الذين يستخدمون الثلاثة في المائة فقط من عقولهم، وبضرب 150 في ثلاثة من مائة تكون النتيجة أربعة وخمسة من عشرة في المائة، وإذا افترضنا أن الوزارة استخدمت شخصًا درجة ذكائه 100ويستخدم 5% من عقله، وبضرب 55 في 100 ستون النتيجة 5%، ولذلك فإن الشخص الذي درجة ذكائه 100 يتفوق على خريج جامعة طوكيو.

وبالنسبة لمعدل الذكاء فقد كان هناك شخص اسمه «ياماشتا كيوشى» ويُقال أن معدل ذكائه كان منخفضًا ولكن كتعبير عن التقدير له سوف نعتبر أن معدل ذكائه كان 85 ولكنه كان عبقريًا في فن الرسم، وفي العادة يكون

معدل الذكاء عـن الشـخص العـادي 100 وبالمناسـبة أنـا بليـد في الرسـم، فأرسـم لوحـة وأضعها في برواز ثم أشعر بأن البرواز خسارة، وأنه من الأفضل أن أنزعه، بل الحيـز الـذي توضع فيه اللوحة خسارة، فلوحاتي مثل رسومات الأطفال.

وذلك لأني ضعيف في الرسم ولكـن هـو عبقـري فيـه، ولكـن لمـاذا معـدل ذكائـه منخفض وعبقري في الرسم؟، لو حسبنا لعرفنا، أي أنه يستخدم 10% من عقله في معـدل ذكاء 85 في الرسم، تكون النتيجة أنه يستخدم 8.5% من عقله ولذلك يتفوق.

ولذلك ليس الموضوع موضوع القدرات (الذكاء) ولكن موضوع الاجتهـاد، ويُقـال منـذ زمـان أنـه لا يوجـد عبقـري دون اجتهـاد، «سـاكاتا سنكتشيـ» عبقـري في لعبـة الــ «شوجي (الشطرنج الياباني)»، كان دائمًا يفكر في الشوجي سـواء كـان مسـتيقظًا أم نائمًـا، ولذلك فهو من وجهة نظر المجتمع رجل ليس له أي قدرات ولكنه استغل قدراته، فتعلم الشوجي رسميًا على يدي علامة ثم أصبح عَلَمًا من أعلام تلك اللعبة، فإن الإنسان عندما يركز بشـدة في شيء كـالمجنون سـوف يـبرع في ذلـك الشيـء لدرجـة لا يمكـن أن يتخيلهـا الشخص العادي.

عندما ترى شخصًا يعمل ست عشرة ساعة يوميًا، ويفكر فقط في ذلك العمل ويؤديه وهو منجذب إليه فبعد عدة أعوام سوف يكون أفضل من الآخرين في ذلك العمل وسوف يُقال عنه أنه عبقري.

قد يحدث أن يصبح الشخص عبقريًا في مدة عامين وقد يحتاج العمر كله لذلك.

وفي الرياضة لكي يكون الإنسان عبقريًا يجب أن يحدث ذلك مبكرًا، لأن جسم الإنسان يضعف بسرعة، «جوشكن يوكو» كان عبقريًا في الملاكمة، إنه من جزيرة أوكيناوا التي تكون إحدى جزر الجنوب الغربي، والآن فإن ملاكمي أوكيناوا من أفضل ملاكمي اليابان، ولقد كانت أوكيناوا آخر جزيرة عادت إلى اليابان بعد أن كانت تحت الاحتلال الأمريكي ولذلك وحتى الآن فهم أكثر الناس تعطشًا للنجاح.

«جوشكن يوكو» أحد المتعطشين للنجاح ولقد كرس روحه (عقله وقلبه) وجسده في فترة العشرينيات للملاكمة، فإن رياضة الملاكمة لا يمكن للشخص العادي ممارستها، حيث إن الشخص يُضرب فيها بشدة وكثرة فيشعر بالألم والدوار.

إن أي إنسان يستطيع أن يصبح عبقريًا، إن الرسام العظيم «ياماشتا كيوشى» عبقري ولكن ليس في حاجة إلى معدل ذكاء عالٍ، فالموضوع هل

تستطيع أن تكرس روحك (عقلك وقلبك) وجسدك في التفكير في شيء واحد أم لا؟

إن الإنسان الذي يصعب عليه أن يكون عبقريًا هو الشخص الذي تطورت عنده الفطرة السليمة أكثر من المفترض، أي أنه يفكر على أساس العرف والعادات والتقاليد والمفروض والواجب والذوق واللائق، ومشغول أكثر من اللازم بأشياء كثيرة مثل قضاء الوقت مع المعارف.

إن العبقري ربما لا يلقى التحية على الناس، ويُقال أن «مياموتو موساشى (محارب قديم بارع في استخدام السيوف)» لم يدخل الحمام للاستحمام طوال عمره لأنه لم يشعر بالطمأنينة لدخول حمام الاستحمام، فقد كان يفكر في أنه إذا دخل حمام الاستحمام وانقض عليه من يريد قتله فلن يستطيع الدفاع عن نفسه، وهذا جعل فكرة دخول حمام الاستحمام تشعره بالقلق.

وعلى النقيض فإن أرخميدس الذي كان باحثًا مجدًا كان عندما يدخل حمام الاستحمام أيضًا كان يفكر في هذا وذاك من مشكلات الفيزياء، ولقد انتبه إلى أنه عندما يدخل حوض الاستحمام ينسكب الماء الساخن خارج الحوض وأن جسمه يطفو بخفة، وكان ذلك سببًا في أن يكتشف أسس قانون الطفو.

وعندما اكتشف ذلك صاح «وجدتها وجدتها» ونسي أنه في حوض الاستحمام وقفز عاريًا واندفع جريًا إلى طرقات المدينة وهو يصيح «وجدتها وجدتها» .

فإن الشخص العادي لا يستطيع أن يصبح عبقريًا لأنه لا يستطيع أن يفكر بكل جوارحه دائمًا في شيء واحد فقط، فلا يستطيع أن يصبح «مياموتو موساشى» أو «أرخميدس» ولكنى أحاول أن أصبح كذلك، على الأقل فإنني في مجال عملي أعتقد أنه يجب عليّ أن أفعل ذلك، وفي نفس الوقت فإن العبقري لا يستطيع أن يصل إلى عمل إنجازات للبشرية بالطرق العادية، على الأقل إذا عملت ست عشرة ساعة يوميًا دون راحة لمدة يوم واحد مكرسًا نفسك لذلك العمل فقط، فسوف تتفوق على الشخص العادي، فإذا عملت ست عشرة ساعة يوميًا دون راحة ولو ليوم واحد فسوف يصبح مستواك أعلى من مستوى الشخص العادي بكثير وبذلك من الطبيعي أن تصبح رائدًا في هذا المجال، وفي هذه الحالة لن تصبح الشهادة الدراسية للشخص ذات قيمة، فالشهادة الدراسية شيء ليس له أي قيمة ولا فائدة، والشهادة الدراسية تعنى أنك متوقف عند تاريخ الحصول عليها، فإذا لم تكن تستطيع العمل أكثر من ثماني ساعات يوميًا فهذا يعنى أن تاريخ حصولك على الشهادة الدراسية هو تاريخ انتهاء حياتك، أي أن شهادتك العلمية هي أعلى وسام حصلت عليه في حياتك، وبالتالي فإن تاريخ حصولك على الشهادة الدراسية هو تاريخ توقف كل شيء في حياتك.

إن أقل البشر فائدة في مجال العمل هو الشخص المتشدق بالشهادات الدراسية، لأن المهم في العمل هو كيف تركز بشدة وكيف تستخدم الوقت.

حتى الامتحانات والشهادات الدراسية تعتمد على كيف تركز بشدة وكيف تستخدم الوقت، فإذا لم تسنح لك الفرصة للعمل وأنت في العشرينيات فمن الممكن أن تعمل في الثلاثينيات ولكن سوف يكون هناك فارق لمصلحة من عمل في العشرينيات.

وهناك أمثلة تدل على ذلك ممن هم حولي في العمل، فمن بين من يعملون معي كمساعدين فإن من تقدموا في أعمالهم هم خريجي المدرسة الثانوية، عندما يخرج خريج المدرسة الثانوية إلى المجتمع يعرف معنى الاجتهاد وبجانب مواهبه الفطرية فيعمل باجتهاد حتى تنتهي حياته، ولذلك فإن خريج المدرسة الثانوية أكثر فائدة من خريج الجامعة.

ويجب ألا ننسى أن المهم هو كيف تعمل؟ وهل تستمر في العمل؟ وكم ساعة تعمل؟ وأنه من الممكن أن تجتهد مثل المرأة التي تلد طفلاً وتبذل مجهودًا كبيرًا لدرجة خروج الدم، إذا كنت تنوى أن تصل إلى جديد، أي أن تخترع أو تكتشف أو تطور أو تحسن شيء.

كيف يجب أن يكون التعليم :

سؤال : سؤال له علاقة بالشباب وهو هناك لجنة تُسمى «اللجنة المؤقتة لبحث إدارة التعليم» وهى تقوم بمناقشة كيفية عمل إصلاح التعليم، ففي وجهة نظرك كيف يجب أن يكون التعليم؟

الإجابة : على كل حال، أعتقد أنـه يوجـد كثـير مـن المعلمـين الـذين لا يصـلحون للقيام بتلك المهمة، ينقصهم الحماس، مثلاً فلننظر إلى وضع الأسـتاذ الـدكتور الجـامعي الحالي، منذ أن يصبح أستاذًا دكتورًا إلى أن تنتهي مدة خدمته وهو أستاذ دكتـور، ولـذلك من الممكن أن يتكاسل، حتى إذا أصبح غريب الأطوار قليلاً فإنه مسـتمر كأسـتاذ دكتـور، ولكن هذا النظام سيئ، فمثلاً يجب أن يكـون هنـاك تقيـيم أداء للأسـتاذ الجـامعي كـل أربعة أعوام وأن يكون هناك نظام مسابقات للتعيين أو الاستمرار في الدرجة.

ويجب ألا يستمر الأستاذ الدكتور أكثر من ثمانية أعوام في نفس الجامعة، ونفس الكلام ينطبق على الأستاذ المسـاعد والمـدرس، فلنفـترض وجـود أسـتاذ دكتـور في جامعـة طوكيو لمدة ثمانية أعوام وأنه جاء وقت أن يترك الجامعة فيجب إحضار أستاذ دكتور آخر من جامعة أخرى مثل جامعة طوكيو للطب وطب الأسنان أو جامعة «كيه أو» .

فإذا فعلنا ذلك سوف يتحسن أداء الأستاذ الدكتور وسوف يهتم بعمـل إنجـازات حقيقية وأن يكون له شعبية.

وإن المنافسة الحرة تتم في نواحي المجتمع بصفة عامـة، حيـث إننـا الآن مجتمـع رأسمالي ومن الغريب ألا تتم تلك المنافسة الحرة في مجال التعليم.

فهناك مرونة في نظام الشركات، فعنـدما يتغـير رئـيس شركـة فيـتم عمـل تغـيرات للمديرين سواء في الوظائف أو أماكن العمل أو تقوم الشركات

الأخرى بأخذ هؤلاء المديرين للعمل فيها، ولكن لا يحدث هذا في المؤسسات التعليمية، فخراب التعليم لم يحدث بسبب الطلاب ولكن بسبب وجود مشكلات متعلقة بالمعلمين، فمثلاً هناك أساتذة عملوا بالتدريس في جامعة كاجوشيما وجامعة أوساكا لمدة أربعة أعوام وهناك من استمروا ثمانية أعوام، وبعض ممن استمروا ثمانية أعوام أخذتهم جامعات أخرى للعمل فيها، فيجب أن يتغير النظام بحيث يعمل الأستاذ ما لا يقل عن أربعة أعوام ولا يزيد عن ثمانية وبذلك لن يكون هناك تواطؤ بين الأساتذة، فهذا هو النظام المتبع في الشركات ولذلك فإن المنافسة بين الشركات قوية جدًا.

وهناك شيء مهم وهو عدم تدليل الطلاب، فإذا تم عقد امتحانات صعبة للطلاب أو تم التساهل معهم فالنتيجة واحدة ولذلك يتم التساهل معهم، فكلما كان ما يحصل عليه الطلاب أقل كلما كانوا سعداء، وتدريجيًا يختفي دور الجامعة وتصبح العلاقة بين الأستاذ والطالب مباشرة دون وجود الجامعة، وأيضًا هناك مشكلة أخرى وهي هل مازال هناك حماس عند الأستاذ للبحث أم لا؟، وإن وجد فهل ينتقل هذا الحماس للطلاب أم لا؟

وحاليًا فإنه هناك تباعد بين الأستاذ والطالب وهذا لا يجب أن يكون، وإن كان في الجامعات الإقليمية الصغيرة يوجد هناك تقارب بين الطالب والأستاذ، لكنى أريد أن أقول أنه لا يمكن أن يكون هناك تعليم جيد مع وجود تباعد بين الجانب الذي يقوم بإعطاء التعليم والجانب الذي يتلقى التعليم، فإذا

لم يكن الطالب ملتصق بالأستاذ فإنه لن يستطيع أن يجعل أستاذه المثل الأعلى له، فالمكان الذي لا توجد فيه علاقات لا يوجد فيه اختلاط يتعلم منه الإنسان تنمية شخصيته.

فالأستاذ يعلم الطالب الحماس أكثر من محتوى الدرس، ويجب على الأستاذ أن يجعل الطالب يشاهده وهو يبحث بهمة ويجب عليه أن يتابع كل جديد، فلو شاهد الطالب الأستاذ وهو يبحث فسوف يترسخ في ذهنه بطريقة تلقائية أسس البحث، والمشكلة أن الجامعة تعلم تعليم فوق الأساسي، ولذلك لكي يتخصص الطالب من المفترض أن يتعلم مناهج العلم ومناهج البحث وطرق التعبير بجانب أن يتعلم كيف يبنى شخصيته.

فإن الجامعة يجب أن تعلِّم الطالب كيف يضع قدمه على الطريق الصحيح وإذا لم تفعل ذلك فإنها تكون قد ظلمته، ولذلك من الخطأ أن يعود الأستاذ إلى منزله قبل الطالب، فمدير أي شركة يذهب إلى العمل مبكرًا عن بقية الموظفين ويترك العمل متأخرًا عنهم، ولذلك من الممكن عمل ذلك في مجال التعليم.

إذا أردت أن تجعل أبناءك يجتهدون :

إن ما سوف أقوله يناسب الأبناء في أشياء كثيرة بما في ذلك المذاكرة، أمي كانت الأكثر عملاً في القرية، فأمي كانت تعمل أكثر من أي شخص في

القرية سواء كان رجلاً أو امرأة، ولا يوجد من يضاهيها في الاجتهاد في العمل، فقد كانت تعمل طوال اليوم من الصباح حتى المساء.

فقد كنت استيقظ في الساعة السادسة والربع صباحًا لأستذكر دروسي وكنت أشعر بالنعاس ولكنى لا أستطيع أن أقول ذلك لأن أمي كانت تستيقظ في الساعة الخامسة، بل كنت أتنافس معها في كل شيء ولكنى كنت دائمًا أنهزم، ولذلك كنت أستمع لما تقوله وأنفذه،

فإذا أرادت الأم أن تجعل أبناءها يجتهدون فيجب أن تجتهد هي، أما أن تخلد إلى الراحة بمشاهدة المسلسلات التلفزيونية والنوم في الظهيرة أمام المدفأة ثم تقول للطفل «استذكر دروسك» فمن الذي سوف يستذكر! فيجب أن تفهم الأم أن طفلها لن يجتهد أكثر منها، حيث أنه من النادر أن نجد طفلاً يجتهد أكثر من أمه.

وإذا كانت الأم تريد من طفلها أن يستذكر سبعة ساعات بعد الرجوع من المدرسة فيجب عليها هي أن تعمل خمسة عشر ساعة، وعند امتحان نصف العام عليها هي أن تقوم بأي عمل أكثر صعوبة من الامتحانات، فمثلاً الابن يحتاج إلى مصروفات دراسية لكي يستطيع الالتحاق بالمدرسة، فمن الممكن للأم أن تعمل لتدخر تلك المصروفات، فمن الممكن عمل أشياء تجعل الابن لا يضطر للعمل وبالتالي يستطيع التركيز في تحصيل العلم.

إن الطفل يمكن تربيته في عائلة مكونة من أم فقط أفضل عن تربيته في عائلة تتكون من أم وأب معًا، ولقد قلت كثيرًا في ندوات عقدتها في مركز اجتماعات الشباب «موتكم أفضل لأبنائكم، فإذا لم تكونوا موجودين فسوف تجتهد زوجتكن بشدة، وعندما يرى ابنك معاناة أمه سوف يجتهد هو الأخر، فمتوا وأنتم ستعلمون أن حال أبنائكم سوف ينصلح، فالطفل يفسد لوجود الأم الغير مسئولة بجانب الأب الغير مسئول» يعنى من يريد أن يتعلم يجب ألا يتكاسل.

سؤال : لقد علمنا أنك كبرت لأنك كنت تعمل باجتهاد دون راحة أيام الآحاد أو الأعياد ولكن ما مصدر الطاقة التي أدت إلى أن تجتهد؟

الطاقة هي الشعور بالرعب والحزن والغضب :

الإجابة : الطاقة هي الشعور بالرعب والحزن والغضب أريد أن أسأل نفسي- «في الحقيقة ماذا أريد؟» مالذى يجعلني أجرى كالحصان الذي يجر عربة؟ (أي كالعبد الذي يعمل دون توقف؟)، وإذا قلت أن الحياة تعنى الوقت من الولادة إلى الممات وأننا يجب أن نستغلها أفضل استغلال ولذلك يجب أن نفعل أفضل ما نستطيع من أجل الإنسان، سوف يُقال حتى إذا كنت تفكر في ذلك فلن يستطيع الإنسان أن يعمل مثل الحصان الذي يجر العربة من أجل كلام جميل مثل ذلك، لو قلت لكم «أيها السادة لماذا تتلكؤون في الخروج! اخرجوا بسرعة من فضلكم، فسوف تقولون وأنتم تسيرون ببطء «نعم نعم فهمنا»،

ولكن إذا قلت لكم «حريق» فسوف تقفزون جريًا، ولذلك إذا لم يكن هناك حافز كبير لن يستطيع الإنسان الجري مثل حصان العربة، ولقد فكرت أنه منذ متى أصبحت مهوسًا بالعمل هكذا؟ وتوصلت إلى أن الأسباب هي : الغضب والحزن لوفاة أخي الأصغر دون أن يجد طبيبًا يقبل الكشف عليه لكوننا أسرة فقيرة، والرعب عندما مرضت واعتقدت أنني سوف أموت دون أن أجد طبيبًا يقبل الكشف عليّ.

فلقد كان الشعور بالغضب والحزن والرعب هو منبع الطاقة التي جعلتني أهرول لكي أدخل كلية طب جامعة أوساكا.

ولأنني أحب اسم عائلتي أحسست بالغضب عندما جُرحت كرامتنا، ولأنني أحب من ارتبط معهم بصلة الدم، فحزنت على وفاة أخي الأصغر، ولأنني أحب نفسي فلقد شعرت بالرعب على حياتي، ولذلك فأنا أجرى كالحصان الذي يجر عربة على أساس الحب.

ولوجود شعور حب تجاه أخي الأصغر فقد خرجت وأنا في الصف الثالث الابتدائي في الساعة الثالثة صباحًا أهرول لكي أحضر له طبيبًا يكشف عليه، وعلى الرغم من أنني قلت للطبيب أننا أعددنا له وليمة فلم يسرع بالحضور، بل جاء يسير ببطء، ولكن لو قلنا لأي شخص «زوجتك صدمتها سيارة» سوف يجرى مسرعًا، فلو لم يكن هناك حب لن تستطيع التحرك بسرعة.

نحن غالبًا لا نتحرك بسرعة بالنسبة لموضوعات لها صلة بأزمات في المجتمع أو اضطهاد الضعفاء لأننا لا نشعر تجاه ذلك بالغضب أو الحزن أو الرعب.

أما بالنسبة لي فأنا طبيب ولذلك أريد أن أنشئ مجتمعًا يستطيع أي فرد فيه أن يحصل على أفضل رعاية طبية في أي وقت وفي أي مكان، ولهذا أتحرك بسرعة وبكل طاقتي من أجل تحقيق هذا الهدف، فلا يجب أن يلاقى أي شخص في هذه الدنيا ما لاقاه أخي الأصغر، وإن الطاقة التي تدفعني لفعل ذلك هي أنني لن أسمح لأحد أن يفعل مع أحد ما حدث مع أخي الأصغر.

فإذا كنت أنا إنسانًا فمن الطبيعي أن يكون في قلبي جروح بجانب وجود الحزن والغضب، فتلك المشاعر هي نقطة الانطلاق للإنسان، ولوجود تلك المشاعر عندي فأستطيع أن أتحرك بسرعة من أجل الناس، فمن فضلكم أن يبحث كل منكم عن نقطة انطلاقه، لا يجب أن يظل الوضع على ما هو عليه، ليس هناك مفر إلا أن تتحرك بسرعة، ففي داخلك أنت أيضًا مشاعر الغضب والحزن والرعب.

الفصل الثامن

مرافقة الآخرين في المسيرة

حماية الضعفاء :

سؤال : سمعت أن «مجموعة توكوشوكاي» التي بدأت منذ 12 عامًا تدير 11 مستشفى يعمل بها حوالي 2500 شخصًا، و طالما أنك تقوم بمثل هذا العمل الشاق مع عدد ضخم يصل إلى هذا فبالتأكيد لك الكثير من الملاحظات، ولهذا فإنني أريدك في هذا الفصل أن تحدثني عن طبيعة العمل مع الآخرين والتواجد بينهم والمشاعر التي تتولد لديك في ظل تلك الظروف.

الإجابة : إن أهم شيء يمكنني أن أنوه إليه بالنسبة للتواجد مع الآخرين كنت قد أشرت إليه بالفعل في الفصل الثالث وهو أهمية الاستعداد النفسي، إذا كان الزوج مع زوجته أو الرفاق معًا يحملون لبعضهم البعض روح الولاء الدائم والإخلاص المطلق، فإنك لن تجد أبدًا شيئًا أقوى من ذلك.

كما أن الأمر الثاني المهم هو على ما أعتقد الإحساس بالرغبة في حماية الضعفاء، والحقيقة لأنني دخلت الانتخابات واجهت الكثير من الانتقادات وخضعت للمراقبة وللتحريات، كما أن بعض الانتقادات وجهت لي من داخل المجموعة التي أعمل معها.

الواقع أن العبد لله «توراه توكودا » الـذي يقـوم بحملـة تحسـين أوضـاع الرعايـة الطبيـة مـن خـلال كيـان مثـل «مجموعـة توكوشـوكاي» حـين تقـدمت لترشـيح نفسي- للانتخابات حدث أن نصف من أعرفهم تقريبًا قالوا إنهم كانوا يتوقعـون منـي أن أفعلهـا يومًا ما، إنه نفس الموقف تقريبًا المماثل لما قيل بعد أن قمت ببنـاء سلسـلة مستشـفيات «توكوشوكاي»، في وقتها قـال النـاس إنـه لـيس هنـاك بـرأسي سـوى مسـألة السـعي وراء تكسب المال وجمع الثروة، أما الآن فلم يعد أحد يقول هذا الكلام، لأنني جعلت جمعيـة «توكوشوكاي» هـذه جمعيـة عامـة ملـك للدولـة، ولهـذا فالنـاس تعـرف جيـدًا أن هـذه الجمعية ليست ملكًا خاصًا لي وأن أبنائي مـن بعـدي لـن يرثوهـا ومـن هنـا لم يعـد أحـد يتكلم في قضية شراهتي للمال.

لكنني عنـدما قمـت بترشـيح نفسي- في الـدائرة الانتخابيـة لجـزر «أمـامي» بعـد شعوري بالغضب الشديد من الفساد السياسي هناك، عاد الناس مرة أخـرى ليقولـوا «هـا هو يفعلها كما توقعنا، إن توكودا هذا هو من البداية كان يطمع في أن يعمـل بالسياسـة، إن ذلك الرجل لديه ميول قوية نحو السلطة والسيطرة» وقد سـمعت واحـدًا مـن النـاس يقول «إنه يطمح إلى أن يفوز بكرسي وزارة الصحة».

وأعتقد أن من يقولون هذا في صدرهم ضيق وقلوبهم سوداء، فبالنسبة لي فـإنني أعتبر أنه حتى الحلم بكرسي رئاسة الوزارة هو حلم صغير! كما أنني

أعتقد أن الناس ستبدأ شيئًا فشيئًا في إدراك حلمي الحقيقي، فهو حلم كبير وعظيم.

ولكن فيما يخص دخولي إلى عالم السياسة فهناك الكثيرون ممن ينتقدونني حتى من المقربين جدًا لدي، وقد حدث أنني لفترة ما عشت مهمومًا حائرًا لا أدري ماذا أفعل، ترى.. هل أنا حقًّا أهب نفسي من أجل حلم كبير نبيل الهدف؟

إنني ألخص هذا المعنى في عبارة واحدة وهي : «هل أنا فعلاً جاد أم لا؟»، أستطيع أن أتكلم الآن لأن هذا الموضوع قد مر عليه الكثير، فأنا حتى وصلت إلى حل لهذه المشكلة عانيت ثلاثة أشهر كاملة، فلقد أحسست أنني لا أستطيع أن أواجه الناس إلا بعد أن أحل هذه المشكلة بيني وبين نفسي وبعد أن أضع إجابة لهذا التساؤل لكي أصبح مقتنعًا تمامًا بما أنا مقدم عليه، كان ذلك في خضم الحملة الانتخابية، وحتى في الفترة التي بدأت فيها مستشفاي تسلك طريق النجاح أخذت أفكر في نفسي وأتأملها وأحلل شخصيتي وأقيمها.

ففي الفصل السابق قلت إنه يلزم إجراء فحوص على سلوكيات أساتذة الجامعة وأنا أقوم بفحص نفسي بنفسي، وأحيانًا أستشير بعض الأشخاص المقربين مني بالنسبة لتلك الفحوص.

الحقيقة أنني عندما قمت بعملية الفحوص والتحاليل هذه لنفسي- بدأت من نقطة طفولتي الصغيرة فأخذت أقلب الذاكرة وأسأل وأرد على نفسي، وقد راودني القول التالي وقتها :

«إن الإنسان الجاد ذو المعدن الحقيقي الخالص هو ذلك الذي يكرس نفسه من أجل خدمة الضعفاء ويضحي بنفسه من أجلهم، أو باختصار فهو الذي يستغل كل ما لديه من أجل الضعفاء، أما الصفة الثانية فهي تحليه بروح محاربة الأشرار، إن هذين المبدأين هما الأساسيين بالنسبة للإنسان ذو المعدن الحقيقي».

على سبيل المثال نفترض وجود أسرة مكونة من أربعة أشخاص إذا مرض واحد من هؤلاء الأربعة فإنه من الطبيعي أن يقوم الثلاثة الآخرين يعملون بكل جد واجتهاد لرعاية ذلك المريض بالتناوب فيما بينهم وكذلك من أجل إعالته ماديًا، وسنفترض أن جارًا لهؤلاء ذهب في رحلة مثلاً إلى جزر هاواي، فلو شعر هؤلاء الثلاثة بالغيرة وأحسوا بأنهم هم أيضًا من حقهم الاستمتاع بالحياة بصرف النظر عن ظروف الآخرين انطلاقًا من فكرة إدخال ذلك المريض إلى المستشفى حتى لا يشكل عقبة لهم في استمتاعهم برحلة مماثلة فيكونوا قد فقدوا إنسانيتهم، فما هو موقفهم كأسرة لو مات المريض الذي هو أحد أفراد الأسرة وهم بعيدون عنه في رحلتهم الترفيهية تلك؟

أو في حالة أخرى لو حدث وسافر أربعة رفاق مع بعضهم البعض في رحلة على ظهر سفينة ما وحدث أن سقط واحد منهم في البحر. إذا لم يهتم الثلاثة الآخرين بموت رفيقهم وعادوا بعد استكمال رحلتهم فإن هذا أيضًا سلوك لا يغتفر، فالواجب هنا أن يسعى الرفاق الثلاثة في البحث عن رفيقهم الذي سقط حتى لو قفزوا جميعًا إلى البحر، إن هؤلاء الذين يضحون بضعيف أو بشخص لا حيلة له أو بشخص لا تسمح له قدرته بملاحقتهم ثم يقومون بعد ذلك بإحراز نجاح ما، فمهما كان حجم أو نوع ذلك النجاح الذي يحققونه، ومهما كان ذلك المظهر الرائع الذي يظهرون به فإن ذلك كله لن يكون له معنى ولن يكون له أي تقدير أو قيمة.

إن النوع الثاني من الأشرار ـ وهنا يلزم وضع تحديد وتعريف واضحين ـ هو ذلك النوع من الذين يمارسون الافتراء على الناس وظلمهم معتمدون على ضخامة أجسادهم وقوتهم البدنية، ودعوني أقدم مثالاً على ذلك برجل يقارب في ضخامته المصارع الياباني الراحل «چايانتو بابا» ونفترض أنه يقوم مثلاً بخنق رقبة فتاة ما، ثم يمر في هذه اللحظة والد الفتاة المسكينة ويرى بعينيه ما يحدث، إن ذلك الأب بالطبع يريد إنقاذ ابنته، لكنه إذا وقف في مواجهة ذلك المارد فهو لا محالة سوف يحفر قبره بيديه، وهنا يحتار فيما يفعله، قد يأتي له خاطر ألا يعرض حياته هو الآخر للخطر من أجل إنقاذ ابنته، وهنا تأتي النقطة المهمة في الموضوع، وفي الفترة الأخيرة أصبحت الاعتداءات التي تحدث داخل القطارات وسيارات الأتوبيس تمثل ظاهرة، وما يحدث أن يقوم واحد من

المارقين الفاسدين بضرب راكب ما وركله داخل القطار أمام أعين الركاب دون أن يجرؤ واحد من هؤلاء الركاب على الاعتراض على ما يحدث، وأصبحت تلك الحوادث أخبار عادية نجدها كل يوم فى الصحف.

المقامرة بالحياة دون شروط :

إن الإجابة على هذا التساؤل السابق وهو ماذا تفعل عندما ترى شرير يفترى على إنسان ضعيف هي إجابة سهلة وواضحة، إنها أن يقوم المرء بالقتال، فلا يجب أن يتجاهل المرء مشهد ضعيف يتم الافتراء عليه من ظالم جبار، إنه أمر لا يجب السكوت عليه مطلقًا مهما كان.

فليقاتل المرء دون تردد في مثل هذه الحالة، إن الأشرار يرتعون في الأرض لأنه لا يوجد أحد من الناس لديه تلك النخوة التي تدفعه إلى إظهار روح الكفاح وروح الفداء، وبالذات من أجل نصرة الحق، نعم إنه القتال دون شروط ودون انتظار مقابل، إنك لن تستطيع أن تحقق العدالة ولا المثالية مع فرض الشروط المسبقة.

إن الجنرال المتمرد الياباني «سايجو تاكاموري» قبل أن يدخل عاصمة اليابان وقتها «إيدو» (في منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا) على رأس جنوده، كان جيش الحكومة يقيم معسكره في منطقة «سونپو»، وكان الجيشان قاب قوسين أو أدني من الدخول في معركة حاسمة، إذا حدثت كانت أكبر معركة في

ذلك القرن، وهنا قرر القائد العسكري العام لجيش الحكومة وهو القائد «كاتسو كاى شو» أن ينهى ذلك الموقف دون إراقة دماء، وقد قام بدور الرسول الذي يحمل رسالة هذا القائد إلى «سايجو تاكاموري» المقاتل «ياما أوكا تشوو»، ولقد قام «سايجو تاكاموري» باختراق خطوط القوات الحكومية الكثيفة التي كانت مثل عيون شبكة كبيرة حتى وصل إلى «سايجو تاكاموري» وسلمه رسالة القائد «كاتسو كاى شو»، لقد قرأ «سايجو تاكاموري» الرسالة وكتب رده عليها، لكن «سايجو تاكاموري» اقترح على «ياما أوكا تشوو» أن يأخذ قسطًا من الراحة لأنه يفكر أن يرسل جنديًا تابعًا له بذلك الرد، لكن «ياما أوكا تشوو» رفض ذلك الرأي مصرًا على أن يقوم بنفسه بتوصيل الرد إلى «كاتسو كاى شو».

وبعد أن غادر «ياما أوكا تشوو» المكان ذكر «سايجو تاكاموري» بعض الكلمات المؤثرة التي ظلت بعد ذلك في ذاكرة التاريخ حيث قال : «كلما كان الرجل زاهدًا في الحياة والمنصب والمال والشهرة، كلما كان لا يأبه بالموت، إن أحدًا لا يستطيع أن يتحمل مسئولية ضخمة مثل مسؤولية مشروع إنشاء دولة بكل ما يحمله ذلك المشروع من مخاطر ومصاعب إلا إذا كان مغامرًا بحياته لا يخاف الموت».

إن هذا الكلام صحيح، فمن أجل تحقيق المثل العليا يجب أن يضحي الشخص بكل شيء، وإذا صار يشكو ويتحجج بقلة راتبه وحقارة وظيفته

وضعف الإمكانيات المتاحة له فسوف ينتهي يوم العمل دون إنجاز أي شيء، ومثل ذلك النوع من الناس لن يستطيع إنجاز شيء على الإطلاق، وإذا لم يتحلى الناس كلهم بروح إنكار الذات والرضاء فإن شيئًا ما لن يتم إنجازه على الإطلاق، فهل يستطيع المرء أن يعيش مرتاح البال هكذا وهو يتشدق بقوله إنه يريد أن يكون عونًا وسندًا للضعفاء؟ كلما كان الإنسان يتشدق بالمثاليات كلما كان يتطلب هذا تضحيات كبيرة بالنفس من ذات الشخص، فإذا استطاع واحد من هؤلاء أن ينفذ ما يقوله فسوف يكون هذا الإنسان ذو المعدن الحقيقي الأصيل بمعنى الكلمة.

وبالنسبة لي فقد أخذت أسائل نفسي : هل أنا حقًا لا أطمع في المال أو المنصب أو الصيت؟ وحين وجدت الإجابة داخل نفسي أنني فعلاً لا أطمع في تلك الأشياء أدركت أنني أستطيع أن أفعل ما أحلم به، لقد أدركت أنني يجب أن أنفذ ما أحلم به.

«ومن أجل أن يقوم الإنسان بتأدية مهمة صحيحة عادلة فالأمر المهم هنا هو أن يستخدم الوسائل الصحيحة الشرعية في سبيل تأدية تلك المهمة» إن هذه هي كلمات الزعيم الهندي «نهرو»، فعلى سبيل المثال فمن أجل تحقيق السلام هناك من يخوضون الحرب، كذلك يوجد من يستمرون في المعارك والحروب وهم ينشرون دينهم، وفي هذه النقطة إذا لم يتم تطبيق أمثلة واضحة ملموسة فإن الشرح سوف يكون منقوصًا، على أية حال فإن كل ما أقوم به من سلوك

ونشاط هو من أجل الضعفاء، فإذا كان هناك شرير ما فإنني أقف في مواجهته دون شروط، إن هذا هو أقل شيء مطلوب من الإنسان طالما كان إنسانًا، وهو الذي إذا تم تنفيذه فسيكون ذلك الإنسان إنسانًا أصيلاً بمعنى الكلمة.

سؤال : ألا تعتقد أن «الإنسان الحقيقي الأصيل» لا يمكن تقييمه فقط في ذلك الإطار الذي قمت أنت بتحديده الآن؟ إنني أعتقد أنه يكفي أن نعتبر الإنسان أصيلاً لمجرد أنه يعمل على أن يكون كذلك أو لديه النية ليكون كذلك.

الإجابة : قد يكون ما تقوله صحيحًا، ولأنه من المهم للإنسان أن يختبر بين وقت وآخر أطماعه الشخصية الصغيرة فقد يكون صحيحًا أن نعتبر مثل ذلك الإنسان يتحرك في اتجاه أن يكون ذلك «الإنسان الحقيقي الأصيل».

إنني الآن في جعبتي الكثير والكثير مما أريد الحديث عنه، فإلى أي درجة يعاني الضعفاء من القهر والإذلال، والى أي مدى عانى أهالي جزر «أمامي» من التجاهل والإهمال، أريد أن أتحدث بخصوص كل شيء لكنني لا أستطيع الآن أن أفعل ذلك، ولهذا السبب فإنني أشعر بحتمية أن أكون قادرًا على النهوض والوقوف على قدميّ، ومن أجل أن أكتسب الشجاعة للوقوف على قدميّ اضطررت لاستخدام الكثير من التعبيرات المجازية والتشبيهات، وإنني أعتقد أن الوقت المناسب سوف يأتي في تاريخ ما ليعرف الناس ما أقصده بكلمة «الشر» هذه.

إن وجود الإنسان مع الآخرين معناه بذل قصارى الجهد من أجل مساعدة الضعفاء، ومن أجل هذا يجب على الإنسان أن يكون قنوعًا وألا يطلب شيئًا لنفسه، وهذا هو الوضع النفسي- المطلوب، وهذا الوضع النفسي- أي هذا الاستعداد النفسي- للتضحية بالذات سوف يصل تأثيره مع الأيام إلى الآخرين، وبهذا الشكل فإذا اتحد فريق عمل مكون من عدد من الأشخاص لديهم نفس الروح فلن يكون أمامهم ما يخافون منه.

سؤال : بالنسبة لحالة «مجموعة توكوشوكاي» فهذه الجمعية هي عبارة عن تجمع كبير للسادة الأطباء، ألا تعتقد أن مسألة إدارتهم وتوجيههم كمجموعة واحدة هي مهمة جدّ صعبة لأن الكثيرين منهم متفوقون ذهنيًا ولديهم عزة نفس عالية؟

الإجابة : لقد حدث من سبعة أو ثمانية أعوام أن بدأت الشعور بالعناء من التفكير في مسألة إذ كنت حقيقة أميل إلى أن أكون قائدًا أم لا؟، ولأن جمعيتي تضم حوالي 2500 شخص فإن أبناء «توكونوشيما» لا يكونون سوى مجموعة صغيرة من حجم هذا الوعاء فإن الأطباء الذين تخرجوا بنتائج باهرة من جامعات متميزة لا يتعدى عددهم المائتين فقط، ويوجد من بينهم أيضًا يساريون ممن اشتركوا في الحركات الطلابية، ويوجد أيضًا عدد من الأطباء ـ وأنا من ضمنهم ـ ممن تم وضعهم تحت المراقبة من جانب لجنة الأمن القومي، ولأنني نفسي- كنت أيضًا مشتركًا في الحركات الطلابية أيام شبابي فإنني أتفهم

هذا الوضع تمامًا وأعرف كيف أتعامل معهم، يوجد أيضًا يمينيون من بين هـؤلاء الأطبـاء، يوجـد أيضًـا آخـرون ممـن سـافروا للدراسـة فى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ثـم عـادوا ليتوظفوا بمستشفى جامعة الدفاع اليابانيـة، وهنـاك أيضًـا مـن التحقـوا بجامعـة طوكيـو ويعملون بهـا الآن، وهنـاك مـنهم مـن كانـت نتائجـه الدراسـية ممتـازة، هنـاك أصـناف وأشكال متعددة منهم، إنني أعتقد أنك لن تجد في هذه الدنيا أكثر أنانيـة مـن الأطبـاء، ذلك لأنهم يظنون أنفسهم أعظم فئات البشر على الإطلاق.

هناك تعبير باللغة اليابانية يقول : «يصـفع الوجنـة برزمـة بنكنـوت (أي يجعلـك تعمل كثيرًا ولا تحصل على المقابل المادي المناسـب لـذلك) إنهـم يضـحكون سـاخرين لـو طلبت من بعضهم أن يأتوا لوظيفة مدير المستشفى براتب شهري قدره مليون يـن! وقـد يرد أحدهم على مثل هذا العرض قائلاً :

«إن المجهود الذي سوف أبذله معك لو بذلته في عيادة خاصة بي فسـوف أكسـب مليونين أو ثلاثة ملايين ين في الشهر الواحد، ولذلك فأنا لا أحتاج أن أعمل معك».

ولذلك فإن الأطباء الذين جاءوا للعمل معي لم يأتوا من أجل المـادة، لقـد جـاءوا وفي نيتهم أن يتعـاونوا معـي لأن المثـل الأعـلى للرعايـة الطبيـة في ذهـنهم مـثلما هـو في ذهني وإلا لتوقفوا عن التعاون معي إذا اكتشفوا عكس هذا.

الرعاية الطبية المثالية هي نقطة الالتقاء :

إنني أفخر بأنه ليس هناك من الأطباء من استقال من عمله في مجموعة «توكوشوكاي»، على الرغم من أن العمل بالمستشفيات التابعة لهذه الجمعية هو عمل شاق للغاية، وقد تكون هناك بعض نقاط التذمر وعدم الرضاء لدى بعض الأطباء، لكن سياستي الأساسية هي أن العمل الشاق هذا أمر مفروغ منه، فأنا أرى أن الطبيب الحقيقي هو الذي يقوم بعمله الشاق.

ولذلك فلو كنت مستهترًا وغير جاد في عملي لانفض هؤلاء الأطباء من حولي واعتزلوا العمل بمستشفاي على أغلب الظن، ولهذا السبب فلو كنت أنا دكتور توكودا أتشدق بالكلام المثالي فقط بينما أقبض وحدي راتبًا عاليًا وأنفرد بمركز قيادي ديكتاتوري ثم أقضي أيامي كلها في لعب الجولف وارتياد النوادي الليلية لتذمر هؤلاء المائتين من الأطباء وتركوا العمل بمستشفياتي.

من المفترض أن راتبي الشهري أقل من أي راتب شهري لأي مدير لمستشفى آخر، فمن أجل اقتراض المال يجب أن اضطر لتسديد ذلك الدين بفوائده من المبلغ الذي أسدده أصلاً لبوليصة التأمين على الحياة، حتى بالنسبة لعدد الساعات التي أعمل خلالها فأعتقد أن أحدًا من أقراني لا يتفوق عليّ فيها، ذلك لأن الجميع يعرفون أن العمل في المركز الرئيسي بطوكيو على وجه الخصوص هو الأشق والأصعب على الإطلاق، إن الذين يوجدون بالقرب مني يصعب عليهم أن يرفعوا طاقة عملهم إلى ست عشرة ساعة في اليوم مثلما أفعل

أنا، إن من يفكر بأنه من السهولة بمكان أن يعمل المرء على هواه وبالقدر الـذي يريحـه دون أن يتكبد مشقة ثم يجعـل مرءوسـيه يخضـعون لمشـيئته هـو سـاذج وواهـم، فـإذا أصبح الإنسان في وضع المشرف أو المدير فسوف يكون مخطئًا لو ظن أنه سـيكون مرتـاح البال، فمن أجل أن ينجح القائد في جذب مرؤوسيه إليه فيجب أن يعطي لهـم النمـوذج المثالي عـن طريـق أن يصـب جهـده في العمـل، وإن تحمـل صـعوبة العمـل هـو الشرط الأساسي للريادة المثالية.

وإنني أختلف عن القائد العادي في أننـي أسـتخدم مـائتين مـن المرءوسـين ممـن يتفوقون عليّ في القدرات وفي الذكاء، ذلـك لأن الـذكاء هـو أمـر مهـم في إطـار العلاقـات الإنسانية، إن استخدامي لتعبير «أستخدم» هو غـير صـحيح بـالمرة بالنسـبة لشـكل هـذه العلاقة، فالحقيقي أنني أنا الذي يتم استخدامي.

وذلك لأن الطرف الآخر لا يضع في ذهنه أبدًا أنه «مُسـتغَل» أو «مُسـتخدَم»، إذا كان كل واحد من هـؤلاء يرغـب في تطبيـق الرعايـة الطبيـة بالطريقـة التـي يفكـر فيهـا فليفعل، فإنهم لن يستجيبوا لي لو حاولت أن آمـرهم أو أجـبرهم عـلى مـا أريـده، لكنـي أعتقد أنهم مستعدون لأن يفتحـوا آذانهـم لي إذا كنـت سـأتحدث إلـيهم عـن محـاولاتي للسعي نحو تحقيق الشـكل الأمثـل للرعايـة الطبيـة، إن الطـرفين أي الـرئيس والمـرؤوس يشكلان تكتلاً يسـعى في سـبيل تحقيـق النمـوذج المثـالي بيـنما يسـتخم بعضـهم الـبعض بالتبادل كما يحلو لهم، وإنني أعتقد أن هـذا هـو الشـكل المثـالي للعلاقـة الإنسـانية بـين الرفاق في العمل.

وإذا لم يكن هذا النموذج المثالي موجودًا فأعتقد أن نقطة الالتقاء بين الطرفين ستكون مفقودة، وإن وجود نموذج مثالي يتفق عليه الأطباء لشيء رائع، فبالنسبة للطبيب فإن مسألة الأسلوب الذي يعمل به هي مسألة في غاية الأهمية، ومن خلال هذا المعنى (أي الاتفاق على طريقة العمل) فلن تجد هناك أكثر جدية من فئة الأطباء هذه.

إنني أدرك جيدًا جديتهم هذه، إنني أدرك هذا جيدًا لأنني أنا أيضًا طبيب مثلهم، ولهذا السبب فلو رفعت من مستوى النموذج المثالي المطلوب وتعمقت أكثر في المعنى الحقيقي لذلك النموذج المثالي فإنهم سيفهمونني تمامًا حتى ولو لم أشرح لهم شيئًا بالكلمات، ولهذا السبب أعتقد أنهم سوف يعترفون بأنني أوفر المناخ الطبي المناسب والقريب من الرعاية الطبية النموذجية المنشودة، أضف إلى هذا أنني كطبيب يجب عليّ أن أكون منضبطًا في إدارتي حتى لا تكون معاملتي لهم أقل من مديرين آخرين لمستشفيات أخرى.

طريقة التعامل مع من هم أكثر مني تفوقًا وذكاءً :

يُقال إن «أندرو كارنيجي» الذي لقب بـ «بملك الحديد والصلب» كان رجلاً في غاية النشاط في عمله حيث أسس مجموعته الاقتصادية الصناعية الضخمة في زمن قياسي يقل عن عشرة أعوام، ولكن ما كُتب على شاهد قبره كان «يرقد هنا رجل يملك الحنكة للعمل مع من هم أكثر تفوقًا منه».

والحقيقة أن القائد الذي يعمل مع مجموع وأشخاص كلهم أقل منه قدرة وذكاءً لا يمكن أن يطلق عليه قائد، إن كونك تعمل مع من هم أكثر منك تفوقًا هو أمـر صـعب للغاية ولكن هناك طريقة وحيدة للتغلب على هذه الصعوبة، وأي طريقة أخرى لن تـأتي ثمارها.

نفترض معًا أمامنا شخص له قدرة في حدود المائة على سبيل المثـال، ويقـوم هـذا الرجل بأداء ثمانين نوعًا من المهام، وفي هذه الحالة قد نقول إنه يؤدي بشكل لا بـأس بـه، إنه إذا قام بأداء مائة نوع من المهام فسوف يقدره الناس على أنه متفوق، ولكن إذا صار ذلك الشخص يقوم بأداء مائـة وخمسـين أو مـائتي مهمـة عمـل فسـوف يبـدأ النـاس في الشعور بالغيرة منه وحسده، ثم يتمتم بعضهم هنا قائلاً «اللعنة.. إنه متجاوز في نشـاطه وظهوره، فلنشده إلى الوراء ونعيقه عن التقدم».

إن وصول الأمر إلى هذه الدرجة يعتبر عاديًا في مجتمـع البشرـ فـإذا شـعر ذلـك المجتهد بالضيق في تلك المرحلة فسوف ينتهي به الأمر كمجتهد من الدرجة الثانية، يجب أن يعمل المرء ذو قدرة المائة بقدرة ألف أو عشرة آلاف، فإذا حدث هـذا فسـوف تكـون الأمور صعبة، إذا أصبح شخص ما قدرته في حدود مائة يقوم بعمل مهام تصـل إلى عشرـة أضعاف قدرته فسوف يبدأ الناس من حولـه شـيئًا فشـيئًا في مسـاعدته، ذلـك لأن البشرـ لديهم فطرة الأمومة.

إن المرء لا يستطيع أن يلحظ النمل وهو يعبر الطريق، ولكن إذا لاحظ المرء النمل وهو يحمل أمتعة تفوق قدرته بعشرات ومئات المرات فسيشعر بالرغبة في إفساح الطريق أمام طوابير النمل تلك بإزاحة أية قمامة تعترضها، أليس كذلك؟ إن الأمر قد يصل إلى رغبة المرء في مساعدة النمل في حمل أمتعته فإذا حدث ورأيت من يجدّ في قطع طريق جبلي صاعدًا وهو يحمل أمتعة فأعتقد أنك سوف تبتسم وأنت تدفعه بيديك من ظهره كي يتقدم إلى الأمام.

ولذلك فإن المرء حين يحمل على ظهره أمتعةً تساوي عشرة أو مائة ضعف قدرته الفعلية فسوف تجد مثلاً خمسة أشخاص يظهرون أمامه لكي يقوموا طواعيةً بمد يد المساعدة إليه، وفي هذه الحالة سيصبح رائدًا وقائدًا لخمسة أشخاص، وإذا أراد مائة شخص أن يقدموا له يد المساعدة فسوف يكون بالتالي رائدًا وقائدًا لمائة شخص.

في الفصل السابق دعوت القارئ لأن يكون هدفه تحقيق مائة ضعف قدرته الفعلية، وستكون واحدة من ثمار هذه المحاولة (محاولة تحقيق مائة ضعف القدرة الفعلية) ما أتحدث عنه في هذا الفصل، فإذا كان المرء يقوم بأداء عمل شاق للغاية ولكن ذو معنى فإن عددًا كبيرًا من الناس المحيطين به سوف يقدمون على مساعدته، وهذا ما أقصد قوله في هذا الفصل.

ولهذا فعندما يصبح الإنسان قائدًا فمن الضروري أن يكون له هدف يساوي عشرة أو مائة ضعف إمكانياته المتاحة، وكما ذكرت في الفصل السابق

عن «التعليم»، فيجب أن يكون القائد هو المضحي بنفسه وذلك بأن يكون في الصدارة دائمًا، حتى إذا صرخ القائد قائلاً «هجوم» فمن ذا الذي سيبدأ بالانطلاق من بين الجنود التابعين؟ إن القائد يجب أن يقفز من موقعه إلى الأمام لحظة أن يصيح بكلمة «هجوم»، إن القائد لو لم تكن عنده نخوة الشجاعة في القفز إلى المقدمة فإن أحدًا من مرؤوسيه لن يتبعه، إذا صحت أنا قائلاً «هجوم» ثم قفزت إلى الأمام وتبعني خمسة أشخاص، فسوف أصبح قائدًا لخمسة أشخاص، وإذا تبعني مائة شخص فإن ذلك يعني أنني سأصبح قائدًا لمائة شخص، إن الأمر ليس بالعدد فقط، فالمشكلة أيضًا في نوعية البشر، إن مريدي كونفوشيوس كان عددهم قليلاً لكنهم كانوا كلهم من النوابغ، وإن جيش قائد الساموراي «إيماجاوا» الذي كان يقارب خمسة وعشرون ألفًا هزم على أيادي جيش قائد الساموراي «أودا نوبوناجا» الذي لا يربو عدده على الثلاثة آلاف فقط، وإن «إيماجاوا» هذا الذي كان في بدايته طريدًا بدأ مشواره الطويل بعشرة فقط من الرفاق الذين كان قائدًا لهم، إن مجد الإنسان يتجلى وقت أن يتحلى بروح الإقدام والمغامرة واكتمال ثقته بنفسه، لكنه أي «إيماجاوا» فشل في النهاية لأن قوته قد كبرت أكثر من اللازم، إن الإنسان يجب ألا يقتصر في تفوقه فقط على نوع عمله بل يجب أيضًا أن يكمل ذلك بتفوقه في الكم، وعلى سبيل المثال فإن القائد على مستوى الأسرة هو الأب، وفي الماضي كانت للأب هيبته داخل الأسرة، والسبب في هذا أن الأب وقتها كانت تكتمل لديه شروط القائد، إن الأب أيام زمان كان يخرج في الفجر إلى عمله ويعود إلى البيت بعد

الغروب، أما الأولاد فكانوا ينهون يومهم الدراسي في وقت مبكر ويعودون إلى بيوتهم وهم يقطعون الطريق المحاط بالأعشاب والأشجار.

إن الأب وقتها كان متفوقًا من ناحية طول وقت العمل وكذلك نوعية العمل وحجمه ولهذا فإن الأطفال حتى ولو كانوا معترضين على أوامر وتوجيهات أبيهم إلا أنهم كانوا يحاولون الاستماع إليه ولو بقدر خمسين بالمائة.

فما هو وضع الأب في هذه الأيام؟ إنه يعمل من التاسعة صباحًا حتى الخامسة مساءً، وخلال ذلك يذهب لتناول طعام الغداء لمدة ساعة تقريبًا كما يفعل بعض الحمقى منهم، أما الأطفال فهم يبدءون فصولهم الدراسية في الثامنة والنصف صباحًا تقريبًا ثم يخرجون من المدرسة مسرعين إلى فصول الدراسة المسائية الخاصة ويعودون إلى منازلهم في الحادية عشرة أو الثانية عشرة ليلاً، أي أنهم يقضون معظم اليوم في الدراسة والتحصيل، ولهذا فالأطفال من ناحية طول الوقت ومضمونه وكمية التحصيل فيه يتفوقون على آبائهم.

والأم أيضًا بفضل التقدم التقني للأجهزة والأدوات المنزلية فهي تنهي عملها سريعًا وتشرب الخمر مع زوجها وهي تشاهد معه التلفاز في نفس الوقت الذي تصرخ فيه تعنف أولادها وتقول لهم «يا هذا.. اجلس إلى مكتبك وحصل دروسك»، إذا كان الأمر يصل هذا الحد فيمكن اغتفار هذا السلوك للآباء والأمهات لأنهم على أضعف الإيمان لا زالوا يعولون أولادهم وينفقون عليهم ويطعمونهم، لكنهم عندما يغالون في محاصرة أبنائهم والصراخ في

وجوههم قائلين «احصل على أعلى النتائج» أو «ادخل جامعة على أعلى مستوى» فلا عجب أن نسمع بين وقت وآخر في الأخبار عن أولاد ضربوا آباءهم بمضارب البيسبول المعدنية!

ولذلك فيا أعزائي.. إذا أردتم أن تظهروا هيبتكم فيجب أن تكونوا متفوقين على الطرف الآخر في طول وقت العمل ومضمونه وحجمه، عندما يعود الأطفال إلى البيت مساءً ويتناولون طعام عشائهم ثم يجلسون أمام التلفاز في الساعة السابعة مساءً تقريبًا ويفاجئوا بعودة أبيهم من الخارج ـ على غير عادته ـ في هذا التوقيت فهم يصابون بالارتباك ويسارعون بالركض إلى مكاتبهم للتظاهر بالانغماس في التحصيل، وإذا كان الأطفال لا يزالون يتصرفون في حدود هذا الإطار فهذا يعني أن الأب لا تزال لديه الهيبة نحو أولاده.. ألا تعتقد هذا؟

بالنسبة لمدير الشركة أيضًا قد نستطيع ضرب نفس المثل، نفترض مثلاً أن موظفي إحدى الشركات حققوا مبيعات لشركاتهم في عام من الأعوام وصلت إلى مائة مليون ين ياباني، فمن الطبيعي أن تقوم الشركة بوضع خطة خمسية ليكون الهدف بعد خمس سنوات هو الوصول بحجم المبيعات إلى ثلاثمائة مليون ين أو خمسمائة مليون ين، أما أنا فإذا كنت في شركة مشابهة وتم تقليص هدف الخطة الخمسية ليكون حجم المبيعات خمسين مليون ين فإنني سوف أبحث عن مكان آخر أفضل الانتقال إليه، كذلك أتوقع أن يتفرق باقي

الموظفين ليذهب كل منهم إلى مكان مختلف عن الآخرين، إن المرء الـذي يـدرك قدراتـه وإمكانياته يرفض أن يتواجد في شركة لا تتعدى طموحاتهـا في حجـم المبيعـات نصـف مـا حققته بالفعل.

إن مثل ذلك المدير ـ إن وجـد ـ لا يمكـن أن يعتـبر رائـد أو قائـد، حتـى لـو كـان طموحه في خطة مستقبلية هو الحفاظ على نفس حجم المبيعات الحالي الـذي هـو مائـة مليون ين فهذا غير كاف، وحتى لو كان الهدف هـو ضـعف المبلـغ فـإن إحسـاس الجـرأة والجسارة والإقدام معدوم هنا، وقد يستقيل بعـض المـوظفين الناشـطين أيضًـا مـن هـذه الشركة لهذا السبب.

لكن إذا افترضنا أن موظفي شركة ما كانوا يتوقعون من رئيسهم أن يعلـن هـدف الخطة الخمسية ثلاثمائة مليون أو خمسمائة مليـون يـن ثـم يفـاجئون بـه يعلـن هـدف الخطـة ليكـون خمسـة آلاف مليـون يـن فـإن هـؤلاء المـوظفين سـوف يفركـون آذانهـم بأصابعهم وهم لا يصدقون الرقم الذي سمعوه ثم يحاولون أحيانًا تطبيـق مـا قالـه لهـم مديرهم، لا.. ليس أحيانًا بـل يوميًـا وحتـى في أيـام الأجـازات الأسـبوعية وحتـى في أيـام عطلة رأس السنة، أعتقد أن الوصول برقم المبيعات إلى هذا الرقم المـذكور هنـا هـو أمـر مستحيل بنسبة تسعين بالمائة، ولكن هناك إمكانية باقية ولو 10 بالمائة، حسنًا.. على أقل تقدير ستكون نسبة الإمكانية ثلاثة بالمائة، إذا افترضنا جـدلاً حقيقـة نصـف مـا قيـل وأن حجم المبيعات قد وصل إلى مبلغ ألفين وخمسمائة مليون ين، فسوف يفتخر موظفو

تلك الشركة بأنفسهم ويعتبرون أنهم قاموا بإنجاز ضخم من أجل الشركة، وإذا أعطى لهم مدير الشركة هذا التقدير وشجعهم فسوف يأتون إلى الشركة عن طيب خاطر حتى في أيام الأجازات الأسبوعية والعطلات الرسمية، وبالتالي تصبح لدي مدير الشركة رغبة في مكافآتهم عن ساعات العمل الإضافية.

وبعد مرور خمسة أعوام لو كانت حصيلة المبيعات للشركة قد وصلت إلى مبلغ ثلاثة آلاف مليون ين فسوف تجد واحدًا من مديري الأقسام قد أصبح مدير فرع كبير من أفرع الشركة، ولأن حجم العمل قد بلغ ثلاثين ضعفًا وبالتالي لأن حجم العمالة قد زاد إلى العشرة أضعاف على الأقل فإن عدد المرؤوسين لرئيس قسم بعد أن كان خمسة فهو يتضاعف ليصبح خمسين موظفًا، وأعتقد أن ذلك المدير الذي يوفي بالشروط المطلوبة للقائد أو الرائد من جسارة وإقدام وجرأة قبل الغير من المرءوسين ومن حضور متواصل لمكان العمل بصرف النظر عن أيام الأجازات الأسبوعية والعطلات الرسمية سيكون جديرًا باعتباره قائدًا بمعنى الكلمة، أما الذي لا يستطيع أن يفي بهذه الشروط ولا يستطيع أن يتماشى مع النمو السريع والضخم للثلاثين ضعفًا الذي تصبو إليه شركته فهو إن آجلاً أو عاجلاً سوف يفشل ويتم طرده من المنظومة.

وفي مجموعة «توكوشوكاي» هناك الكثيرون أيضًا ممن استقالوا من العمل، من أكثر أسباب الاستقالة كان الإخفاق في ملاحقة الخطو السريع

لمنظومة العمل، وهناك أيضًا من استقالوا مع مباركة واحتفاء من زملائهم ولذلك لا أستطيع حكمًا عامًا مطلقًا على جميع الحالات، ولكن ما استطيع قوله هنا إنه مع هذا التنامي السريع والضخم لمجموعة «توكوشوكاي» فقد يحدث أحيانًا أن يخفق الذين يعملون بالشكل المعتاد في اللحاق بزملائهم، وهنا فإن من لا يستطيع أن يدرك المعنى العميق للمجهود الخارق الذي يدور حوله فهو لا يجد مناصًا سوى الاستقالة من العمل، ولأنه حين يستقيل من العمل لا يشعر أنه هو المخطئ فهو يذهب أحيانًا إلى بعض الصحفيين ليطلق الاتهامات على مجموعة «توكوشوكاي» ويلصق بها مسئولية ما حدث له.

ويبدو لي أن أية شائعات بغيضة تصدر في نفس الوقت الذي ترفع فيه المجموعة الشعارات المثالية الرنانة سيكون له صدى صحفي كبير ومادة خصبة للأعلام، ولكن إذا استقال امرئ من عمله بشركة ما فإن هذا لا يعني على طول الخط بأنه هو الذي على حق، فكأمر واقع يوجد هناك الكثيرون من الأطباء والممرضات والموظفين من العاملين بسلسلة مستشفيات المجموعة ممن يبذلون قصارى جهدهم من أجل المرضى ويصلون الليل بالنهار دون نوم أو راحة، إنني لا أعبأ بمن يتهمونني بالديكتاتورية ولكن إذا كان هؤلاء يتحدثون بالباطل عن أعضاء منظومة مجموعتي فإن هذا يشكل نوعًا من السب والقذف لروح الإيثار التي يتحلى بها رفاقي في العمل، إنني لا أريد أبدًا أن أسمح بأن يتم النظر لهم بنظرة مشوهة إلى روح التفاني والشعور بالمسئولية التي يتحلى بها هؤلاء المتطلعين بشؤون الرعاية الطبية من المتحمسين من أعضاء المجموعة.

النقاط المهمة في شخصية القائد :

إن تخمين رقم كبير للربح أو للمبيعات هو أمر لا بأس به، لكن المبالغة في ذكر أرقام بعيدة عن الواقع تمامًا هو أمر مكروه، فمثلاً إذا كانت هناك شركة ما حجم مبيعاتها مائة مليون ين فماذا تتخيل أن يحدث لو أطلق مدير الشركة العنان لحماسه وأعلن أن حجم المبيعات بعد خمس سنوات سوف يكون تريليون ين؟ سوف يعتقد الموظفون على الفور أن مدير شركتهم قد أصيب بلوثة عقلية، وسوف يحاولون إيجاد مكان آخر للعمل لأن مدير هذه الشركة لا يمكن الاعتماد عليه، ولهذا فالمهم هنا أن يكون تقدير الأمور معقولاً وفي حدود الرؤية وعلى أساسه يتم تقدير الأرقام، وإن تحقيق رقم مقارب للرقم الذي تم تخمينه هو المعترك الحقيقي الذي يتم على أساسه تقييم قدرة هذا الرئيس من ذاك.

من بين الـ 2500 من العاملين بمجموعة «توكوشوكاي».. أعتقد أنك لن تجد هناك من يؤمن من قلبه بأن د. «توكودا» ـ الذي هو أنا ـ سوف يستطيع حقًا أن يغير منظومة الرعاية الطبية في اليابان وفي العالم أيضًا في يوم من الأيام، ولكن قد يكون القائمون على القيادات الرئيسية بالمجموعة مثل مديري المستشفيات ونوابهم ورئيسات الممرضات يتوقعون بنسبة ما أن يستطيع د.«توكودا» تنفيذ النموذج الذي يصبو إليه، أو ربما يعلقون الأمل فقط على د.«توكودا» دون غيره في إنجاز تلك المهمة، وعلى الرغم من أن رواتب هؤلاء ليست مرتفعة إلا أنهم يقامرون بمستقبلهم من أجل مشروعي هذا، ولذلك فإنني من أجل أن أستجيب لمشاعرهم هذه فإنني أبذل قصارى جهدي دون أن

أستريح يومًا واحدًا، وأعتقد أن مديري مستشفيات المجموعة ونوابهم لا يقل مجهودهم عن مجهودي، ومع ذلك فأعتقد أنهم يستريحون يومًا أو يومين في الشهر الواحد عن العمل، لكني لا أتغيب أبدًا عن العمل حتى في أيام السبت والأحد والعطلات الرسمية وحتى في أعياد رأس السنة.

وهناك خاصية أخرى في علاقاتي الإنسانية وهي أنني لا أميل إلى اليسار ولا أميل إلى اليمين ومع ذلك فعندي القدرة على استيعاب أصحاب تلك الميول المتنافرة والتعامل معهم جميعًا بلا تفرقة.

ألم أقل لك إنني أنوي أن أغير منظومة الرعاية الطبية في اليابان وفي العالم أيضًا؟ إنني حين أواجه واحدًا من المنضمين الجدد من الأطباء إلى جمعيتنا وأقول له : «اسمعني.. هل أنت مستعد للتعاون معي؟»

فيرد علي قائلاً : «نعم سوف أتعاون معك»

ويأتي بعد ذلك سؤالي التالي هو : «ومن أين جئت؟»

فيرد علي بعضهم قائلاً : «لقد استقلت لتوي من الحزب الشيوعي!»

وإذا كان هذا الشخص ذهب للعمل في أي شركة عادية فسوف يتم رفضه بسبب الميول الشيوعية للمتقدم، ولكن لأنني مشغول جدًا فإنني أجيب قائلاً: «ليست لي علاقة بالفكر والايدلوچية، ولكن أرجوك أن تنضم إليّ».

ولأن اليساريين يتشدقون فقط بالكلام والعبارات الرنانة فإن قيادتهم واستغلال قدراتهم كلها لا تكون صعبة، أما أصحاب الفكر اليميني فإن تعبيرات وجوههم صارمة، ولكن لأنهم يتمتعون بأجساد قوية في الغالب فإنني أيضًا أستطيع استغلال طاقتهم الجسمانية هذه كيفما أريد، إنني أقول للأطباء من خريجي جامعة طوكيو «ابذلوا كل ما في طاقتكم حتى في النوبات الليلية»، فبقدر ما يتدللون ويطلبون طلبات أنانية صعبة فإنني أستغل طاقتهم هم الآخرين كيفما أريد، ففي أثناء ما يجتهد هؤلاء بعد وضع الأهداف الكبيرة البعيدة بقدر مائة ضعف إمكاناتهم المتاحة ومع تفوقهم على أقرانهم في مستشفيات أخرى من ناحية طول عدد ساعات العمل ومع تفوقهم النوعي والكمي فإن صدورهم تتسع شيئًا فشيئًا وتقل أنانيتهم وتتحسن معادنهم، وهذا هو الشرط الضروري من أجل أن أستطيع العمل مع من هم أكثر سعة صدر مني أنا شخصيًا.

ومن أهم الشروط أيضًا وجود روح الرحمة والحب لدى القائد، فإن واسع القلب الرحيم يستطيع أن يصبح قائدًا، وحتى في داخل الأسرة فلو حدثت مشاجرة زوجية فسوف تلمس مدى حب ذلك الزوج العميق لأسرته، إن من يخرج من البيت غاضبًا ويترك أسرته ويختفي فمقدار حبه لأسرته معدوم، ولكن من يصيح ويبقى بين زوجته وأولاده أفضل لأنه أكثر شعورًا بروح المسؤولية والواجب نحو أسرته.

حتى في مجال الشركة فإن أكثر من يهتم بشركته ويخاف عليها هو مدير الشركة نفسه، فهو من ناحية مرؤوسيه وناحية ضيوفه يفترض فيه أن يكون صاحب الحب الحقيقي والرحمة الحقيقية.

إن الحب لا يعنى العمل بالاسترخاء وبطأ وأكل ما لذ وطاب من الطعام وشرب الخمر والرقص والصخب طول العام، بل يعنى أن يتفاني الشخص في العمل حتى تنفجر بطنه ويُحمَل إلى المستشفى بين الحياة والموت، فمثلاً هب أنك جندي وذهبت في مهمة استطلاع بدلاً من زميل مريض فى فريق يتكون من عشرة جنود ولكن عاد منهم اثنان فقط أحياءً دون أن يطولهم الرصاص فعليك بتخيل مشاعرهما، عليك أن تتخيل أنك ذهبت إلى الحرب ثم عدت سالماً مع رفيق لك، ستجد أن الحب سينمو حتمًا بينكما، وإذا مات رفيق السلاح فسوف يبكي حزنًا عليه زميله الذي على قيد الحياة ويذرف الدموع النقية الخالصة لأنه لم يمت هو الآخر، إن هذا هو الحب الحقيقي! فكلما اشترك رفاق في المعاناة والألم وكلما تجاوز الرفاق خطر الموت مع بعضهم وذاقوا العذاب كلما قويت أواصر الود بينهم.

إن نفس الشيء يمكن تطبيقه على الزوجين وعلى الرفاق في العمل وحتى على أي حالة من الحالات الإنسانية التي يتشارك فيها الناس ويتقاسمون معًا طعم العناء والعذاب، إذا وضع هؤلاء معًا هدفهم المنشود بمائة حجم قدراتهم المتاحة فتفوقوا على الآخرين في طول ساعات العمل وفي محتواه وفي نوعيته

وكميته وكلما ذاقوا معًا طعم العناء والعذاب بكل ألوانه فكلما صار هؤلاء أقوياء العزيمة رحماء يملأ الحب قلوبهم.

ولهذا فالانتصار من حيث المضمون مهم هنا، إن المضمون الذي أقصده هنا هو بالطبع الحب والرحمة، هذا بالطبع تمامًا مثل ما تحدثت عنه في بداية هذا الفصل، ذلك لأن الحب هو ذلك الشيء الذي ينبع من الاستعداد النفسي للمرء وموقفه الروحاني، وهذا يؤدي بعد ذلك أيضًا إلى محاربة الشر تعاطفًا وتكاتفًا مع الضعفاء الذين يعانون من قهر الظلم، إن الحب هو من أهم شروط القائد.

وقد حدث أن قال طبيب ما يلي «يا توكودا.. إن هناك أمر لا أستوعبه على الإطلاق! لقد قابلتك خمس مرات لكنني أشعر بعد كل مرة أقابلك فيها أنني أكثر منك حنكة وذكاءً».

فرددت عليه قائلاً «إنني أشعر بالفعل أنك أكثر ذكاءً مني».

وهنا قال معلقًا «أتعتقد أنت أيضًا هذا؟ إنني حقًا أعتقد هذا فأنا أطول منك قامةً ووجهي أوسم منك وكذلك فأنا من بيت عريق».

وخلال الثلاثمائة سنة الفائتة لم يكن بجزيرة «توكونوشيما» ـ على حد علمي ـ بيت واحد عريق، ومن هذا المنطلق فأعتقد أن ذلك الطبيب كان على حق، لقد استرسل ذلك الطبيب قائلاً «من ضمن عشرة عناصر فإنني أتفوق عليك يا توكودا في تسعة منها».

فسألته «وما هو ذلك العنصر الذي أتفوق عليك فيه؟».

فأجاب «إنك يا توكودا لا تشعر بأي خجل وأنت تقول إنك ستغير منظومة الرعاية الطبية في اليابان وفي العالم، لكنني خجول من أن أقول هذا ولا أجد الشجاعة كي أتفوه بذلك».

أعتقد أنه قال هذا الرأي لأنه واسع الإدراك، لقد استطرد ذلك الطبيب قائلاً «إنك يا توكودا لا تكتفي بقول هذا بل تؤمن به وتنفذه فعليًا بقيامك بالحرص على الخروج للعمل طيلة أيام العام دون راحة حتى في أيام الأحد والعطلات الرسمية وحتى في إجازة رأس السنة، فإنك تجد وتجتهد حتى تحمر عيناك بالدم، أما أنا فإذا لم آخذ قسطًا للراحة بين وقت وآخر فإنني لا أستطيع أن أخرج طاقتي في العمل، لقد قررت أن أتعاون معك يا توكودا أنت الذي تتفانى في عملك وتتشدق بذلك الكلام الكبير، سوف أساعدك في تجميع أكبر عدد من الأطباء من أجلك كذراعك الأيمن .

وكان هناك طبيب آخر جاء عندي بعد أن تخرج مباشرةً من إحدى كليات الطب وقال لي «يا توكودا.. إنني أصبحت خلال العشر سنوات الماضية أفكر وأحلم بما تقوم به الآن، وعندما سمعت أنك تقوم بهذا العمل أحسست بالغضب العارم يعتريني، إنني أشعر بالغيرة تجاهك، ولكن التنفيذ الفعلي أهم من التفكير. فمهما قلت إنني أفكر فلو لم يتم تفعيل هذا التفكير فيعني هذا إنه لا معنى للتفكير أصلاً، إنني أريد أن أتعاون معك».

إن مثل هذا الطبيب يتفهم أي شيء لأنه ذكي، ثم قلت له :

«ولكن.. انتظر قليلاً، لقد قمت حتى الآن ببناء العديد من المستشفيات، ولكن هذا المستشفى المنشأ حديثًا هو صغير للغاية بالنسبة لطبيب في إمكانياتك، ولأنك متمكن ولك مستقبل واعد في العمل فماذا لو انتظرت لكي تأتيني مرة أخرى حين أبني مستشفى آخر بحجم كبير؟».

فقال «لا.. إني أعتذر عن هذا العرض.. فدعني أكون مديرًا لهذا المستشفى الصغير سوف أجعل هذا المستشفى يربح بعد ستة أشهر من الآن.. فانتظر لتشاهد ما سوف يحدث، وفي مقابل هذا سوف أستمر في العمل دون توقف مع المبيت في المستشفى، سأفعلها مقامرًا بهيبتي وسمعتي، في ظرف ستة أشهر لو لم يحقق هذا المستشفى أرباحًا فيمكنك أن تفصلني»، ثم استطرد قائلاً «وفي مقابل هذا فلو حقق المستشفى أرباحًا بعد ستة أشهر من الآن فعليك أن تبني مستشفى كبيرًا آخر أكون مديرًا له.

وأرجو أن تشركني في خطة بناء ذلك المستشفى الجديد.. وبعدها سوف أصبح مديرًا للمستشفى. وإذا حدث أيضًا ونجحت في إدارة ذلك المستشفى الكبرى سوف أدخل في مرحلة أكبر وأخطط لأكون مديرًا لمستشفى أكبر، ألا تستخدمني لأكون جندي المقدمة الفدائي التابع لك؟»

هناك كثيرون من النوابغ الأفذاذ من أمثال هذا الطبيب الشاب الذين هم مستعدون ليكونوا ذراعي الأيمن ويقاتلون في المقدمة.

عدم التدخل في تفاصيل العمل مع التحكم في الإدارة :

إن الأسلوب الأمثل في الإدارة هو التحكم في المواقع الأساسية للإدارة، فمنذ زمن بعيد أصبح هذا المبدأ ساريًا متفقًا عليه، التحكم في المواقع الأساسية للإدارة مع الدقة في اختيار القيادات بدءًا من مدير المستشفى إلى رئيس مجلس الإدارة إلى رئيسة الممرضات ثم إعطائهم الحرية في العمل كيفما يرون.

بعد ذلك يمكن للقائد أن يجعلهم يعملون ليل نهار دون راحة وهم راضون، أما إذا ذهب قائد المنظومة بنفسه لمكان العمل ليقوم بأداء كل صغيرة وكبيرة بنفسه دون أن يوكل إلى مدير المستشفى ومدير إدارة شئون العاملين ورئيسة الممرضات مهام الإدارة وحرية التصرف فلن يكون هؤلاء متعاونون معه، ولهذا فعلى القائد أن يحسن اختيار معاونيه الأساسيين، وبعد أن يختارهم عليه أن يطلق يدهم في حرية التصرف، إن هذا هو الأسلوب المؤثر الأول في الإدارة الناجحة.

إنني من النوع الذي يؤمن بالآخرين تمامًا، وفي مقابل هذا فإنني أتابع عملهم عن بعد، ومن خلال تلك المتابعة فإذا لاحظت خللاً ما فأمامي طريقتان للعلاج، الأول هو توجيه ذلك الشخص كي أغيره مع إعطاء الإحساس له بالثقة فيه، والثاني هو تبديل ذلك الشخص بشخص آخر، طريقتان ولا ثالث لهما.

إن رئيسات الممرضات بمجموعة «توكونوشيما» كلهن ممن خضن تجربة رئيسات الممرضات بمستشفيات حكومية، وعلى سبيل المثال رئيسة ممرضات المركز القومي لعلاج السرطان أو حكيمات أخريات حصلن على أوسمة وجوائز تشجيعية في مجال التمريض إن مثل هؤلاء الأشخاص لا يجد المرء معهم أهمية للتدخل في شئونهم أو توجيههم، إن هذا ما أعنيه بتواجد أشخاص أكثر ذكاءً أو كفاءةً عني، إن مديري سلسة مستشفيات جمعيتي كلهم من الأطباء المطلوبين في أي مستشفى من المستشفيات وكذلك الحال بالنسبة لرئيسات الحكيمات، أما مديرو شئون العاملين فهم من خيرة الإداريين الذين علمتهم بنفسي، إنني بهذا أختار من هم أكفأ مني ثم أوكل إليهم مهام العمل فيقومون بأدائه كما ينبغي، ولهذا السبب فحتى لو تم بناء مستشفى آخر جديد فإنني لا أذهب إليه لمتابعة العمل سوى مرة واحدة فقط في الشهر، وتبعًا لنوعية المستشفى فهناك مستشفيات أذهب إليها مرة كل ثلاثة أشهر أو مرة كل شهرين ومع هذا فإنني لا أشعر بأي قلق على الإطلاق، ولأن هناك من هم أكفأ مني ممن يقومون بمجهود كبير فإنني أذهب هنا وهناك وأكتفي بالصراخ والصياح بصوت عالٍ كتأدية واجب.

ولكني في نفس الوقت مقتنع تمامًا بعدم أحقيتي في التحكم في هؤلاء النابغين وأصحاب الخبرة الطويلة كيفما أشاء، فبالنسبة لهؤلاء النابغين أيضًا فإن أهم شيء لديهم هو حياتهم هم ومستقبلهم الشخصي، فإذا كان هؤلاء

حريصين على مستقبلهم بمائة درجة وهكذا فإنه من الضروري بمكان دفع مثل هؤلاء الناس إلى أعلى.

ولا يصح أن يحشر القائد نفسه ويمنع مرؤوسيه عن إظهار قدراتهم ومواهبهم، المفترض في القائد أن يمنح حبه لمرءوسيه الذين هم أقدر وأنبغ منه فهو يحتاج أن يكون لديه صدر رحب، ويجب أن يحقق القائد نجاحه بذلك الصدر الرحب، ومن أجل عمل هذا الإعداد النفسي للقيادة والريادة الناجحة فقد قمت بتشكيل ما يُطلق عليه «جمعية الأسود» على غرار «جمعية الأسود» التي أنشئت إبان حركة إصلاح «ميچي» منذ قرن ونصف من الزمان.

إن الفضل في نجاح عملية الطفرة الاقتصادية الكبرى لليابان يرجع إلى هؤلاء الذين اجتهدوا من جيل آبائنا وأجدادنا قبل الحرب وبعد انتهائها بروح الفداء والإقدام المتمثلة في النشيد العسكري المشهور «من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة»، وسيكون من الإجحاف أن ننسب سبب هذا النجاح إلى جيلنا نحن، فإن شباب اليوم لم يفعلوا شيئًا سوى التعلق والتأرجح في أذرعة أجدادنا الذين بذلوا أقصى جهودهم من أجل أن تقف اليابان على قدميها، وعلى شباب هذا اليوم أن يفكروا بعمق في كيفية تحمل المسؤولية والأمانة خلال العشرين أو الثلاثين عام القادمة لاستكمال مسيرة التقدم الاقتصادي الياباني، أما إذا غرقوا في اللهو والمتعة فسوف ينتهي بنا الأمر إلى نتائج غير محمودة، وبالنسبة لتلك الموهبة في العمل والإدارة فحتى الرومان الذين عرفوا قديمًا بتفوقهم ونبوغهم

فعندما تحولت حضارتهم إلى حضارة البذخ والرفاهية لطبقة النبلاء فقد أدى الأمر إلى نسيانهم حتى لتقنية تصميم المجاري المائية فانتهت حضارتهم وسحقت على يد قبائل الرعاع اجتاحتهم، ولهذا السبب فقد أنشأت «جمعية الأسود» هذه لكي أنشئ جيلاً من الرواد لا يخيب آمال جيل آبائنا وأجدادنا قبل الحرب وبعدها، ولأن شرطًا من شروط القائد أن يصدر وعودًا كبيرة ورنانة فإنني أيضًا أسمي مجموعتنا هذه باسم «جمعية أصحاب الوعود».

وطالما أطلق القائد وعودًا كبيرة فعليه أن يعمل بكل جد لتنفيذها مثل الحصان الذي يجر العربة، ولأنني ـ كما قلت ـ فإنه لو اجتهد الإنسان في العمل بعد استيقاظه من النوم دون أن يضيع لحظة واحدة من الغفلة فسوف يصبح بكل تأكيد «سوبر ستار» في يوم من الأيام، ولهذا فمجموعتي هذه التي أنشأتها هي بهذا المعنى تسعى إلى تنشئة هؤلاء الـ «سوبر ستارز».

على أي حال فلنضع هدفنا ليكون مائة ضعف قدراتنا الفعلية وحينها سنكون مطمئنين لو أطلقنا العنان للوعود الكبيرة، لكن إطلاق العنان للوعود الكبيرة الرنانة وحده لا يكفي، ولهذا فالقاعدة الأساسية هي التفاني في العمل لمدة ستة عشر ساعة يوميًا.

وفي فترة من الفترات في بداية كفاحي كنت أسجل يوميًا في مفكرتي الخاصة علامات وإشارات لتقييم العمل كل يوم.. لكنني لم أعد أمارس هذه الطريقة في الفترة الأخيرة، فإذا قمت بالعمل ستة عشر ساعة يوميًا فإنني أضع

على مكان تاريخ ذلك اليوم علامة الدائرتين المتداخلتين، أما إذا كان عدد الساعات أقل من هذا فقد كنت أضع علامة المثلث، أما إذا قلت ساعات العمل عن عشر ساعات فكنت أضع علامة خطأ، وكنت بعد ذلك أعرض هذه البيانات على الناس، ومن أجل ألا أشعر بالخجل من الناس فكنت أضع هذه العلامة، وطالما وضعتها فكان عليّ تنفيذها، فبيني وبين نفسي لم أكن أتحمل أن أكذب على نفسي.

لكنني في الفترة الأخيرة لم أعد أستطيع وضع هذه العلامات، فحتى ولو لم أضع علامة الدائرتين المتداخلتين فقد أصبحت بالفعل أستطيع أن أعمل ستة عشر ساعة يوميًا بشكل منتظم.. ولهذا لم أعد في حاجة إلى وضع العلامة، أما بالنسبة لأعضاء «جمعية الأسود» فقد كان المعيار الأساسي لعدد ساعات عملهم القصوى في اليوم الواحد هو أربعة عشر ساعة، إن إضافة ساعتين أخريين هو أمر صعب للغاية، فإذا وصل المعدل إلى ستة عشر ساعة يوميًا فسوف تحدث أمور ظريفة متعددة، حينها فحتى عندما يكون المرء نائمًا مستغرقًا أو مستلقيًا مغمض العينين فهو يفكر في أمور كثيرة، إنه سوف يفقد القدرة على التفرقة من كونه نائمًا يشاهد أحلامًا أو كونه مستلقيًا مغمض العينين، أو كونه يفكر وهو نائم، وحين يصل المرء إلى هذه المرحلة تطرأ له أفكار جهنمية وتتسع أمامه آفاق لم يكن ليدركها من قبل.

فحين يتجاوز المرء الحد الأقصى فإنه يصل إلى الحقيقة، والشخص الذي يصل إلى الحقيقة يصل إلى إدراك حس معين.. وذلك الحس المعين هو «لحظة رؤية النور».

ولكن «لحظة رؤية النور» هذه تتغير شيئًا فشيئًا لتصبح ذات أبعاد عميقة، وفي النهاية فإن الطبيعة كالطريقة والحالة النفسية تتحد مع الشخص نفسه، وذلك هو المنتهي الذي يصل إليه المشاهير أو أصحاب القوى الخارقة، فإذا استمر المرء في عمله كل يوم دءوبًا دون تكاسل، فسوف يستطيع في النهاية أن يؤدي عمله بشكل طبيعي دون أن يشعر بالتعب، ومن خلال ذلك العمل سيكتمل وينضج المرء من الناحية الإنسانية، وهنا سيصبح حرًا في كل أمر من الأمور، وسيصبح كل ما يقوم به من أعمال مفيدًا من أجل الآخرين، أليس هذا هو أقصى ما نطلبه وننشده؟

إننا نستطيع أن نصل إلى هذه المرحلة من خلال العمل المتفاني.

وكما حكي لي السيد «مياغي» الذي كان مأمورًا لقسم شرطة «ناها» في جزيرة أوكيناوا عن شخص أجنبي استطاع أن يكون ثروة طائلة بنفسه ولم يرث شيئًا من أبيه، وقد انبرى ذلك الضابط يسأل الأجنبي قائلاً: «أخبرني عن طريقة يستطيع بها المرء أن يكون ثروة أثناء حياته دون الاعتماد على إرث أبيه وأجداده».

ابتسم الأجنبي ملء أساريره ورد قائلاً «Mr. Miyagi it is work and work» أي يا سيد مياجى الطريقة هي العمل ثم العمل».

وإن هذا يعنى العمل المتفاني، الاستمرار فى العمل دون توقف.

ولنا مثلاً عن «الأم تيريزا» التي وهبت حياتها كلها من أجل مساعدة وإنقاذ ضحايا الحروب من الأطفال اليتامى حيث قالت مقولتها الشهيرة «love is action» أي أن «الحب فعل». إذا عمل الإنسان ونشط حتى أقصى طاقة لديه فسوف يتولد الحب حتمًا، كما إنه لو كان المرء يحمل في صدره حبًا كبيرًا فإن ذلك قد يعني أنه لن يجد مناصًا من النشاط والعمل مدفوعًا بقوة لا يستطيع مغالبتها، وعلى العكس فإن الحب الذي لا يواكبه العمل فهو لا فائدة منه.

حتى لو ادعى شخص ما أنه يبذل أقصى طاقته من أجل المثل العليا وقام بالعمل المستمر لمدة ستة عشر ساعة يوميًا فإنه أحيانًا قد لا يستطيع تحمل الرتابة والروتين المصاحبين لهذا المجهود، فمن الضرورة وجود الحب الذي يدفعه ويحركه بطاقة شديدة، هناك أهمية لقوة وجدانية لا يمكن مغالبتها.

إن الإنسان الذي يتحلى بالحب العميق للآخرين دافعه للعمل كبير ولذلك لن يشعر يومًا ما بالرتابة والملل، فحتى لو كان يكرر ما يفعله كل يوم فإن كل لحظة تمر عليه في العمل يجب أن تكون أفضل اللحظات عن غيرها، ولهذا السبب يجب أن يستمر التوتر لديه، لأن القائد بمفرده يملك تحديد مصير الألوف أو عشرات الألوف من مرءوسيه، فليس من المعقول ألا يشعر بالتوتر

على طول الخط، إن تحمل ذلك التوتر هو أمر صعب وبالتالي فإن تحمله يوميًا هو شيء أصعب.

ومع هذا فبعد انتهاء يوم من التوتر ومع خروج زفرة ارتياح آخر النهار فيحدث أحيانًا أن يشعر المرء بشعور من الوحدة والوحشة لا يمكن وصفه، وأنا واحد من هؤلاء حيث إنني قد أكون لا زلت مقصرًا في تأدية واجبي، على سبيل المثال فحين أخلد إلى النوم في الفندق فإنني أغوص في النوم في ظرف خمسة عشر ثانية بعد أن أضع رأسي على الوسادة، لكنني أعاني كثيرًا خلال تلك الثواني الخمسة عشر، إنني أسائل نفسي قائلاً «ما الذي يدفعني إلى الاجتهاد بهذا الشكل الذي يؤدي إلى معاناتي يوميًا؟» وأعود لأندب حظي قائلاً «ماذا لو كانت بجانبي امرأة حسناء؟» وحين أتنهد وأنا أتحسر على حالي لا أشعر بنفسي وأنا أغرق في النوم.

ولأنني أركب الطائرة ثلاثمائة مرة تقريبًا في العام الواحد فأحيانًا أصاب بفقدان ذاكرة مؤقت وأنا أسأل نفسي قائلاً «ماذا؟ إلى أين أتجه الآن بهذه الطائرة؟» وهنا أسأل من حولي قائلاً «عفوًا.. إلى أين تتجه هذه الطائرة؟» فيطالعني الناس من حولي بنظرات تشوبها الشفقة.

ما الذي يدفعني إلى أن أعدو وألهث بهذا الشكل؟ أليس هذا هو ما نسميه «الحزن »؟ أليست هناك أمور كثيرة لا نستطيع أبدًا أن نفعلها ونتركها جانبًا؟

الخاتمة

من ناحية الأرقام فالصفر الموجود في البداية كان في الحقيقة قد اخترع كآخر رقم في الأرقام، وبالطبع فإن الصفر يعني «اللاشيء».

إن هاتين الحقيقتين أعتقد أنهما أنسب عنوان لهذا الكتاب، والسبب في هذا أنني كما ذكرت أكثر من مرة في هذا الكتاب، أنني بدأت انطلاقتي من نقطة الصفر. إن طفلاً فقيراً مثلي ولد في عائلة فقيرة وتربى في جزيرة نائية مثل جزيرة «توكونوشيما» تبعد كثيراً عن ساحل محافظة «كاجوشيما» لم يكن من المعقول أو المنطقي أن يولد في هذه الدنيا وفي يده شيء ما يملكه، أضف إلى هذا أن ضيق ذات اليد من الناحيتين المادية والروحانية لم يكن يستهان بهما إطلاقًا في مشوار حياتي، فالواقع إنه مثل اختراع الصفر فقد استطعت الوصول بالكاد في نهاية مشواري إلى ما أريده.

ولكن بالنسبة لرجل مثلي.. رجل عادي لا يملك من أمره شيئًا فلو أتيحت لي فرصة صغيرة مع قدر زائد من الحماسة فسوف ينفتح الطريق أمامي.. وأعتقد أن هذه النقطة قد وصلتم إليها يا أعزائي القراء.

ويبدو أنني قد «استطعت أن أذوق طعم الاجتهاد»، إن الإنسان الذي ذاق مرة هذا الطعم فسوف يستمر في مشوار حياته نحو حلم بعيد قد يبدو للناس أنه صعب المنال.

إن المستشفيات التي أرى فيها النموذج المثالي المطلوب أنوي أن أستمر في بنائها دون توقف حتى يأتي ذلك اليوم الذي يستطيع فيه كل الناس بصرف النظر عن فقرهم أو غنائهم أن يتلقوا رعاية طبية نموذجية، وهذا أيضًا من أجل ألا تتكرر مأساة مثل مأساة أخي الأصغر!

توراو توكودا

توراو توكودا

ولد في 17 من فبراير عام 1938م في توكونوشيما وترعرع فيها، وبهدف أن



يصبح طبيبًا انتقل من مدرسة توكونوشيما الثانوية إلى مدرسة إيماميا الثانوية بمدينة اوساكا، واستطاع أن يلتحق بكلية الطب جامعة اوساكا وبعد التخرج عمل في مستشفى عام.

في سنة 1973م أنشأ مستشفى توكودا في مدينة اوساكا في حي ماتسوبارا وهي مستشفى تعمل أربعة وعشرون ساعة يوميًا دون عُطل أبدًا، ولا تقبل هدايا من المرضى. وبعد ذلك أنشأ مجموعة توكوشوكاي الطبية الخاصة وأنشأ سلسلة من المستشفيات الكبرى في الأقاليم استجابة لنداء مواطني تلك المناطق. وفي عام 1987م حقق أغلى أمانية وهى بناء مستشفى في جزيرة توكونوشيما بسعة 360 سريرًا. وحتى الآن قام بإنشاء 270 مستشفى ومرفق طبي في جميع أنحاء اليابان يعمل فيها عشرون ألف شخص، وبفلسفة "لقد خلق البشر متساوون" مازال مستمرًا في إنشاء المستشفيات في مسقط رأسه وجزر أمامي والمناطق التي تعاني من نقص الرعاية الطبية في جميع أنحاء اليابان.

تصوير

أحمد ياسين

وفي نفس الوقت قرر العمل بالسياسة عندما وجد التأثير السلبي من جمعية الأطباء على مشاريع إنشاء مستشفياته وأيضًا لرغبته في نشر حركته في العالم. وفي عام 1991م تم انتخابه عضوًا في البرلمان للمرة الثالثة عن منطقة جزر أمامي لمحافظة كاجوشيما، ثم في الفترة الثانية لحكومة رئيس الوزراء موراياما أصبح وزيرًا لشؤون اوكيناوا، والدكتور توراو توكودا يرأس حاليًا مجلس إدارة مجموعة توكوشوكاي الخاصة وهو الرئيس الشرفي لجمعية اليابان للألعاب الرياضية، وله مؤلفات عديدة مثل "البداية من الصفر" و"الغبي ينجح" و "قوة أمي".

فريق الترجمة :

د. ماهر الشربيني	رئيساً
د. أحمد فتحي	عضواً
الأستاذة سلوى الشوربجى	عضواً
الأستاذ عبدالقادر الكريدي	عضواً
الأستاذ محمد صابر	مصحح لغة عربية

تنسيق وإخراج

منال عبدالرحمن حسان



Tokushukai
A.M.E Office

الحب، الاجتهاد ، التحمل، العمل بكل القوة

- فلنجعل أحلامنا الكبيرة ورغباتنا وخيالنا أهدافًا واقعية، فالرغبات الكبيرة هي الأحلام والأهداف والخيال المبنى على حب البشر جميعاً.
- أهم شيء أن يكون لدينا هدفًا نسعى لتحقيقه بالاجتهاد المستمر الذي لا ينقطع .
- الرغبة في الوصول إلى الهدف تجعل الشخص يعمل بكامل قوته .
- العمل كل يوم بكامل القوة تجعلك تصل إلى ما بعد الهدف .

978-9957-504-71-7

تصوير

أحمد ياسين

ZAHRAN زهران للنشر PUBLISHERS
المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي
دار زهران للنشر والتوزيع
تلفاكس : 0096265331289 ص.ب. : 1170 عمان -الرمز البريدي : 11941 الأردن
Email: zahran.publishers@gmail.com www.darzahran.net